العدد ٩٤ - ذوالحجة ١٤٠٣هـ - أكتوبر ١٩٨٣م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تعنى بالابداع العربي والثقافة الانسانية

● فضيحة ليست للنشر في إسرائيل

● الممثلون الهزليون .. وحكم بالإعدام على كاتب روائي عالمي



أول مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة



XPDC-296/81



XTDC-296/81

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٩٤ - ذو الحجة ١٤٠٣هـ - أكتوبر ١٩٨٣م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH -
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
مدير التحرير : ٤٢١١٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
في باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر : ٥ ريالات
البحرين ٣٠٠ فلس
الامارات العربية ٥ دراهم
عمان ٢٥٠ بيسة
الكويت ٣٠٠ فلس
السعودية ٥ ريالات
الجمهورية اليمنية ٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية ٣٠٠ فلس
العراق ٣٠٠ فلس
المملكة الاردنية ٢٥٠ فلسا
سوريا ٢٥٠ قرشا
لبنان ٢٥٠ قرشا
مصر ٢٠٠ مليم
ليبيا ٤٠٠ درهم
السودان ٢٥٠ مليما
تونس ٤٠٠ مليم
الجزائر ٤ دنانير
المغرب ٤ دراهم

باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● السودان
مؤسسة دار التوزيع
ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم

● مصر
مؤسسة توزيع الاهرام
شارع الجلاء - القاهرة

● سوريا
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
برامكة - تجاه ثانوية فايز منصور
ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق

● العراق
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان
شارع الرشيد - ساحة الوثبة
ص . ب ٦٢٤ - بغداد

● ليبيا
المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان
فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس
فرع بنغازي ص . ب ٣٢١ - بنغازي

● الاردن
وكالة التوزيع الاردنية
ص . ب ٣٧٥ - عمان

● البحرين
دار الغد
١ شارع المعارف - بنقبة الدرازي
ص . ب ٥٠٥ - المنامة

● سلطنة عمان
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر
ص ب ١٠١١ - مطرح
مسقط

● تونس
الشركة التونسية للتوزيع
٥ شارع قرطاج
ص . ب ٤٤٠ - تونس

● السعودية
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
ص ب ١٤٠٥ - الرياض
مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة

● الكويت
شركة دار الكويت للصحافة
ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة
الكويت

● لبنان
الشركة العربية للتوزيع
ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت

● الجمهورية العربية اليمنية
الوكالة اليمنية للتوزيع
ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء

● جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع
ص . ب ٤٢٢٧ - المحافظة الاولى
عدن

● الامارات العربية المتحدة
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع
شارع الصلاح - عمارة ثاني بن محمد
ص . ب ٧٩١ - ابو ظبي

● المغرب
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● الجزائر
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

- جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير
- الآراء المنشورة في المجلة تعبّر عن رأي أصحابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة
- المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــــذا العـــــدد



تجربة جديدة : الابتكار والاصالة والحس الصادق فى لوحات أطفال نادى الجسرة ص ٥٨



كريستوفر كولومبوس : ماذا بقى منه بعد خمسمائة عام على اكتشافه المثير؟ ص ٨٤



النهايات .. لعبد الرحمن منيف ص ٧٢

● دراسات ومقالات ●

● قصة انتحار فنان يهودي بعد وصوله لأرض « الميعاد »
د . محمد جابر الانصاري ٦

● كيف نتخلص من الأوهام وننهض من جديد .....
د . عون الشريف قاسم ٩

● حقوق التاليف والابتكار من وجهة نظر الفقه الاسلامي .....
عبد القادر بن محمد العماري ١٢

● في الذكرى الأولى لمذبحة صبرا وشاتيلا : لماذا لا يقام نصب تذكاري لشهداء المذبحة فى كل عاصمة عربية ؟ ..... عصام شريح ٢٢

● العقول المسروقة والمعارة والمقاتلة .....
فتحي رضوان ٢٦

● لحظات فى منزل الوحي .. وأيام فى ضيافة الرحمن
نبيل خالد الاغا ٥٠

● لماذا لا يستعيد العرب أقدم خريطة عرفتها الانسانية ؟
درويش مصطفى الفار ٤٢

● النظام الاقتصادى فى الاسلام .....
د . السيد محمد بدوي ٦٨

● كريستوفر كولومبوس : ماذا بقي منه بعد خمسمائة عام على اكتشافه المثير ؟ .....
عبد العزيز السيد المصرى ٨٤

● الف ليلة وليلة ظلموها فى التليفزيون العربى .....
محمد فتحي ٩٤

● الفيتامينات : هل هى مظلة واقية من بعض الأمراض ؟
د . عز الدين فراج ٩٦

● البحر .. ذلك الكون المجهول .....
د . عبد المحسن صالح ١٠٦

● شؤون الخليج ●

● تجربة جديدة : الابتكار والاصالة والحس الصادق فى لوحات أطفال نادى الجسرة .....
ماجد يوسف ٥٨

● بدائع الخط العربى فى لوحات فنان قطري .....
حسن الملا ١١٢

● عزف أول .. الى قطر ! .....
عبد الله الجفري ١٣٨

● ادب وفنون ●

● رحلة صعبة .. رحلة جبلية .. قصة حياة فدوى طوقان .. ترويها بقلمها .....
فدوى طوقان ١٦

● على ضفاف الحلم يغني الأطفال .....
عبد القادر عقيل ١٩

● فصول أبي البهاء .. مع الرؤساء .....
د . عبد السلام العجيلي ٣٦

● شاعر لكل العصور .....
محمود السعدني ٣٩

● مخطوط عربي يباع فى لندن باكثر من ربع مليون دولار ! .....
وجيه الشربجي ٤٤

● الصندوق الخامس « قصة » .....
كلثم جبر ٤٨

● بيت العنكبوت « قصة » .....
نوره آل سعد ٦٤

● اخطاء لغوية معاصرة .....
د . عبد الله العبادي ٦٦

● قلق الانتظار « قصيدة » .....
فتحية عجلان ٦٧

● النهايات .. لعبد الرحمن منيف .....
أبو المعاطي أبو النجا ٧٢

● ٣٠ سؤالا لمخرج عالمي .....
ياسر السباعي ٧٦

● شكوك حول قيمة الادب والفن .....
نعمان عاشور ٨٠

● البوابة الاولى « قصة » .....
حمدي الكحلوت ٨٣

● جيمس بوند ضد جيمس بوند ! .....
مجدي نصيف ٩٩

● انهم يكرهون الموسيقى العربية ويحاربون اللغة العربية ! .....
كمال النجمي ١٢٠

● العنف والدم على الشاشة .. ومسئولية الفنان لوقف هذا التدهور ! .....
رءوف توفيق ١٢٤

● أبواب ●

● كتاب الشهر : « الممثلون الهزليون » .....
تقديم : مصطفى كمال ٢٨

● دائرة المعارف القرآنية : التهذيب فى المعاملة .....
د . محمد البهي ٣٥

● لقطات من الكون المثير ٥٦

● من روائع الفن العالمي : فنان الحضارات القديمة
جمال قطب ١٠٤

● أوراق خضراء : التعصب اللغوي بعد التعصب للجنس ـ النفوذ اليهودي بين الصحف الامريكية والصحف العربية ـ اللعب ـ كتاب عن ضحايا الثورة الفرنسية ١١٥

● العلم والمستقبل .....
تقديم : لبنى الريدي ١٢٢

● رسائل إلى المحرر .....
تقديم : نبيل خالد الاغا ١٣٠

● دوحة القراء ١٣٢

● مسابقة الدوحة ١٣٤

● استراحة الدوحة .....
رءووف عبده ١٣٦

لوحة الغلاف : بريشة الفنان جمال قطب .

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

نائب رئيس التحرير : عبد القادر حميدة

المدير الفني : أحمد فاضل

المحرر العام : كمال سعد

التحرير : النور عثمان أبكر
مريم آل سعد
سنان المسلماني
ممدوح عبد الرحمن

سكرتير التحرير : نبيل خالد الأغا

الإشراف الفني : نائلة محمد فتحي

سكرتيرا التحرير الفنيان : أحمد عبد الله
علي دياب

البحوث والمعلومات : مبارك عثمان العشي

التصوير : أمين بدوي الحامدي

المدير الإداري والمالي : عبد الله جابر

فضيحة ليست للنشر في إسرائيل

قصة انتحار فنان يهودي بعد وصوله لأرض "الميعاد"

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

● عام ١٩٧٨ وصل الفنان اليهودى السوفياتى يا فيم لاديجنسكى الى اسرائيل ، ضمن هجرة اليهود الروس الى « أرض الميعاد » .

كان « يا فيم » قبل هجرته لاسرائيل رساماً محترفاً فى الاتحاد السوفياتي يقوم برسم مناظر الديكور المسرحى والخلفيات التمثيلية ، كما كان يجد الوقت لرسم لوحاته الخاصة المحببة الى نفسه والمستوحاة من تراثه القصصي الدينى اليهودى ومن اجواء مدينة طفولته البحرية بشواطئها ومراكبها واحتفالاتها الفولكلورية .

وبالنظر لغلبة الطابع الدينى اليهودى على لوحاته الخاصة هذه فلن السلطات السوفياتية لم تسمح له بعرضها مما خلق لديه دافعاً قوياً للهجرة الى اسرائيل حيث كان ينتظر ويتصور ان لوحاته الدينية ستثير حماسة اليهود فى « أرض الميعاد » ، وانه سيصبح فى نهاية المطاف وأخر العمر فناناً عالمياً مشهوراً تطير شهرته الفنية من

اسرائيـــل الى العـــالم الغربى ، الأوربى والأمريكى ، الذى يرحب فى العادة بكل ما هو اسرائيلى ، ويفرش له السجاد الأحمر ، ويقدم له جوائز نوبل ..

فى اسرائيل ، بدأ يا فيم يرسم لوحاته الدينية اليهودية بحرية ، ويقيم المعارض واحداً تلو الأخر ..

ولكن ..

بعد أربع سنوات من وصوله الى « أرض الميعاد » ذهب ذات صباح الى الاستديو الفنى الخاص به ـ كعادته كل يوم ـ ليزاول نشاطه الفنى .. وبدلا من ان يرسم ، شنق نفسه ووضع حداً لحياته وهو فى السبعين من العمر .

● ● ●

● فى آخر معرض من معارضه ، قبـل ان ينتحر ببضعة اشهر ، عرض « يا فيم » لوحتين كبيرتين لخصتا كل المسالة .. واوجزتا ماساته الخاصة كفنان ، والعامة كيهودى وصهيونى جاء بحثا عن الخلاص فى « أرض الميعاد » .

كانت اللوحة الأولى تمثل وجه الفنان نفسه وهو معلق فى أطراف النجمة الحمراء السوفياتية فى ساحة الكرملين وقد تم شطب الوجه بعلامة إكس X كبيرة .

أما اللوحة الثانية فكانت تمثل ايضـاً وجه الفنان نفسه وهو معلق فى أطراف نجمة داود الزرقاء وخلفها حائط المبكى وقد تم شطب الوجه ـ أيضاً ـ بعلامة إكس X كبيرة !

كانت هاتان اللوحتان بمثابة رسالة انتحار .. فماذا قال فى رسالته ؟ أراد « يافيم لاديجنسكى » ان يقول انه لم يستطع ان يتعايش لا مع النظام



السوفياتى ، ولا مع المجتمع الصهيونى فى اسرائيل ، وانه ظل مصلوباً على خشبتي او على نجمتى النظامين ، وان وجهه لم يعد له غير الشطب فى ظل هاتين النجمتين ..

وبعد عرض هاتين اللوحتين لم يبق أمامه الا الانتحار .

وقد لفلفت الدوائر الصهيونية فى اسرائيل وخارجها هذه القضية ، وانزلت ستاراً من التعتيم والتجاهل على الفنان ولوحاته التى ظلت مرمية مكدسة فى الشقة الصغيرة التى انتحر فيها ، ولم تفلح ابنته فى لفت الأنظار الى مخلفاته الفنية . ويبدو ان المسئولين عن الفن فى اسرائيـــل لا يريدون لهذه المخلفات واللوحات أن تنتشر فى العالم ، لأن انتشارها سيسلط الأضواء من جديد على اسباب انتحاره ، وهى اسباب ليست فى صالح الصورة المثالية التى تحاول الصهيونية أن ترسمها وتنشرها بين اليهود وغير اليهود ، خارج اسرائيل ، عن المجتمع الاسرائيلى .

● ● ●

● فان يتضايق فنان يهودى ، مشبع بالروح الدينية ، من النظام السوفياتى فى روسيا .. هذا مفهوم ويمكن تفســيره وتبريره ..

ولكن أن يرفض فنان يهودى ، اصر على الهجرة الى اسرائيل بعد أن قارب السبعين ، أن يرفض الحياة فى الأرض الموعودة ويقرر الانتحار ، ويضع نجمة داود ، رمزه الدينى الصهيونى العميق على مستوى النجمـة الحمراء الشيوعية من حيث كونهما تعبيراً عن القمع والعداء لروح الانسان والفن .. فهذه فضيحة فكرية وفنية واخلاقية ، بل فضيحة كيانية مصيرية ، بالنسبة لصميم الفكرة الصهيونية والمجتمع الاسرائيلى ، ولا تؤدى إلا إلى النتيجة الحتمية التى لا مفر منها : وهى أن طبيعة الحياة فى الأرض الموعودة تتناقض فى حقيقتها مع « الوعد » الصهيونى الذى يتحركون على أساسه ، وينشرون الموت والدمار فيمـــا حولهم من أجل تحقيقه .

نجمة داود ، التى جعلوهـــا رمزهم المقدس ، يأتي فنان يهودى صهيونى ، عاش كل عمره فى روسيا منتظراً بريقها الموهوم ، ليجعل منها رمز المشنقة التى تدلى راسه منها .. ويضعها على مستوى النجمة الشيوعية الحمراء التى هرب من جحيمها .. ماذا يبقى بعد هذا ؟

لو كانت وزارات الاعلام والثقافـة فى البلاد العربية تعرف جيداً « سر المهنة » ، لأرسلت من يشترى هاتين اللوحتين اللتين رسمهما « يا فيم لاديجنسكي » لراســـه

قصة انتحار فنان يهودي

ووجهه المعلق المشنوق فى ظل النجمة الحمراء الشيوعية والنجمة الزرقـــاء الصهيونية ، وذلك من أجل طبعهما ونشرهما فى العالم كشواهد فنية لا تحتاج إلى أى تعليق .. سوى القول بان هذا الفنـــان اليهودى استطاع أن يعيش فى ظل النظام السوفياتى حوالى ٦٦ عاماً من عمره حتى قرر الرحيل الى اسرائيل .. اما فى اسرائيل فلم يستطع أن يعيش أكثر من أربع سنوات .. وصل خلالهـا الى ذروة اليأس .. ولم يجد من وسيلة للخروج منها سوى الانتحار .. أى انه خرج من روسيا ولديه بعض الأمل .. أما من اسرائيل فلم يخرج إلا بيأس قاتل ، ونهاية مفجعة .

قلت : لو كانت وزارات الاعلام والثقافة فى البلاد العربية تدرك سر المهنة .. !!

• • •

وأمام فضيحة انتحار هذا الفنـــان الصهيونى بعد وصوله بسنوات قليلة الى أرض « الميعاد » .. لم تجد السلطات الثقافية الاسرائيلية سوى القول بانه لم يعرف كيف يكتسب الشهرة ، ولم يعـرف التعامل مع الأوساط الفنية ، وكان يرفض المساومة لبيع لوحاته ، مما أعاق انتشارها .. الى آخر هذه المبررات السوقيـــة التى لا تفسر اطلاقاً ماساة انتحار الفنان .

ثم لجات تلك السلطات الى تبرير آخر ، ذى نتيجة عكسية ويهزم نفسه بنفسه ، عندما قالت إن « يا فيم » توقع أن يستقبل الاسرائيليون بحماسة بالغة لوحاته الدينية اليهودية التى منعتها الرقابـــة الروسية ، ولكنه لم يتنبه الى ان اللوحات الدينية اليهودية أصبحت شائعة ومعتادة فى اسرائيل لدرجة ان أحداً لم يعد يكترث بها .. !

وهذا « الاعتراف » او التبرير يعني ان التراث الديني اليهودى لم يعد له بريق فى اسرائيل ، الأمر الذى يثبت انها كيان لم يقم لحماية أى تراث دينى روحى ، وانما لحماية مصالح وتنفيذ مخططات دنيوية معينة ، والدليل على ذلك ان الفنـــانين الصـهاينة ، المشبعين بالروح اليهودية ، ينتحرون عندما يصلون اسرائيل !

فهل يدرك اليهود ، خارج اسرائيـــل وداخلها ، هذه الحقيقة ؟

وبعكس هذه التبريرات الاسرائيليـــة شبه الرسمية لانتحاره فان المعلومات القليلة التى تسربت عن حقيقة شـــعور « يا فيم » تجاه اسرائيل تفيد بانه وجدها معادية لروح الفن والفنانين ، وانها معادية للسامية .. نعم معادية للسامية ـ وهى الصفة التى تروجها اسرائيل ضد كل خصومها ـ وبانها بالاضافة الى ذلك ذات طبيعـة خشنة وفظة وليست بالمستوى الحضارى الرفيع الذى تدعيه ويدعيه لها اصدقاؤها المنافقون .

وللتاكيد ، فان هـــذه الأحـكام والتقييمات التى توصل اليها اليهودى والصهيونى «يا فيم لاديجنسكى» بعد فترة أربع سنوات من الحياة الفنية التعسة فى اسرائيل ، قد نقلها عن ابنته المراسل الثقافى لصحيفة « نيويورك تايمز » المعروفة بصهيونيتها ، واسمه دافيد شبلر وهو يهودى أيضاً .

وقد زار هذا المراسل ابنة الفنان وشقته التى انتحر فيها ورأى لوحاته البالغ عددها سبعمائة لوحة وقد تكدست وعلاها الغبار ، وكشف جانباً من الاهمال المتعمد والتعتيم المقصود من جانب السلطات الاسرائيلية . هذا مع العلم أن اسرائيل والصهيونية العالمية قادرتان على تطيير شهرة أى فنان أو أديب لو كان من مصلحتهما القيام بذلك .

وتضاف تجربة هذا الفنان اليهودى الروسى المنتحر الى تجربة الكاتب والصحفى اليهودى «يعقوب تيمرمان» مؤلف كتاب «اسرائيل فى لبنان : أطول حرب» والذى هاجر قبل سنوات قليلة من الأرجنتين بعد أن سجن فيها بسبب نشاطه اليهودى ، وعندما جاء الى أرض الميعاد اكتشف هو الآخر الحقيقة ذاتها التى اكتشفها ذلك اليهودى القادم من روسيا ، وتطابقت التجربتان .. وغيرهما تجارب كثيرة .. مماثلة .

• • •

بقى أن نقول ان المشاعر العربية قد فجعت مؤخراً بانتحار عدد من المثقفين العرب تحت وطأة الهزائم المتعاقبة . وذلك واقع اليم لا مفر من الاعتراف بوطأته . ولكن يجب الا نقتصر على التحديق فى جانب واحد من الصورة . ان جانبها الآخر فى جبهة العدو الداخلية ليس بالبريق الذى تعكسه انتصاراته الرنانة والمفروضة بالسلاح الأمريكى المتقدم والتكنولوجيا الأمريكية المتقدمة ..

هذه الانتصارات الخارجية لم تعن شيئاً لمثقف وفنان يهودى قادم من روسيا .. لم ير شيئاً فى الداخل يستحق الحياة ..

ولنتامل عميقاً فى قوله تعالى : «ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس ... وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين» ـ صدق الله العظيم .

وأخيراً .. الى دعاة الحوار الحضارى مع اسرائيل من بعض «كبار» الأدباء الناطقين بالعربية .. اقرأوا قصة هذا الفنان اليهودى الذى لم يستطع حتى الحوار المعيشى مع اسرائيل ، الا تقول لكم انكم صرتم يهوداً أكثر من اليهود ؟!

د . محمد جابر الأنصارى

نحو فهم صحيح لحضارتنا .. وحضارة الغرب

كيف نتخلص من الأوهام ونتهض من جديد ؟

بقلم : د . عون الشريف قاسم

ان ما يشهده عالمنا المعاصر من إنجاز حضارى شامل ، أمر لم تشهد له البشرية مثيلا من قبل . وليس مبلغ العجب فيه أنه فى مجموعه جديد على البشر ، إذ أن ماضى الانسان القريب والبعيد ملىء بكثير من الأفكار والنظم التى تعتمد عليها حياتنا المعاصرة ، ولا فضل لنا فى معظمها سوى تطبيقها . فمعظم هذه النظم الفكرية والفلسفية والاجتماعية قديم قدم الفكر البشري ، وكان كل مجتمع يتناول ما يتهيأ له منها بالقدر الذي يستقيم وظروف بيئته الزمانية والمكانية ، مضفياً على ما يتناول طابعه الخاص وصبغته المميزة . ولهذا السبب اختلفت لغات البشر ، وعاداتهم ونظمهم الاجتماعية والسياسية ، وان التقوا جميعاً حول أفكار محددة معروفة ، هى التى لخصتها لنا تعاليم الأديان وحفظتها لنا آثار الفلاسفة والمفكرين على مر الزمان .

ليس الجديد هو هذا التطور فى حياة البشر . بل الجديد هو الطريقة التى يتم بها هذا التطور . فقد أحدث تقدم العلم الطبيعى واستثمار نتائجه فى خدمة الحياة تغيرات جوهرية فى مسيرة البشر كان أهمها وضع طاقات جبارة فى أيدى الأمم الغربية التى سبقت بقية العالم إلى الثورة الصناعية ، فتقدمت وسائل المواصلات ، وتطورت أساليب التجارة والزراعة ، وكان لابد من اكتشاف الأسواق وضمان موارد المواد الخام ، فتطورت بالتالى أدوات التسلط والقهر من أسلحة ومعدات وانتهت فى نهاية القرن الماضى بسيطرة الدول الغربية على معظم شعوب العالم . وكانت هذه الأمم الغربية بحكم هذا الوضع هى التى تصنع الحضارة ثم تصدر أدواتها وأشكالها إلى الشعوب الواقعة تحت سيطرتها . ومن ثم عمت هذه الحضارة الغربية وأدواتها المختلفة كل العالم بحيث يندر أن نجد مكاناً فى العالم أخطاه الراديو أو التليفون أو السينما أو السيارة أو الطائرة وما إليها من مستلزمات الحياة الحديثة .

وكان يصحب هذه الأدوات المادية أفكار بعينها ، وتواكبها مفاهيم اجتماعية وليدة البيئات التى عاشت تجربة التحول الاجتماعى فى بلاد الغرب ـ وقد مكن الاستعمار الغربى ، بحكم سيطرته على مقدرات الأمم والشعوب ، لكثير من هذه الأفكار والمفاهيم أن تجد طريقها الى حياة الأقوام المستعمرين وتسلك سبيلها إلى مناهج التعليم وأحكام القانون ، فحلت بذلك محل ما ألفه الناس فى حياتهم الموروثة من تقاليد وأحكام .

• • •

كيف نتخلص من الأوهام وننهض من جديد؟

● وحدة الحضارة الغربية :

ومما ساعد على طغيان هذه النظم الغربية ، ومكن لكثير من مظاهرها على التسلط ، انها وليدة حضارة واحدة رغم اختلاف الأمم الغربية المتسلطة ، فان مما يميز الحضارة الغربية وحدتها الفكرية والروحية رغم اختلاف الشعوب المنتجة لها . هذا فى حين ان معظم الحضارات التى غزتها هذه الحضارة لا يربط بينها إلا أوهى الروابط ، كما هو الحال فى آسيا مثلا حيث الحضارة الاسلامية والهندوكية والصينية واليابانية وما إليها ، وقل مثل ذلك فى افريقيا وفى بقية أنحاء العالم غير الغربى . وقد ساعد تركز الثروات فى ديار الغرب ، كما أدى استغلال طاقات الشعوب فى الاستثمار التجارى والصناعى إلى هذه الثورة العارمة فى مجال انتاج سلع الاستهلاك بأثمان زهيدة ، مما أحدث آثاره البعيدة فى حياة البشرية جمعاء ، وكل ذلك يستدعى تحولات كبيرة فى دورة الحياة التقليدية الرتيبة ، ويتطلب تطوراً حثيثاً فى حياة الناس الفكرية والاجتماعية يتلاءم وتطور ظروف الحياة المادية ، وانتقال الناس من وضع اجتماعى بعينه إلى وضع آخر مختلف عنه .

ولم تكن معظم هذه الشعوب التى تستهلك هذه الأدوات الحضارية ولا تنتجها ، وتتأثر بها كل هذا التأثر ، وتتعرض لكل هذه الهزات الاجتماعية العنيفة التى تتطلب الكثير من الروية والتفكير حتى يجيء التغيير فى هياكل الحياة الفكرية منسجماً مع حياة الأمة الشعورية ، متجاوبا مع ضميرها الاجتماعى ، لم تكن معظم هذه الشعوب مالكة لأمرها وهى تمر بأدق المراحل حساسية فى حياتها ووجودها . كان المستعمر المتسلط هو الحاكم بأمره فى مصيرها . فهو الذى أتى بأدوات الحضارة ، وهو الذى راقب ما تحدثه من أثر ، وهو الذى سعى الى فرض حلول لمشاكل هذه الشعوب نابعة من تجربته هو لا من تجارب هذه الشعوب الاجتماعية وكيانها الشعورى . وكانت هذه الحلول النابعة من تجربة الغرب الذاتية تقدم لهذه الشعوب المستضعفة بحسبانها حلولا إنسانية صالحة لكل زمان ومكان ، وعلى أساس أن هذه الحضارة التى يتحدثون باسمها هى حضارة عالمية ، وهى الكلمة النهائية وفصل الخطاب فى كل ما يتعلق بالتقدم البشرى . أليس أصحابها هم سادة العالم ، وهم المنتجون للحضارة ، وكل العالم عالة عليهم ؟ أو ليست أدواتهم وآلاتهم ووسائل انتاجهم هى التى تتحكم فى حياة الشعوب ، وتحدث فيها كل هذه التحولات الاجتماعية الكبيرة ؟ إذن فما الذى يمنع هذه الحلول التى يتقدمون بها لعلاج المشاكل الناجمة عن آلاتهم من ان تكون هى الفيصل والقدر المحتوم الذى لا يستطيع له الناس دفعاً أو يجدون عنه متحولا ؟

● وَهْمُ الحضارة الغربية

لقد ظل الناس ردحاً من الزمان وهم يعيشون تحت هذا الوهم الحضارى الذى مكن له الاستعمار بسيطرته على حياة الناس الفكرية والاجتماعية ، وما يزال كثير من المتعلمين يرددون شعارات الدعاية الوطنية لأمم الغرب التى نجح الاستعمار الغربى فى فرضها على كثير من المتتلمذين على مناهجه التعليمية التى بثها فى المستعمرات . فان قيام كثير من هذه النظم الغربية فى ديار الغرب ، ونجاح الغرب فى فرضها على كثير من الشعوب المستضعفة لا يعنى عالميتها ، بل يعنى أن الغرب ، بحسبانه أعظم المناطق الحضارية حيوية وفعالية فى الوقت الحاضر ، هو الذى فرض هذا الفهم ، وان كثيراً من المجتمعات الأخرى قد تقبلت هذا الفهم طوعاً أو كرهاً بحكم جمودها وتخلفها الحضارى ، فهى على أحسن الفروض تقلد ما يقدمه المتقدمون من البشر ، وتحسب أن ما صلح لهم لابد أن يصلح لها ، خاصة وهى عاجزة عن البديل . ثم إن كثيراً مما يأتيها عن هذا السبيل فى شكل سلع وبضائع وأدوات صالح بالفعل لكل الناس ، مهما اختلفت أشكالهم ، أو تباعدت أوطانهم . فالراديو عالمى ، والسيارة عالمية ، وهكذا كل منتجات الصناعة ، ومعنى هذا أن عالمية أدوات الحضارة لا تعنى عالمية الحضارة ، وكل ما تعنيه أن الثورة العلمية التى تفجرت فى العصور الحديثة ، ومنحت أمم الغرب هذه القوة التى فرضت بها سطوتها وأفكارها على بقية شعوب العالم ، هى العنصر المطلق الوحيد فى كل هذه المظاهر الحضارية .

ان التقدم العلمى الذى أسهمت فيه كل البشرية ، وطورت أساليبه كافة الشعوب خلال القرون ، هو العامل العالمى فى هذه الحضارة السائدة . أما تقارب وجهات النظر فى كثير من القضايا الفكرية والاجتماعية ، التى تصدر عن أمم الغرب وكأنها رجع الصدى لعامل واحد مشترك ، فليس مرده إلى الزعم القائل بأن تطبيق أدوات العلم على حياة الناس يصدر عنه بالضرورة ما صدر فى حالة التجربة الغربية ، ومن ثم يكتسب عالميته وحتميته الموضوعية . وإنما مرده إلى وحدة المصدر الحضارى الذى نبعت منه الحضارة الغربية ، المرتكزة على التراث اليونانى الرومانى ، المصطبغ فى كثير من جوانبه بالأثر المسيحى ، فان كثيراً من أفكار القوم

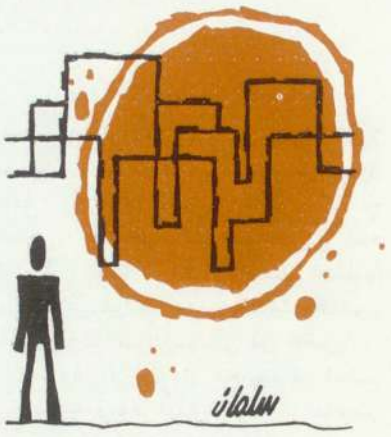
في المسلك والحياة الاجتماعية هو رجع الصدى لما كان يجرى فى اثينا أو اسبارطا أو روما ، وقد لطفت منه تعاليم المسيحية الغربية . فظروف أوروبا الحضارية والتاريخية والجغرافية والبشرية كان لها النصيب الأوفر فى منح حضارتها مظهر التوحد الذى برز به العالم وكان

التقدم العلمى والصناعى الذى بسطت به سطوتها على العالم بمثابة النهر الجارف يحمل الرى للناس ، ولكنه ينقل على صفحته الطمي والأعشاب والمراكب والبواخر وما أشبهها من الأدوات التى تتغير بتغير المناطق والأقوام الذين يمر بهم النهر .

وحتى مظهر التوحد هذا ، الذى تبدو به الحضارة الغربية ، توحد شكلى لا يتعدى بعض الأسس العامة ، التى لا تحول دون بروز الشخصية القومية والوطنية للشعوب والأقوام الأوروبية كما هو واضح فى الفروق الثقافية بين المجموعات الرومانسية والمجموعات الانجلوسكسونية فى غرب أوروبا . إذ ما أبعد الفرق بين الشخصية الانجليزية والشخصية الايطالية ، وكلاهما ينبع من مصدر حضارى واحد .

● إنحسار المد الاستعمارى

ان انحسار المد الاستعمارى المباشر عن كثير من بقاع العالم يستتبع بالضرورة انحسار كثير من الأفكار المضللة التى زرعها المستعمرون فى عقول رعاياهم حتى يضمنوا السيطرة الفكرية على حياة الناس ويشكلونها بطريق غير مباشر بحيث يضمنون استمرار مصالحهم القومية باستمرار نفوذهم الحضارى على عقول الناس وحياتهم . ومن أولى هذه الأفكار المضللة اعتبار تجربة الغرب الذاتية فى مجابهة تحديات الثورة العلمية والصناعية تجربة موضوعية مطلقة عالمية التطبيق على كل الناس احتذاؤها وتقليدها لحل مشاكلهم القومية . ان فكرة ديمقراطية الحكم مثلا فكرة انسانية قديمة ، سعى الناس منذ عهد الاغريق لتطبيقها وفرضها كنظام سياسى ، والنظام البرلمانى ما هو إلا تطبيق للفكرة كما تهيأ للشعب الانجليزى أن يطبقها ، فهو على أحسن الفروض نظام خاص صلح لشعب بعينه ، ولكنه حين انتقل الينا فى كثير من دول العالم الثالث صور لنا وكأنه الحل النهائى المطلق لمشكلة الحكم فى العالم الثالث وقد تبين لنا الآن كما تبين للكثيرين غيرنا فى بلاد العالم الثالث سطحية هذه الدعوى ، وأدركنا أن ما انجزه غيرنا فى مجال العمل السياسى والاجتماعى لا يعفينا من مهمة السعى والتجريب للوصول إلى ما يصلح لنا ، ويتجاوب مع ظروفنا ، ويتلاءم وتجربتنا الحضارية ، غير مغفلين لتجارب غيرنا من البشر . وما اكتشفنا ضلاله فى مجال العمل السياسى يمكن أن نكتشف الكثير مثله فى مجالات حياتنا التعليمية والقانونية والاجتماعية ومعظمه نابع من تجربة غيرنا وفرض علينا كنظام موضوعى أمثل ، وهو نظام ذاتى يعبر على أحسن الفروض عن حالة القوم الذين نقلناه عنهم أو نقلوه الينا ، وقد يكون فى تراثنا ما هو خير منه وأصلح لحاجتنا منه ، ولكننا صرفنا عما عندنا لنرد مما هو دونه .



● الطريق الى المستقبل

إننا نعيش فى كثير من أوجه حياتنا بمفاهيم ونظم نابعة من حياة غيرنا بحكم التسلط الاستعمارى الذى جثم على صدورنا حقبة من الزمن ، فانفصلنا بذلك عن مصدر أصالتنا وروح تراثنا التى ماتزال حية فى أعماق شخصيتنا ، وكل ذلك مما يصيب حياتنا العامة بهذا القلق والتمزق والحيرة والتخبط بين ما هو كائن فى حياتنا ولا نرضى عنه ، وبين ما يجب أن يكون ولسنا قادرين بفعل هذه الحيرة والتخبط عن إدراكه . ان انصرافنا عن تراثنا هذه الحقب الطويلة ، وجموده القرون عن الحركة ، يثير فى نفوس كثير من الناس الفزع والخوف والقلق والنفور ، ويحسبون الرجعة للتراث وهو على هذه الحالة نكوصا على الأعقاب ورجعة للوراء ان لم تكن قفزة فى فراغ ، وهم محقون فى بعض ذلك ، لأن الرجعة للماضى وحدها لا تحل قضايا الحاضر ، ولاتسهم فى بناء المستقبل . ولكننا ان أردنا التقدم الحقيقى فلابد من أن نبدأ من حيث انتهينا قبل أن تدهمنا الغزوة الاستعمارية وتحولنا عن خط سيرنا حتى تهنا كل هذه السنوات وتخبطنا فى دروب الآخرين .

اننا نرجع الي طريقنا القديم لا لنرجع به القهقرى ، ولكن لنواصل منه السير فى الطريق الحضارى الذى يتصل فيه ماضي الأمة بحاضرها ، مستعينين في ذلك بثمرات العلم والمعرفة من منطلق قيم حضارتنا ، حتى نحقق ما حققه الغربيون في نهضتهم الأخيرة حين رجعوا لماضيهم في القرون الوسطى بعد أن سلكوا سبيل الحضارة الاسلامية فترة من الزمن قدحت في نفوسهم جذوة البحث عن الذات ، حتى اهتدوا الى هذه الصيغة التي يلتقي فيها الماضي بالحاضر وتتحقق بها الشخصية القومية ، فيتصل ابداعها وتتطور دون أن تمزقها هذه الحيرة ، أو يبدد جهودها تقليد تجارب الآخرين .

د. عون الشريف قاسم
الخرطوم

حقوق التأليف والابتكار من وجهة نظر الفقه الإسلامي



بقلم: عبدالقادر بن محمد العمّاري

لقد اتفقت دول العالم على حماية حقوق الانتاج الذهنى ، وصدرت انظمة واتفاقات دولية تحمى هذه الحقوق واهمها اتفاق بيرن لسنة ١٨٨٦ المعدل فى باريس سنة ١٨٩٦ ، ثم فى برلين سنة ١٩٠٨ ، ثم فى روما سنة ١٩٢٨ ، ثم فى بروكسل سنة ١٩٦٧ ، وفى ١٠ ديسمبر صدر الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، فنصت المادة ٢٧ منه على « ان لكل فرد الحق فى حماية المصالح الأدبية والمادية المترتبة على انتاجه العلمى والأدبى والفنى » . ونظمت هيئة اليونسكو عقد اتفاق فى جنيف فى ٦ سبتمبر ١٩٥٢ ، واصدرت كثير من الدول انظمة وقوانين تحمى حقوق الانتاج الذهنى ، والدول التى لم تصدر هذه القوانين ، تقوم محاكمها باصدار احكامها استناداً الى قواعد العدل العامة والقانون الطبيعى وقواعد التعويض عن الضرر.

والمعروف ان الدول العربية لم تنضم الى اتفاق بيرن غير لبنان وتونس ، اما مصر فهى من اوائل الدول التى اعترف قانونها الجنائى والمدنى بملكية المؤلفين لانتاجهم وحقهم فى الدفاع عنه ، فجاء فى قانون العقوبات : « ان تقليد الانتاج الذهنى وطبع كتب الغير مخالفاً فى ذلك اللوائح والقوانين الخاصة بتنظيم الملكية الأدبية والفنية تعتبر جنحة » وجاء فى القانون الأهلي القديم الملغي « يكون الحكم فيما يتعلق بحقوق المؤلف فى ملكية مؤلفاته وحقوق الصانع فى ملكية مصنوعاته على حسب القانون المخصوص بذلك » . الا انه لم يصدر القانون الخاص بهذه الحماية ، وعلق تطبيق العقوبة التى جاءت فى

القانون الجنائي الى إصدار القانون الخاص ، واستندت المحاكم المدنية فى أحكامها الى القواعد العامة فى التعويض عن الضرر والعرف ، أما الأجانب فتصدر المحاكم المختلطة أحكامها بشانهم طبقاً لقوانين بلادهم حتى سنة ١٩٥٤ حيث صدر قانون خاص ونص على الحماية طول حياة المؤلف الى خمسين سنة بعد وفاة المؤلف ، والى خمس عشرة سنة فيما يختص بالمصنفات الفوتوغرافية والسينمائية ، كما جعل مدة حماية المؤلف الى اللغة العربية فى حال ترجمته وما يترتب على حق الترجمة خمس سنوات ، تبدأ من تاريخ أول نشر للمصنف الأصلي ، وفرض جزاءات علاوة على المصادرة فى حالة الاعتداء على حق المؤلفين ، وتشمل الغرامات المالية وحبس المعتدي فى حالة العودة ، وكذلك الزم القانون ناشري المصنفات بايداع نسخ أو صور منها خلال شهر من تاريخ النشر فى دار الكتب .

● الآثار العكسية لعدم حماية حقوق المؤلفين

ولعل سبب التاخير فى اصدار القوانين الخاصة والتردد فى اصدارها قبل سنة ١٩٥٤ ، يرجع الى الرغبة فى ترك الباب مفتوحاً ليتمكن الكتاب والأدباء المصريون من نقل الثقافة والأدب والعلوم من الغرب ، وتتاح لهم فرصة فى أطول مدة ممكنة ، ولا زال هذا الاتجاه قائماً فى دول العالم الثالث وقد تمثل هذا الاتجاه وظهر فى المؤتمر الذي عقد فى استكهولم فى يولية ١٩٦٧ ، حيث وضع المؤتمر بروتوكولا يحد من حقوق النشر لصالح الدول النامية ، ويجيز انقاص مدة حماية حق المؤلف ، ويتوسع فى الحالات التى يجوز فيها لهذه الدول أن تترجم وتنشر المصنفات الأجنبية مراعاة لاحتياجات التعليم والثقافة دون إذن المؤلف والناشر .

وإذا كان بعض الناس يعارضون قوانين حماية المؤلف أو المترجم ، ويطالبون بالحد منها بسبب حاجة دول العالم الثالث الى نشر الثقافة بين شعوب هذه الدول . فان هؤلاء يغفلون عما قد يترتب على رأيهم هذا من أثر عكسي فى عدم تشجيع المبدعين والمخترعين على أن يضاعفوا نشاطهم الذهنى لحاجتهم المادية ، وقد ينصرفون الى كسب العيش ، فيستغرق جهدهم وطاقاتهم إذا لم يوفر لهم نشاطهم الأدبى والمادي ما يحتاجون له فتحرم البشرية من أعمالهم .

● لولى الأمر أن يسن الأنظمة التى تحمى مصالح الناس

ولكن المهم عندنا نحن المسلمين أن نعرف وجهة نظر الفقه الاسلامي فى حقوق التاليف والابتكار او حقوق الانتاج الذهنى كما عبرنا عنها فيما مضى ، فهل فيه ما يمنع سن مثل هذه القوانين واللوائح التى تحمى حقوق المؤلف والمبتكر ، وهل يجوز للمؤلف أن يتقاضى مالا مقابل حقوق الطبع والنشر وكيف يكون تكييف هذا الحق في اطار الفقه الاسلامى ، ومن ناحية أخرى هل يجوز للمسلم دينياً أن يتجاوز هذه الأنظمة والقوانين ، ويعتدي على حقوق المؤلفين والناشرين بحجة الرغبة في نشر العلم ؟؟

وسنحاول ان شاء الله تعالى الاجابة على هذه الاسئلة في هذه العجالة ، فنقول وبالله التوفيق : انه من المتفق عليه بين المسلمين ، أن لولي الأمر أن يسن من الأنظمة والقوانين التي من شانها أن تحفظ مصالح الناس وحقوقهم من العبث ، وما يحتاط به لمنع الغش والتزوير ، وما يهدف الى المحافظة على ثروات الأمة كالقوانين التي تسن لحماية الثروة السمكية والحيوانية وحماية الغابات والأنهر وغيرها من المرافق العامة ، وقوانين السير للسيارات والمركبات لحماية أرواح الناس وممتلكاتهم .

فكل هذه القوانين ضرورية للمجتمعات في هذا العصر . فقد اخترعت مثلا وسائل للصيد ، ولو ترك الحبل على الغارب لقضت على كل الثروة السمكية والحيوانية فى خلال مدة قصيرة ، ولو أطلق العنان لأولئك الذين يقطعون الأشجار ، لأضحت أرض الغابات صحراء قاحلة ، والمعروف أنه لم تسن هذه القوانين فى العصور السابقة لعدم الحاجة اليها ، فقد كانت الوسائل محدودة وضعيفة وقبل أن تصنع السيارات والمركبات لم يكن هناك خطر من سير الجمال والخيول والحمير والبغال فى الطرقات .

وقد دعت الحاجة بعد صناعة المطابع الى حفظ حقوق المؤلفين ، كما دعت الحاجة بعد الاختراعات الحديثة الى حماية حقوق المخترعين حتى تقوى الهمة عندهم ، فيضاعف نشاطهم وانتاجهم فى سبيل تقدم الانسانية ورفاهيتها ونشر الثقافة والعلوم، فالابداع والاختراع أساس التقدم والرقي للانسانية كلها ، لذلك كانت المحافظة على حماية حقوقهم هى فى الواقع محافظة على المصلحة العامة ومن أجلها ، وطاعة ولي الأمر فى المعروف واجبة .

والفقه الاسلامى انما قام فى أساسه وفى جملته على مصالح الأمة ، فما فيه مصلحة فهو مطلوب وما فيه مفسدة فهو منهي عنه ، وقد تضافرت الادلة على ذلك ، وليست هذه من المصلحة التى تعارض النصوص ، أو التي تبنى على الهوى ، بل تشهد النصوص باعتبارها ، قال تعالى : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر (١)) ، وقال تعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج (٢)) ، وقال عليه الصلاة والسلام « لا ضرر ولا ضرار » . وكل أمر فيه مصلحة أو دفع مضرة مطلوب من الشارع ، فان لم يوجد له نص خاص ، فقد دخل فى النص العام ، وأصول الأئمة الأربعة كلها تؤيد ذلك ، فقد قال الأئمة بالقياس وقال بعضهم بالاستحسان والمصالح المرسلة ، ودون عمر رضي الله عنه الدواوين وهى نوع من اللوائح والأنظمة رغم عدم وجود نص ، وقد اعتمد عمر فى ذلك على المصلحة ، وهي كما قال الامام الغزالى : عبارة عن جلب منفعة أو دفع مضرة ، لكنها تحقق مقصود الشرع .

وقد وضع العلماء قواعد لدفع الضرر مثل :

(١) المشقة تجلب التيسير .
(٢) الحرج مرفوع شرعاً .
(٣) الضرر يزال شرعاً .
(٤) يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام
(٥) يرتكب أخف الضررين لاتقاء أشدهما.
(٦) الضرر لا يزال بالضرر .

حقـــوق

التأليف والابتكار

من وجهـــة نظـــر الفقـــه الإســـلامي

(٧) دفع المضار مقدم على جلب المصالح.

(٨) ما جاز لعذر يبطل بزواله .

(٩) الضرورة تقدر بقدرها .

(١٠) الضرورات تبيح المحظورات .

والملاحظ أن الفقهاء الأقدمين الذين خلفوا لنا هذا التراث الفقهي العظيم أكثر تحرراً ومراعاة لمصالح العباد من كثير من فقهائنا اليوم ، فقد كانوا يحلون كل مشكلة فى مجتمعهم باجتهادهم بما يوافق مصالح العباد العامة مستلهمين نصوص الشريعة الغراء ، ومن المقرر عندهم أن الأحكام المبنية على الاجتهاد تتغير بتغير الزمان ، وهناك قاعدة شرعية فى أصول الفقه تقول « لا ينكر تغير الأحكام بتغير الزمان » . وعندما يتغير الحكم لمصلحة زمنية لا يعنى تعطيل النص الشرعى ، بل هو اعمال للنص بدليل مستوحى من ظروف ذلك النص ، فسيدنا عمر بن الخطاب عندما قطع عطاء المؤلفة قلوبهم الوارد فى القرآن الكريم ، لم يبطل النص ولم يعطله ، ولكنه نظر الى علة ذلك النص لا الى ظاهره واعتبر المؤلفة قلوبهم معللا بظروف زمنية تقتضي ذلك العطاء ، لأن الاسلام لم يعد فى حاجة لتاييدهم ، بل أصبح الاستمرار فى اعطائهم مشجعاً لأصحاب النفوس الخبيثة للتاليب على الاسلام ، وكذلك عندما أوقف حد السرقة عام المجاعة ، فقد لاحظ أنه ربما كانت السرقات بدافع الضرورة لا بدافع الاجرام .

وقد عقد الامام ابن القيم فصلا فى كتابه القيم (اعلام الموقعين) تحت عنـوان « تغيير الفتوى بحسب تغيير الأزمنـــة والأمكنة والأحوال والنيات والعادات » وقال « هذا فصل عظيم النفع جداً ، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة أوجب من الحرج والمشقة وتكليف ما لا سبيل اليه ما يعلم أن الشريعة الباهرة التى فى أعلى رتب المصالح لا تاتى به ، فان الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد فى المعاش والمعاد وهى عدل كلها ورحمة كلها وحكمة كلها ، فكل مسالة خرجت من العدل الى الجور ، ومن الرحمة الى ضدها ، ومن المصلحة الى المفسدة ، ومن الحكمة الى العبث ، فليست من الشريعة وان أدخلت فيها بالتاويل » . ا.هـ

ومع الأسف أن بعض المشتغلين بالفقه اليوم جمدوا على أقوال فقهاء المذاهب واعتبروا تلك الأقوال نصوصاً شرعية لا يجوز الخروج عنها ، وحتى الأشياء التى سكت عنها الفقهاء السابقون لعدم اثارتها فى عصرهم ، قال هؤلاء بمنعها وتحريمها لعدم ذكر الفقهاء لها ، وأصبح لا هم لهم الا المعارضة لكل اصلاح ، فتراهم أحياناً يجمعون الأدلة الضعيفة والغامضة ليجعلوها ركاماً وسداً في وجوه المصلحين

● كتمان العلم غير وارد

ولقد استغربت ما قرأته أخيراً لبعض المشتغلين بالفقه الاسلامى من معارضة لاقرار حقوق المؤلف بحجة وجوب عدم كتمان العلم ، لأن الحماية فى نظرهم تحول دون نشر الكتاب الاسلامى ، ولعدم وجود نص شرعى على تلك الحماية ، وأن المقابل الذي يحصل عليه المؤلف ، لم يات عن طريق معاوضة صحيحة تتفق مع المعاملات الشرعية التى قررها الفقهاء ، وفات هؤلاء أنهم عندما يجردون الكاتب الاسلامى من حقه فى حماية انتاجه ، انما يتيحون الفرصة للتزوير والتلاعب فى الكتب الاسلامية والدس فيها ، بما يتعارض مع اهداف الكاتب ، فيعظم الضرر وتكبر المفسدة ، ثم كيف يستطيع الكاتب أن يتفرغ للكتابة المتانية العميقة ، إذا لم يتو فر له الدخل المناسب ؟ ولاشك أنه إذا كانت جهة معينة هى التى تصرف عليه وتموله ، فلابد أن يكون انتاجه تحت تاثير هذه الجهة ، بينما الواجب أن يتحرر الكاتب من كل المؤثرات الخارجية ، وان اقرار هذه الحقوق سيساعده على الاستغناء عما فى أيدي الناس الى جانب غزارة الانتاج ، وبالتالى سيؤدي ذلك الى انتشار الكتاب الاسلامى ، فكتمان العلم غير وارد هنا .

قال الدكتور فتحى الدرينى بحق « أن كتمان العلم الذي دل الحديث على تحريمه لزوماً من التهديد والوعيد عليه .. من كتم علماً يعلمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار .. لا ينقض ما تاصل فى التشريع الاسلامى من أصل عتيد ، هو ما يقضي به من حق الملك فى كل ثمرات الجهد الانسانى لصاحبه ، والمال جهد مجسد ، والله تعالى يقول (ولا تاكلوا أمـــوالكم بينـــكم بالباطل (٣)) ويقول تعالى (ولا تبخسوا الناس أشياءهم (٤)) والشيء أعم من أن يكون مادة أو معنى ، وكتمان العلم كاحتكار المنافع والخبرات والسلع ، حيث يخفيها أربابها تغالياً فى أثمانها والناس فى حاجة ماسة اليها ، ولم يقل أحد أن حرمة الاحتكار تستلزم شرعاً بذل المادة المحتكرة مجاناً ودون عوض ، وبالسلع قوام الأبدان وبالفكر قوام الأرواح والعقول بل قوام المدنية والحضارة ، بل على العكس من ذلك أوجب الفقهاء اجماعاً أن يكون البيع باثمان معقولة تحفظ الحق للفريقين ، لا وكس ولا شطط » .

أما الخوف من الكتاب التجاريين الذين لا هم لهم الا الربح المادي ، والناشرين الجشعين ، ففى الامكان معالجة تصرفات هؤلاء بواسطة الأجهزة المختصة فى كل بلد مع العلم أن الكتاب التجاري غالبا ما يكون هزيلا لا يحظى باقبال القراء ، ولا يروج الا إذا وجد الكاتب من يعينـــه على شراء كتبـــه للمؤسسات العامة ، ليوزع بالمجان او يرغم على شرائه الطلاب فى الجامعات بالثمن الذي يريده مؤلفه ولا ننكر أن هناك مؤلفات قيمة لا تباع الا إذا وجدت من يمد لها يد العون « إلا بحبل من الله وحبل من الناس » فاخذ المؤلف للمال مقابل حقوقه من الناشر لاشك أن ذلك مال حلال ، فقد انفق جهده ووقته وماله من أجل اخراج ذلك الكتاب الى حيز الوجود ، والأصل فى الأشياء الاباحة ، ومن يقول بتحريم شيء فعليه الدليل ، والحرام من المال هو الذي جاء عن طريق الربا والميسر والسرقة والغصب والاحتيال أو المتاجرة فى المحرمات كالخمر والحشيش

أما ما يتحصل عليه المؤلف مقابل حقوقه فهو غير ذلك بيقين؟والاعتداء على حقوقه وعدم استئذانه فى نشر كتبه جريمة يعاقب عليها الشرع ، ويعوض التعويض المناسب لأنه حق محترم ومال متقوم شرعاً كما ان له قيمة فى العرف ، والعرف أساس مالية الأشياء ومنشأ الحقوق ، واسم المال يطلق على ما له قيمة وما لا يطرحه الناس اي ما ينتفع به ، ولذلك قال الفقهاء : ان الديدان تكون مالا متقوماً إذا استعملت للصيد وطعماً للسمك ، فعلقوا ماليتها على الانتفاع بها ، فكل ما جرى فيه البذل والمنع بين الناس يعتبر مالا فى الفقه الاسلامى يجوز التبايع فيه ، بشرط أن يكون غير محرم الانتفاع به فى الشرع كالخمر وغيرها ، ولا يشترط أن تكون الأموال أعياناً بل يجوز أن تكون حقوقاً معنوية ، وان كان الأصل فى اللغة أن المال من التمول ، وهو الاحراز الا أن الاصطلاح الشرعى قد جعله يشمل الأعيان والمنافع كما عليه جمهور الفقهاء .

فحق المؤلف إذاً متفق عليه من كل الفقهاء حسب قواعدهم الا انه هل ينتقل للورثة حسب هذه القواعد ؟ قد يفهم انه لا ينقل للورثة حسب قاعدة الأحناف فى انتقال الحقوق المجردة التى هى وصف شخصي للمورث ، فتشبه المشيئة والراي ولا علاقة لها بشيء من الأعيان المادية كخيار الشرط فى البيع وحق الشفعة ، بينما يرى الشافعية والمالكية والحنابلة : أن الحقوق المجردة تنتقل الى الورثة ، وحجة الأحناف أنه لابد من دليل سمعى فى جواز نقل الحقوق الى الورثة ، وقالوا ان حديث « من ترك مالا أو حقاً فلورثته ومن ترك كَلاًّ وعيالا فعلى » . قالوا ان الثابت هو من ترك مالا فلورثته .. الخ ، أما « حقاً » فهى زيادة لم تثبت عندهم ، غير أن الأحناف أنفسهم يقولون : ان الحقوق التى يجوز أخذ بدل مالي عنها يجري فيها الأرث كحق القصاص وحق رد السلعة المعيبة ، فانه يجوز للمشتري ان ياخذ قيمة نقصان سلعته بالعيب إذا تعذر ردها ، وفى مقابل القصاص يجوز أن ياخذ ولي الدم الدية ، وقالوا انه يجري الارث أيضاً فى الحقوق المتعلقة بعين مادية مستقلة عن المورث ، كحق الشرب ، ومعناه : حق صاحب الأرض المروية أن يسقي أرضه من الماء الذي اعتاد أن يسقيها منه ، وحق المسيل وهو حق إجراء الماء فى أرض جاره ، وحق التعلي أي حق البناء فوق بناء الغير،وبما أن المؤلف يتسلم عوضاً عن حقه ، فيكون الأحناف متفقين مع بقية الفقهاء في جواز انتقال حق التاليف الى الورثة فى حالة وفاة المؤلف .

● الفقه الاسلامى يؤيد سن قانون حماية حقوق الانتاج الذهنى

ومما تقدم نعلم أن الفقه الاسلامى يؤيد سن القوانين والأنظمة التى تدعو اليها الحاجة وتقتضيها المصلحة العامة على الا تحلل ما حرمه الله فى محكم تنزيله وسنة نبيه ، أو تحرم ما أحل الله فيهما ، ومن هذه القوانين التي يؤيد سنها الفقه الاسلامى ، قانون حماية حقوق الانتاج الذهنى المادية والأدبية ، وباتفاق دول العالم على صيانة هذه الحقوق وحمايتها ، يجعل ذلك عرفاً عاماً لا يستطيع احد أن يتجاهله ، فتقارب المسافات بسبب سرعة المواصلات ، جعل الدول كلها متصلة بعضها ببعض كانها بلد واحد ، وقد توفرت فى هذا العرف الشروط التى تجعله معتبراً وملزماً فى نظر الفقه الاسلامى ، وهذه الشروط هى : (١) الا يخالف نصاً (٢) أن يكون غالباً مطرداً (٣) أن يتحتم العمل بمقتضاه فى نظر الناس ، قال ابن العربى « فى كتابه احكام القرآن : العادة : وهى كلمة مرادفة للعرف « دليل أصولى بنى الله عليها الأحكام وربط به الحلال » واصبح من القواعد الفقهية المقررة (العادة محكمة) والثابت بالعرف كالثابت بالنص ، ومن يتتبع كتب الفقه يجد كثيراً من الأحكام بني على العرف ، فالاستصناع أجازه الفقهاء لجريان العرف العام به ، وإنما اعتبر الفقهاء العرف تاسياً بالشارع الحكيم إذ أقر الكثير من أعراف العرب وعاداتها قبل الاسلام بعد أن نظمها لهم مثل عقود البيع والمضاربة والاجارة وفرض الدية على العاقلة ، ولم يلغ من ذلك الا الضار كالربا والميسر والتبنى وحرمان النساء من الميراث ، وقال تعالى (خذ العفو وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (٥))، وفى الحديث ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن .

وبناء على ذلك يمكننا أن نقول مطمئنين إن قواعد الفقه الاسلامى وأصوله تحمى حقوق المؤلفين والناشرين والمخترعين والمبتكرين وحقوق الانتاج الذهنى بصورة عامة ، وليس هناك ما يدعو للتردد فى ذلك ، وهذا رأي جمهرة من الفقهاء المعاصرين منهم الدكتور وهبة الزحيلى أستاذ ورئيس قسم الفقه الاسلامى بجامعة دمشق ، والدكتور فتحى الدرينى والشيخ عبد الحميد طهماز والمفكر الاسلامى الشيخ أبو الحسن الندوي والدكتور يوسف القرضاوي والشيخ محمد الغزالي ، وغيرهم من العلماء والفقهاء ، ولم يقف معارضاً لذلك الا القلة منهم الشيخ تقى الدين النبهانى ، ولم يكن مع هذه القلة اي حجة من كتاب أو سنة ، وغاية ما يمكن أن يستدلوا به ، هو القياس ، ولو سلمنا بوجاهة استدلالهم ، فان القياس يترك للمصلحة الراجحة كما هو معروف فى أصول الفقه والحق أحق أن يتبع ، والله ولي التوفيق .

عبد القادر بن محمد العماري

هـــــوامـــــش

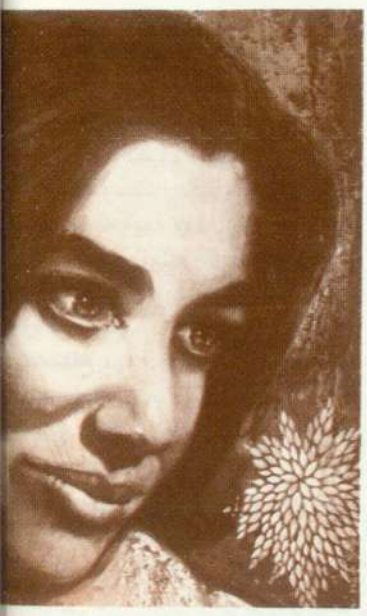
(١) الآية ١٨٥ البقرة
(٢) الآية ٧٨ الحج
(٣) الآية ١٨٨ البقرة
(٤) الآية ٨٥ الأعراف
(٥) الآية ١٩٩ الأعراف

رحلة صعبة.. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان.. ترويها بقلمها



لقطة نادرة من ايام الطفولة للشاعرة العربية فدوى طوقان وتظهر فدوى إلى يمين والدها الذى يتوسط الصورة ، ويبدو ابراهيم طوقان جالسا إلى يساره .



الشاعرة العربية فدوى طوقان

أول مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

- لم أكن يوماً راضية عن حياتي أو سعيدة بها
- قصتي هي قصة الكفاح مع العطش والصخر
- اخترت أن أكون من مواليد برج "الحوت"!
- ظللت في طفولتي أتلهف للحصول على دمية دون جدوى

« رحلة صعبة .. رحلة جبلية » هو الاسم الذى اختارته الشاعرة العربية المبدعة فدوى طوقان عنواناً لقصة حياتها ، التى ترويها هنا بصدق وصراحة وأمانة وعذوبة بالغة ، وقد نشرت بعض الصحف العربية أجزاء مبعثرة من هذه المذكرات ، ولكن « الدوحة » اليوم تنشر هذه المذكرات الرائعة بصورتها الكاملة ، حتى تتيح للقارىء العربى فى كل مكان ، ومن خلال الانتشار الواسع للدوحة ، أن يجد هذه المذكرات بين يديه .. ولاشك أن هذه المذكرات هى أصدق وأرقى وأجمل مذكرات كتبتها أديبة عربية فى هذا العصر ، وهى تستحق أن توضع إلى جانب أهم المذكرات المعروفة فى الأدب العربى مثل « أيام » طه حسين ، « وزهرة العمر » لتوفيق الحكيم .

ومع هذه المذكرات نستطيع أن نبدأ بغير مقدمات طويلة .

« الدوحـــة »

مدخـــــل الرحـــــــلة

ظللت ، طيلة عمرى الأدبى ، احس بانكماش ونفور من الاجابة على الأسئلة التى توجه الى عن حياتى ، والعوامل التى وجهت هذه الحياة وأثرت فيها .

وكنت أعرف السبب ، سبب ذلك الانكماش والنفور من الاجابة على الأسئلة . ذلك اننى لم اكن يوماً براضية عن حياتى او سعيدة بها ، فشجرة حياتى لم تثمر الا القليل ، وظلت ـ روحى تتوق الى انجازات افضل وافاق ارحب .

اذن ، لماذا كتبت هذا الكتاب الذى اكشف فيه بعض زوايا هذه الحياة التى لم ارض عنها ابداً ؟ بتواضع غير كاذب اقول إن هذه الحياة ، على قلة اثمارها ، لم تخل من عنف الكفاح .

ان البذرة لا ترى النور قبل ان تشق فى الأرض طريقاً صعباً ، وقصتى هنا هى قصة كفاح البذرة مع الأرض الصخرية الصلبة . انها قصة الكفاح مع العطش والصخر .

فلعل فى هذه القصة اضافة خيط من الشعاع ينعكس امام السائرين فى الدروب الصعبة . واحب ان اضيف هذه الحقيقة وهى ، أن الكفاح من اجل تحقيق الذات يكفى لملء قلوبنا واعطاء حياتنا معنى وقيمة .

لا ضير علينا لو خسرنا المعركة ، فالمهم الا ننهزم او نلقى السلاح .

لقد تكسرت فى قصة « العجوز والبحر » للكاتب الامريكى همنجواى كل المعدات البسيطة التى قاتل بها الصياد العجوز سمك القرش فى البحر الصاخب ، والسمكة الضخمة التى تمكن من السيطرة عليها بعد أيام صعبة من النضال ضد العناصر وضد الجوع والعطش ، لم يكن قد تبقى منها حين عاد الى الشاطىء سوى هيكلها العظمى . لقد غلبته جموع سمك القرش على امره وافترست السمكة بالرغم من مقاومته لها حتى النهاية .

وحين عاد فارغ اليدين ، مكدوداً ، مرهقاً ، نظر الى البحر باحتقار وبصق عليه .

ان قوى الشر ، سواء أكانت طبيعية ام اجتماعية ام سياسية ، تقف دائماً ضد الانسان وتعمل على تحطيمه ، ولكن الانسان يقف امام هذه القوى بكبرياء وعناد بالرغم من ضعفه .

او هذا هو الموقف الذى يجدر بالانسان ان يتخذه ليحتفظ بكرامته وقيمته كانسان . الصبر والمقاومة حتى النهاية ومهما كانت النتيجة .

لم افتح خزانة حياتى كلها ، فليس من الضرورى ان ننبش كل الخصوصيات . فمن هذه الخصوصيات ما هو مقيت وكريه .. هناك اشياء نحب ان ننساها ونقتل ذكراها . وهناك اشياء عزيزة ونفيسة ، نؤثر ان نبقيها كامنة فى زاوية من ارواحنا بعيدة عن العيون المتطفلة ، فلابد من ابقاء الغلالة مسدلة على بعض جوانب هذه الروح صوناً لها من الابتذال .

ما كشفت عنه هو الجانب الكفاحى الذى ذكرت قبل قليل .. كيف استطعت فى حدود ظروفى وقدراتى ، ان اتخطى ما كان يستحيل تخطيه لولا الارادة والرغبة الحقيقية فى السعى وراء الأفضل والأحسن . ثم اصرارى على ان اعطى حياتى معنى وقيمة افضل مما كان مخططاً لها .

القالب الفولاذى الذى يضعنا فيه الأهل ، ولا يسمحون لنا بالخروج عليه .

القواعد المألوفة التى يصعب كسرها . التقاليد الخالية من العقل ، والتى تضع البنت فى قمقم التفاهة . كنت توقاً مستمراً الى تحطيم كل هذا وتخطيه . كنت توقاً مستمراً الى الانطلاق خارج مناخ الزمان والمكان . والزمان هو زمان القهر والكبت والذوبان فى اللاشيئية . والمكان هو سجن الدار .

هناك من ياتى الى هذا العالم فيجد الطريق امامه مفتوحاً ناعماً . وهناك من ياتى فيجد الطريق شائكاً صعباً .

على هذا الطريق الصعب رماني المجهول ، ومن هذا الطريق الصعب بدأت رحلتى الجبلية .

حملت الصخرة والتعب ، وقمت بدورات الصعود والهبوط ، الدورات التى لا نهاية لها . لا يكفى ان نحمل آمالا كباراً واحلاماً واسعة ، حتى الارادة وحدها لا تكفى ..

لقد أدركت ان العمل هو الوجه الآخر للحلم والارادة ..

وقررت ان اتعامل مع هذه العملة ذات الوجهين : الارادة والعمل .

أول مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

خرجت من ظلمات المجهول الى عالم غير مستعد لتقبلي . امي حاولت التخلص مني في الشهور الاولى من حملها بي . حاولت وكررت المحاولة . ولكنها فشلت .

عشر مرات حملت امي . خمسة بنين اعطت الى الحياة وخمس بنات . ولكنها لم تحاول الاجهاض قط الا حين جاء دوري .

هذا ما كنت اسمعها ترويه منذ صغري .

كانت مرهقة متعبة من عمليات الحمل والولادة والرضاع ، فقد كانت تعطى كل عامين او كل عامين ونصف العام مولوداً جديداً . يوم تزوجت كانت في الحادية عشرة من عمرها ، ويوم وضعت ابنها البكر كانت لم تتم الخامسة عشرة بعد .

واستمرت هذه الارض السخية ـ كارض فلسطين ـ تعطى ابى غلتها من بنين وبنات بانتظام .

احمد ـ ابراهيم ـ بندر ـ قتايا ـ يوسف ـ رحمي ..

وكان هذا كافياً بالنسبة لامي ، وان لها ان تستريح . ولكنها حملت بالرقم السابع على كره ، وحين ارادت التخلص من هذا الرقم السابع ظل متشبثا في رحمها تشبث الشجر بالارض ، وكانما يحمل في سر تكوينه روح الاصرار والتحدى المضاد .

ولاول مرة في حياتهما الزوجية ينقطع ابى عن محادثة امى لبضعة ايام ، فقد اغضبته محاولة الاجهاض .

كان المال والبنون بالنسبة له زينة الحياة الدنيا . وكان يطمع بصبى خامس . ولكني خيبت امله وتوقعه .

اصبح لديه الآن ثلاث بنات مع البنين الاربعة .. وتبعني فيما بعد اديبة ثم نمر ثم حنان . واستكملنا العدد (عشرة) .

• • •

كان ابي وامي من مدمني قراءة روايات جرجى زيدان التاريخية . واحبا شخصية البطلة في قصة « اسيرة المتمهدى » واحتفظت ذاكرتهما باسمها ليعطياه لاول انثى تولد لهما فيما بعد .

• • •

● كنت أضرع للسماء أن تجعل لخدّي لونًا جميلاً مشربًا بالحُمرة !

تاريخ ميلادى ضاع في ضباب السنين ، كما ضاع في ذاكرتيهما .

واسال امي ـ لكن يا امي على الاقل في اى فصل ؟ في اى عام ؟

وتجيب ضاحكة ـ كنت يومها اطهى « عكوب » هذه هى شهادة ميلادك الوحيدة التى احملها .. لقد انسيت الشهر والسنة ، ولا اذكر الا انني بدات اشعر بالام المخاض وانا انظف اكواز العكوب من اشواكها .

والعكوب ـ والكلمة سريانية ـ بقلة شائكة من فصيلة المركبات ، تنبت في جبال نابلس ، ويغطى موسمها اكثر من ثلاثة شهور ـ شباط واذار ونيسان ـ .

كانت امى كجميع الناس في بلادنا ، تؤرخ الوقائع باحداث بارزة رافقت تلك الوقائع ، كانت تقول ـ جرى ذلك عام الثلجة الكبيرة او عام الجراد او عام الزلزال الخ ... وهى عادة في التاريخ كانت متبعة لدى الجيل السابق ولاتزال معمولا بها في بعض القرى الفلسطينية .

• • •

بكل ما احمل من طبيعة النزوع الى الغيبيات ، رحت استطلع وابحث عن السمات الخاصة بمواليد بروج هذه الاشهر الثلاثة . ووجدت ان سمات مواليد برج الحوت ـ من ٢٠ شباط الى ٢٠ اذار ـ تنطبق بشكل غريب على طباعى وميولى .

ووضعت نفسى في برج (الحوت) ... سخافات نضحك منها ، ولكننا نظل نشعر بميل خفى اليها بالرغم من عدم ايماننا بها . ان عقلنا يرفض دائماً ما يخرج عن دائرته ، غير ان النزعة الخفية الى الغيبيات تظل كامنة فينا .

في عام ١٩٥٠ كان علي ان استخرج اول جواز سفر لي . وقالت امى :

«انا ادلك على مصدر موثوق حيث يمكنك التيقن من عام ميلادك . فحين استشهد ابن عمى كامل عسقلان كنت في الشهر السابع من الحمل . وكنت احب ابن عمى كامل حباً شديداً ، لم يكن لي اخوة فكان هو اخى . فارس يبهر الانظار بقامته الفارهة وطلعته الخلابة ، وذكائه الحاد وخفة دمه ودماثته . شعرت بدمى يحترق يوم الفاجعة ، ورحت اصرخ وابكى مع امه واخته وكان وحيدهما ، وكنت انت تتخبطين وتقفزين في احشائى من جانب آخر . والنسوة في المأتم يطلبن منى الرحمة بالجنين ويقلن لي ـ اشفقى على هذا الولد في بطنك ، حرام عليك» .

وتذكرت ما قرات عن ظروف الحياة الجنينية التى تضيف الى التركيب الفطرى للكائن البشرى ، كتاثير الوضع الصحى للام اثناء الحمل وتصرفها الجسماني وصحة تغذيتها والانفعالات التى تشعر بها .

وداخلنى شعور بالشفقة طي الذات ... ولكى اتخلص من ذلك الشعور قلت لها وانا اضاحكها . ـ دلينى إذن على قبر ابن عمك كامل ، فلم يبق امامى إلا ان استخرج شهادة ميلادى من شاهدة قبر ابن عمك .

وضحكنا معاً للمفارقة ، واتفقنا على ان تصطحبنى في اليوم التالى الى المقبرة الشرقية حيث يرقد هناك ابن عمها شهيد الحرب كامل عسقلان .

بين عالم يموت ، وعالم على ابواب الولادة ، خرجت الى هذه الدنيا .

الامبراطورية العثمانية تلفظ آخر انفاسها . وجيوش الحلفاء تواصل فتح الطريق لاستعمار غربى جديد ١٩١٧ ...

في سبتمبر ١٩١٨ تم احتلال باقى فلسطين . وفي نابلس القى الانكليز القبض على ابى ونفوه الى مصر مع رجال آخرين كانوا على وعي باخطار الاستعمار الغربى الذى بدأ يظهر للعيون اليقظة .

فمع مطلع القرن العشرين نمت الحركة القومية العربية .

«مصر وليبيا وشمال افريقيا تتقاسمها الدول الاستعمارية . بريطانيا وايطاليا

على ضفاف الحلم يغني الأطفال

قصة بقلم: عبدالقادر عقيل

(١)

كنت ومنذ فترة قد وطنت نفسي على ان لا استمع الى المذياع او اشاهد التليفزيون او اقرا الجرائد اليومية ، حتى لا تثور اعصابي ويرتفع ضغط دمي مما يحدث في هذا العالم : كوارث طبيعية / انقلابات عسكرية / اغتيالات / اختطاف طائرات / اعمال عنف / عصيان مدني / احتلال مدن !

كل شيء يقول لي ان هذا زمن تعيش فيه الدنيا تحت خيمة الشر ، وان المنقذ الوحيد الذي يحميني من الدخول في هذه الخيمة ، هو ابتعادي عن الآخرين . انقطاعي عن عادة قراءة الجرائد اليومية كان امرا سهلا وحتى المذياع كان امره سهلا ايضا ، فقد حددت مؤشر المذياع على محطة لا تبث الا الموسيقى ، فهي اللغة الوحيدة في هذه العالم التي لا توحي بالشر . وامرت زوجتي وابني الصغير الا يديرا هذا المؤشر حتى لو قامت القيامة . ولحسن الحظ فان زوجتي لا تقرا الجرائد ولا تستمع الى المذياع ، وابني لا يحب الا الموسيقى .

لكن انقطاعي عن مشاهدة التليفزيون كان امرا صعبا للغاية ، فانا احب التليفزيون ، انه الجهاز الذي يمنعني من ان اقابل احدا او اضطر الى الخروج من البيت . انا احب البيت لأن فيه تليفزيونا .

ولكنني كنت قد قررت ، وكان القرار قاسيا جدا .

في الليلة الاولى حبست نفسي في حجرتي ، ورفعت من صوت المذياع حتى انسى امر التليفزيون الذي يؤانس زوجتي في الحجرة الاخرى . لم اطق صبرا ولم اهدا حتى جلست امام الشاشة الصغيرة .

ضحكت زوجتي وقالت : « هذا ترياقنا » .

وبعد فشلي امرت زوجتي ان توثق يدي بالسلاسل وتربطهما بحافة السرير بينما هي تقوم برفع صوت التليفزيون . كانت المسالة فوق طاقتي واحتمالي ، ارغيت وازبدت وصرخت في زوجتي ان تفك قيودي ولكنها لم تكسر تعليماتي واخذت تنظر الى بشفقة مبالغ فيها .

شعرت بانني ساصاب بانهيار عصبي . صرخت امرا اياها ان تفك قيودي والا طلقتها ، ولكنها لم تتحرك من مكانها . حاولت رفع السرير ولكنه كان ثقيلا جدا ، فقبلت بالهزيمة .

حين تعب التليفزيون من بث برامجه ، جاءت زوجتي وحررتني من السلاسل وبعطف شديد اخذت راسي الى صدرها تهدهدني كطفل صغير .

قلت وانا انخرط في البكاء : ؟«بعد اسبوع لن احتاج الى الترياق » .

(٢)

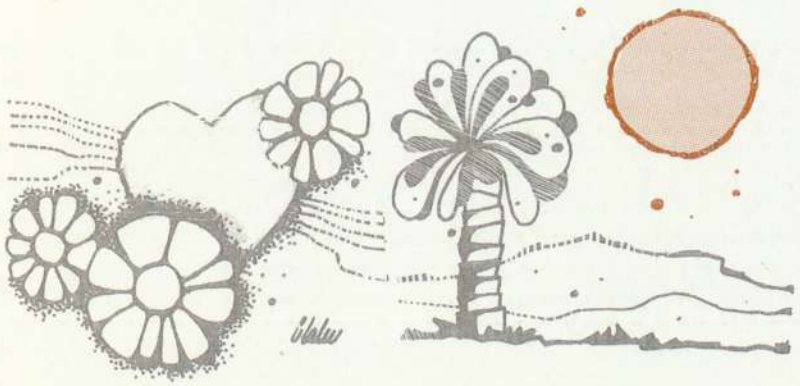
انا الآن في حالة جيدة . فانا لا اقرا الجرائد اليومية ، ولا استمع الا الى الموسيقى في المذياع ولا اشاهد التليفزيون. بعد الدوام اعود الى البيت ولا اخرج منه حتى صباح اليوم التالي ، كل شيء يسير على ما يرام ، لا احد يقلق عالمي الخاص ، هنا انا استوى على صهوة الحكم ، اقود مملكة شعبها زوجتي وابني الذي في الخامسة من عمره .

انا الآن في حالة جيدة ، فزوجتي طيبة وسعيدة لانني معها طوال اليوم . وابني سعيد لانني اسرد عليه الحكايات والقصص والعب معه .

فكرت في ان استقيل من عملي واتفرغ لبيتي ، فلا اخرج منه ابدا ، وفكرت بانني ساحتاج الى مبالغ تؤمن سعادة مملكتي ، فاهتديت الى فكرة كتابة مقالات منتظمة للصحف عن دور العنف في احلال السلام العالمي ، على ان لا اذهب الى مقر الجريدة الا لاستلام مبالغي . ثم بعملية حسابية بسيطة اكتشفت بانني ساضطر الى العمل في ثلاث جرائد حتى استطيع ان افي بمتطلبات المملكة الاساسية ، لذا ازحت فكرة الاستقالة من العمل جانبا .

كل شيء كان يسير على ما يرام ، حتى

على ضفاف الحلم يغني الأطفال



مساء الأربعاء الماضى ، حين جاءتنى زوجتى وعلامات هلع مرسومة على وجهها تسالنى عن الصغير .

قلت بارتباك ظاهر : « ماذا حدث ؟ » .

رايت وجهها يمتقع ويزداد هلعا .

« ـ الصغير اختفى ، بحثت عنه فى كل مكان ولم اجده » .

حاولت تهدئتها وطلبت منها ان تجد فى البحث عنه لانه كثيراً ما يختفى فى خزانات الملابس . تركتنى مسرعة لتبحث عنه من جديد . ساورتنى الوساوس واقشعر بدنى حين فكرت فى ان يكون حقاً قد اختفى او اختطف .

عادت زوجتى بعد قليل واخذت تلطم وجهها بقوة . صرخت فيها ان تكف عن ذلك . ولكنها واصلت الصياح طالبة منى ان اخرج الى الشارع بحثاً عنه .

فتشت البيت كله . فتحت الباب وخرجت الى الشارع . سالت الجيران . بحثت عنه فى المناطق السكنية الاخرى . ولا فائدة .

عدت الى البيت . استقبلتنى زوجتى بالكثير من الاسئلة ، وحينما عرفت باننى لم اجده واصلت البكاء .

جلست افكر بهدوء . اين يمكن ان يكون قد ذهب ؟ . وفكرت متى رايته آخر مرة . تذكرت انه جاء الي قبل نصف ساعة تقريباً من مجيء زوجتى وارانى كتاباً مصوراً وطلب منى ان اقرا له القصة ولكننى تمانعت فتركنى وعاد الى حجرته .

جاءت زوجتى . منذ زمن بعيد لم ارها وهى تبكى ، والبكاء يعنى قدوم الشر . طلبت منى بتضرع ان اتصل بالشرطة . فشعرت بقشعريرة فى بدنى . فانا اخاف من رجال الشرطة خوفا شديداً ، ولازلت اتذكر كيف ضربنى شرطى مرة بطريق الخطا حين اعتقد اننى ضمن الاشخاص الذين حطموا نوافذ المدرسة فى مظاهرة طلابية .

« ـ ارجوك اتصل بالشرطة » .

اتصلت بهم فطلبوا منى ان اذهب الى اقرب مركز للشرطة واقدم بلاغاً بما حدث . خرجت مع زوجتى ومشينا مسافة طويلة حتى وصلنا الى المركز . توقفت زوجتى عن البكاء . عند باب المركز استوقفنى شرطى . سالنى . شرحت له ما حدث . فاشار علينا ان نذهب الى مكتب على الشمال .. فى الطريق الى المكتب فكرت ، قد يستقبلنى الشرطى الذى ضربنى قبل عشرين عاما . وقد يوجه الي اللوم لاننى لم احافظ على امن المدرسة فى الصغر ، ولم احافظ على امن البيت فى الكبر ، وقد يتفرس فى وجهى ملياً ثم يقول هذا هو الذى ابحث عنه منذ سنوات طويلة ، اقبضوا عليه .

دخلنا المكتب فقابلنا شرطى باحترام . شعرت بطمانينة حين رايت الوجه مختلفا عن وجه الشرطى الذى ضربنى . شرحت له كل ما جرى ، فاندهش فى بداية الامر ، ثم علل بان ابنى قد يكون خرج من البيت ثم اختطفته عصابة من المجرمين ، او قد تكون سيارة دهسته ونقلته الى المستشفى . كلامه هذا كاد ان يسقط زوجتى على الارض ، شعرت بيدها تقبض على ذراعى بقوة شديدة .

قال الشرطى الذى لاحظ الخوف على وجهينا : « سنتصل بجميع المستشفيات ونسال كل اقسام الشرطة ، اطمئنا » .

وطلب منا الجلوس خارجاً حتى ينتهى من اتصالاته . جلسنا على كرسى خشبى طويل مثبت فى الردهة .

قالت زوجتى وهى تمسح دموعها : « كيف خرج من البيت والباب مغلق باحكام ؟ » . قلت عاجزاً عن التفسير : « لا ادرى » .

لاحظت ان احد رجال الشرطة الجالسين فى المكتب المواجه لنا يخلس النظر الى زوجتى ، ويمسح بين اللحظة والاخرى على طرف شاربه الكث الذى يخفى فمه . فكرت ماذا افعل لو هددنا انا وزوجتى بالسلاح ؟

« ـ اعتقد ان ابنكما موجود بالمستشفى » .

نهضنا بوجل .

« ـ ماذا اصابه ؟ » .

« ـ سنكتشف الأمر الآن » .

ركبنا سيارة الشرطة ، وتحركت بسرعة فائقة فى الطريق قص علينا الشرطى بعض الحكايات المشابهة ، وكيف ان رجال الشرطة يكتشفون ما يحدث بسرعة ، وقال شيئاً مضحكاً عن قطة سرقت دجاجة وادخلتها فى محطة لتوليد الكهرباء ، فاصاب القطة والدجاجة تيار كهربائى قوى صعقهما فوراً .

تساءلت ماذا حدث لابني ؟ هل سرق المفتاح وفتح باب البيت وخرج الى الشارع ؟ ماذا بعد ؟ لعب فى الشارع وجاءت سيارة مسرعة ودهسته ؟ هل يمكن ان يكون قد مات ؟

وصلنا الى المستشفى ، ووجود الشرطى معنا سهل مهمة الدخول الى قسم المعالجة الطارئة . تركنا الشرطى وتكلم مع ممرضة اجنبية . شاهدت شخصاً ممدداً على السرير ووجهه مغطى بالدم . الممرضة طلبت من الشرطى أن يتبعها ، وهو طلب منا ان نتبعه . توقفت الممرضة واشارت على طفل صغير وهو فى النزع الاخير .

« ـ هل هذا هو ابنكما ؟ » .

نظرنا الى الطفل الصغير ، لم يكن ابننا .

تساءلت : اين هو اذن ؟ .

قال الشرطى : « اذن لابد ان عصابة اختطفت ابنكما ، حتما سيتصلون بكما طلبا للفدية » .

(٣)

انقضى اسبوع كامل على اختفاء الصغير دون ان نعلم عن امره شيئا ، توقعنا حسب ما قال لنا الشرطى ان يتصل بنا المختطفون ويطلبون فدية مقابل ارجاع الصغير كما يحدث عادة فى الافلام السينمائية ، ولكن دون طائل .

لماذا انهارت مملكتى فجاة ؟ . قطعت كل وشيجة تربطنى بالاخرين ولكن الشر استطاع ان يهز بيده القوية اركان الامن فى مملكتى .

زوجتى اصيبت بانهيار عصبى . واصبح شكلها مخيفا جدا . احيانا تنهض فى الليل وتهزنى هزا عنيفا ، وتقول انها تسمع صوت الصغير يناديها ويناديني . لست فى حالة جيدة الآن ، فقد جلست طيلة الاسبوع افكر بمنطقية فى اسباب اختفاء ابنى ، ولم اهتد الا الى نتيجة واحدة وهى ان احدا ما اختطفه او قتله . ولكن لا ادرى لم راودنى احساس غريب بان ابنى حي ولم يمت حتى الآن ، وهذا ما جعلنى رابط الجاش ولا انهار .

لاحظت فى ليال عديدة ان زوجتى تنهض من فراشها وتذهب الى حجرة الصغير ، ثم تعود وعلى وجهها عشرات الاسئلة . تهزنى ، وتطلب منى ان استيقظ لتقول لي بانها سمعت صوت الصغير هذه المرة ايضا .

وقد دفعنى فضولى فى ليلة من الليالى الى ان اتفحص حجرة الصغير ، فاعدت تفتيش كل الاشياء من جديد ، وحين تعبت جلست على سريره اجول النظر فيما حولى وكانت مفاجاة مذهلة لي حين سمعت صوته ياتينى من مكان ما . اننى اسمعه بوضوح ، فهو تارة يناديني وتارة ينادى امه فى البدء حدست اننى قد اكون جننت او تاثرت برؤاية زوجتى عن سماعها الصوت فى كل ليلة ، ولكننى اجزم بان الصوت كان واضحا جدا . وهو بلاشك صوت ابنى ، ينبعث من مكان ما خلف الجدران الاربعة .

لكن كيف ياتى الصوت من خلف الجدران ؟

قلت لنفسى انها فكرة مجنونة . عدت الى حجرتى وجلست افكر بمنطقية اكثر .

جاءت زوجتى ووقفت دون ان تتكلم .

قلت لها : « انا ايضا سمعت صوته » .

فنكصت الى الوراء وسقطت على الأرض مغشيا عليها .

وضعتها على السرير وريت على خدها ورششت بعض الماء على وجهها حتى افاقت ، وطلبت منها ان تخلد للهدوء والسكينة ريثما افكر فيما يحدث بهدوء .

عدت من جديد الى حجرة الصغير . وقفت اصيخ السمع بدقة ، بعد قليل عبر صوته الى اذنى واضحا ، لا يزال يناديني تارة وينادى امه تارة اخرى . ركزت على مصدر الصوت فكان خلف سريره مباشرة . جلست على السرير ووضعت اذنى على الجدار وفجاة هويت الى داخل الجدار فاطلقت صرخة عنيفة وخلت بانني ساسقط على اسفلت الشارع وتتحطم راسي ، ولكننى وجدت نفسى اسبح فى فضاء لا متناه تملؤه الكواكب والنجوم المضيئة اسبح فى الالوان ، واسمع صوت موسيقى شجية كانها تنبعث من الكواكب . لم اكن استطيع ان اسيطر على نفسى ، كنت اهوى بسرعة شديدة ، ولم اتوقف حتى وجدت نفسى فى مكان غريب لا يمكن ان يكون على الأرض . وقفت مشدوها ، واسترعى انتباهى سماعى اصوات الموسيقى العذبة التى تنبعث من كل مكان ، كان المجرة كلها تبعث انغاما . فزعت واستوحشت وبحثت عن سبيل للفرار والعودة الى بيتى ، وتساءلت : اين انا ؟ وكيف جئت الى هنا ؟

لم تمض دقائق حتى رايت ابنى الصغير امامى ، ينظر الى وابتسامة جميلة ترتسم على شفتيه ، احتضنته بقوة وقبلته كثيرا وسالته : « ماذا تفعل هنا ؟ » . فلم يجب ، انما ظل مبتسما طوال الوقت ، وطلب منى بايماءة ان لا اتكلم . اخذ يدى ومشى ، توقفت سالته : « الى اين ؟ » .

هسهس واشار علي بالسكوت ، ومضى يتقدمنى . وبغرابة شديدة مشيت وراءه . رايت فى منظر مدهش واخاذ مئات الاطفال الصغار لا تتجاوز اعمارهم الخمسة اعوام جميعهم يبتسمون كانهم يحيوننى . كدت اضحك من نفسى . لابد اننى جننت ، والا باى منطق افسر كل ما يحدث امامى . لاحظت ان الموسيقى لا تتوقف ابدا ، والاطفال يلعبون ويمرحون دون ان يتشاجروا او يصرخوا او يبعثوا اصواتا ، اللغة الوحيدة هنا هى الموسيقى .

رايت الاطفال يتحلقون حولي ويمدون ايديهم الصغيرة الي ، انظر الى ابني مستفسرا ، فيمد هو ايضا يديه الي . اذعن لطلبهم واسير معهم .

اري جهازا غريبا بحجم الرجل العادى ، نقف عند الجهاز . يشيرون باصابعهم نحوه . انظر الى ابنى ، فيشير هو ايضا باصبعه نحوه .

تجرات وخطوت وحيدا نحو الجهاز ، التفت اليهم ، ما تزال الابتسامات الجميلة مرتسمة على شفاههم . دخلت فى الجهاز فشعرت بما يشبه الانفجار فى داخلى . وخرجت بعد لحظة من الطرف الاخر للجهاز ، ولكننى كنت طفلا صغيرا لا يتجاوز الخامسة من عمره . كنت مبتهجا مغتبطا الى اقصى الحدود .

رايت الأطفال يصفقون جميعا ويهرعون نحوى لتحيتى . تضاءلت عندى حاجة النطق وشعرت بصفاء ونقاء وطهارة ، انا الآن طفل سعيد .

جاء ابنى وامسك يدى . وجاء طفل آخر وامسك بيدى الأخرى . وجاء اطفال آخرون وامسكوا بايدى بعضهم حتى صرنا دائرة كبيرة من الاطفال ، واخذنا نرقص على انغام الموسيقى التى لا تتوقف .

(٤)

وقفنا ، انا وابنى ، يممنا وجهينا شطر الكوكب البعيد ، واخذنا ننادى على المراة التى تنتظر زوجها وابنها .

عبد القادر عقيل ـ البحرين

هـذه المذبحـة .. وصـمة عـار في جبـين من ؟!

لماذا لا يقام نصب تذكاري لشهداء المذبحة في كل عاصمة عربية ؟

بقلم : عصـام شريـح

مرت الذكرى الاولى لمذبحة « صبرا وشاتيلا » ـ المخيمين الفلسطينيين فى القطاع الغربى من بيروت ، فى ١٦ و ١٧ من الشهر الماضى (ايلول ـ سبتمبر) ، دون أن تحظى على المستويين الرسمى والشعبى العربى ، بما تستحق من اهتمام .. وكان هذه المذبحة .. هى مجرد حدث عابر ، وليست منعطفاً حقيقياً فى مسيرة الصراع العربى ـ الصهيونى ؟! ولأن مذبحة « صبرا وشاتيلا » تمثل هذا المنعطف الحاسم ، باعتبارها تطوراً نوعياً فائق الاهمية فى الصراع ، فاننا سنحاول اعادة رسم لوحة للمذبحة بالكلمات والصفحات التالية .. كى لا ننسى ما حدث أولا .. وكى نستخلص العبر والدروس المطلوبة ، ونستخدمها فى صلب المعركة مع العدو .

كان المشهد داخل مخيمي صبرا وشاتيلا صبيحة يوم السبت (١٨ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) كما رآه الصحفيون والمراسلون الاجانب ، وكانه كابوس رهيب منتزع من « جحيم دانتي » ، فالنساء تولول فى كل شارع من شوارع المخيمين الضيقة والشبيهة بالازقة والجثث منتفخة ومتناثرة فى كل مكان ، والعاب الاطفال مختلطة بالاحـذية « وشباشب » النساء ، ورائحة الجثث المنتفخة والمتعفنة تزكم الانوف .

ما الذى حدث ؟

يوم الاربعاء (١٥ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) ، وبعد اقل من ساعتين من الاعلان رسميا عن مصرع الرئيس المنتخب « بشـير الجميل » ، تحركت قوات الغزو الصهيونى ، الى القطاع الغربى من بيروت ، وكان الهدف حسبما اعلنت قيادة جيش العدو ، هـو « ضمان الامن والنظام العام » ، فقد زعم الصهاينة ان الفي مقاتل من مقاتلى منظمة التحرير الفلسطينية ، كانوا ما يزالون فى بيروت الغربية ، وان بعضهم كانوا فى مخيمات اللاجئين مثل مخيمى صبرا وشاتيلا .. عند الفجر استيقظ السكان ليسمعوا أزيز الطائرات الاسرائيلية ، وهى تخترق سماء العاصمة اللبنانية ، وتقوم بغارات وهمية .. وعند الظهر اكمـل الاسرائيليون الغزاة تطويق مخيمى صبرا وشاتيلا ، مرورا بالمدينة الرياضية الى منطقة الفاكهاني ، وقطعوا اى اتصـال بهذه المنطقة .

ويوم الخميس (١٦ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) ، وصلت الى مطار بيروت الدولى ، طائرتى نقل اسرائيليتين من طراز سي ـ ١٣٠ ، وانزلتا عشرات من الرجال المدججين بالاسلحة مع بعض العربات العسكرية .

بعد ذلك تعرض مخيما صبرا وشاتيلا لقصف مدفعى عنيف ومركز ، وفى حوالى الساعة الخامسة مساء ، كان اكثر من اربعمائة من رجال الميليشيات (ميليشيا حزب الكتائب وميليشيا سعد حداد) يرافقهم عشرات من الجنود الاسرائيليين ، يدخلون المخيمين ، ويبداون المجزرة المرعبة التى استمرت من مساء يوم الخميس (١٦ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) ، وحتى صبيحة يوم الجمعة (١٨ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) .



ضحايا مذبحة صبرا وشاتيلا

● كانت التعليمات : لا تتركوا حتى الطفل الرضيع حياً .. لا تتركوا الطفل الفلسطيني ، حتى ولو كان عمره يوماً واحداً .. أقتلوه .

● كان القتلة يعملون تحت تاثير المخدرات حتى لا يترددوا فى تنفيذ الجريمة .

● ضحايا المجزرة بلغ ثلاثة آلاف من المدنيين !

شهادات

ماذا حدث ؟؟ .. شهود عديدون ، سواء من الناجين من المجزرة ام من المراسلين الاجانب ، او من جنود الجيش اللبناني ، والجيش الاسرائيلى ، قدموا شهادات ، شكلت بمجموعها صورة لسيناريو المذبحة

● فقد ذكرت وكالة رويتر ان مراسلها شاهد مساء يوم الخميس (١٦ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) ثلاثمائة من رجال الميليشيا يدخلون المخيمين ، بيد ان صحيفة « جيروزاليم بوست » الاسرائيلية ، ذكرت ان العدد كان اربعمائة رجل ، وقالت انهم دخلوا مخيمي صبرا وشاتيلا على دفعتين (كل دفعة مائتي رجل) ، كذلك تحدثت الصحيفة الاسرائيلية عن اطلاق الجيش الاسرائيلي مئات قنابل الاضاءة الليلية ، لتوفير الانارة لرجال الميليشيا بشكل كامل ،

● وتحدث سكان مخيم برج البراجنة الفلسطيني ، القريب من مخيمي صبرا وشاتيلا ، عن اعتقال حوالى مائة فلسطيني على الطريق المؤدى الى المطار والقريب من المخيمين ، وذلك بعد فرزهم عن اللبنانيين حيث جرى استجوابهم ، وكانت وجوههم تشطب بالسكاكين والحراب لاجبارهم على الاجابة على الأسئلة الموجهة إليهم ، وقد حدث كل ذلك على مرأى من الجنود الاسرائيليين الذين كانوا يتمركزون قرب السفارة الكويتية .

● نقلت صحيفة « الجيروزاليم بوست » عن جندى لبنانى برتبة عريف قوله : « انهم يقتلونهم بصمت ، لكى لا يسمع الاسرائيليون الكثير من اطلاق الرصاص .. انهم يخنقونهم ويذبحونهم بالسكاكين والحراب » .

● مراسل صحيفة « واشنطن بوست » الامريكية « لورين جنكنز » يروى انه شاهد جثتين لامراتين مكومتين وسط الانقاض فى مخيم شاتيلا وقد برز قرب الجثتين راس طفل غشى الموت عينيه الصغيرتين ، وقرب جثة هذا الطفل ، برزت جثة لطفل آخر لا يزيد عمره عن سنة واحدة ، وقد قطع راسه بسكين حادة ، ولف جسده بالاقماط الكتانية ، ويروى « جنكنز » ايضا انه شاهد جثتين لفتاتين احداهما فى الحادية عشرة من عمرها والثانية فى الثانية عشرة فقط ، وبقربهما جثث لثمانية رجال ، داخل منزل مهدوم ، كما شاهد جثة اخرى لرجل اشتعل الشيب فى راسه ولحيته ، وكانت الجثة دون راس . وعند مدخل محيم صبرا الجنوبي ، راى حفرة قطرها عشرة امتار ، وقد تحولت الى مقبرة جماعية .

● مجلة « الحوادث » اللبنانية ـ فى عددها بتاريخ ١ ـ ١٠ ـ ١٩٨٢ ، نقلت عن امراة ناجية من المذبحة قولها : « كان هناك صوت رجل يامر القتلة : لا تتركوا حتى الطفل الرضيع حياً ، الطفل الفلسطيني حتى لو كان عمره يوماً واحداً .. اقتلوه » . وتضيف انه تم العثور فى احدى غرف المخيم على جثث لـ ١٥ طفلا معظمهم من الرضع ، كما نقلت المجلة عن « ام كايد حنبلي » قولها : « جارتى التى كانت تسكن قبالتي ، بقيت مع عائلتها ، لانها لم تتنبه لما كان يجرى على ما يبدو ، فلقد وجدناها موثوقة اليدين والرجلين ومذبوحة ، ولقد انتزعوا سراويلها واعتقد انهم اغتصبوها ، اما افراد عائلتها فقد اختفت اثارهم ، وتشير « ام كايد » الى ان رجال الميليشيا قتلوا امراة تدعى « ام مبارك » وهى حامل فى شهرها التاسع ، وبقروا بطنها ، واخرجوا منه طفلا ما لبثوا ان اجهزوا عليه .

● عايدة ابو رديئة ـ بنت التسعة عشر ربيعاً ، خرجت من الملجا لاحضار تذاكر الهوية لأفراد عائلتها ، وما ان وصلت الى أول الشارع ، حتى علا صراخها ، وعندما لحق والدها بها وجدها مقتولة ، ثم مالبث ان ارتمى عليها وهو ينزف دما غزيراً بعد ان اطلقوا النار عليه من مسافة قصيرة . وتقول امراة اخرى لنفس المجلة ، رفضت الافصاح عن اسمها ، ان رجال الميليشيا دخلوا ملجأين فى المخيم ، واخرجوا مئات من الرجال والنساء والشيوخ والاطفال

لماذا الايقام نصب تذكاري لشهداء المذبحة في كل عاصمة عربية؟

منهما ، ثم فرزوا الرجال عن النساء ، واطلقوا عليهم النار بصورة جماعية ، واخذوا الصبايا وربطوهن بالحبال ، واغتصبوهن ، ثم جاءت جرافة اسرائيلية ، وقامت بحفر حفرة كبيرة ، وطمرت الجثث فيها .

● ونقلت صحيفة « الغارديان » البريطانية عن مواطن فلسطيني اسمه « يحيى سلامة » قوله : في البداية كانت اعمال القتل تتم بالحراب والسكاكين ، حتى لا يحدثوا ضجة !! لكن في نحو الساعة الحادية عشرة من قبل ظهر يوم الخميس المشؤوم ، بدأ القتلة بتنفيذ عمليات الاعدام في الشوارع رمياً بالرصاص . كما نقلت نفس الصحيفة عن فتاة اسمها « امل » تمكنت من النجاة ، قولها : لقد بدأ الناس بالصراخ والنحيب .. انهم يتعرضون للذبح مثل النعاج .. انهم يذبحونهم .. يذبحونهم .. ويطلقون عليهم الرصاص من مسافة قريبة .. ولقد سمعت انهم كانوا يصفون الرجال في طوابير امام الجدران ويطلقون عليهم الرصاص من الخلف .

يروي المراسلان .. مارك ويتاكر » و « راي ويلكنسون » ، بعض فصول المجزرة ، فيقولان : بعض اللاجئين الفلسطينيين هرب في اتجاه مستشفى عكا ، والقتلة يلاحقونه ، وحين دخلت عصابة من هؤلاء القتلة المستشفى صباح يوم الجمعة ، قتلت طبيبين واحد المدنيين ، واخذت معها ثلاثة جرحى ، وبعد ذلك بقليل اغتصب احد القتلة الممرضة الفلسطينية « انتصار اسماعيل » (١٩ سنة) ، ثم قتلها ، وحين حاولت مجموعة من اربعة اطباء فلسطينيين وبعض الممرضات مغادرة المستشفى ، وهي ترفع علماً ابيض ، قضى عليها القتلة بقنبلة يدوية ..

وقد قام « ويلكنسون » في الساعة الثامنة من صبيحة يوم الجمعة ، بمحاولة لدخول مخيم صبرا ، لكن رجلا يلبس بزة الميليشيات اوقفه داخل المخيم ، واثناء وقوفه مع هذا الرجل ، اندفع اليه احد رفاقه وهو يصيح : لقد وجدت رجلا مسنا ، فكان الجواب الذي تلقاه هو : « اقتله » ، ويقول المراسل : انه طبقاً لتقرير كتبه مراسل للتليفزيون الاسرائيلي « رون بن يشاعي » ، فان عدداً من الضباط الاسرائيليين شاهدوا عمليات الاعدام ، وجثث القتلى في المخيمات صباح يوم الجمعة .

● وفي شهادات جمعتها مجلة « شؤون فلسطينية » ، وقام باعدادها « فريق من الباحثين » ، قالت « س . س » (١٨ سنة) وهي فلسطينية من مخيم صبرا ، انها كانت مع افراد عائلتها يشاهدون التليفزيون ، عندما اقتحم عدد من رجال الميليشيات ، منزلهم في المخيم ، « اخرجونا من البيت ، اثنان من اخواتي الصغار ظلوا في الحمام خافا ولم يخرجا .. خرجنا انا وابي واختي واربعة من اخوتي ، ثم امرونا ان ندخل الى البيت .. صفونا الى الجدران و « درزونا » بالرصاص .. اربعة من اخوتي ماتوا .. اثنان منهم « طلع مخهم » ، واختي اصيبت في كتفها ، وابي في ظهره وصدره ، وانا في رأسي وظهري وكتفي .. وقد بقيت اتالم واصرخ حتى حضرت جارة لنا ، نهار السبت» وتم نقلها الى المستشفى . اما عن هوية القتلة فتقول انهم كانوا يرتدون ملابس عسكرية . فاتحة اللون ، ويضعون عليها شارة « القوات اللبنانية » (ميليشيات الكتائب والاحرار وحراس الارز) ، وكانت لهجتهم لبنانية وخاصة بيروتية .

« م . و » فلسطيني (٥٣ سنة) ، يقيم في مخيم شاتيلا : قال انه تمكن من الهرب والاختباء في حانوته الصغير ، واضاف ان اسماء القتلة كما كان يسمعها وهم ينادون بعضهم بعضاً هي : « الحاج نقولا » و « الحاج توما » و « بطرس » و « طانيوس» و « جريس » و « الياس » و « ميشيل » وكانت لهجتهم تدل على انهم من القطاع الشرقي من بيروت ، ثم قال ان المسلحين كانوا يقتلون كل من يرونه في طرقهم ، لا فرق عندهم بين طفل وشيخ ، وقد صادف مرور رجل مسن مع زوجته من امامهم ، فقتلوهما ، ومر شاب لبناني ، وعندما اعترضوه قال لهم ان « الريس » ـ اي المسؤول عنهم ، قد سمح له بالمرور لانه لبناني ، فاجابه احد المسلحين : « لبناني .. ولكن مسلم » ، ثم قتله . وعن هوية القتلة قال ان عبارة « القوات اللبنانية » كانت مرسومة على ملابسهم .

« ا . ك » فلسطيني ـ يقيم في مخيم شاتيلا ، قال انه شاهد مئات الجثث مرمية على طرقات المخيم « وقد رايت رأس امرأة مفصولا عن جسدها ، وشعرها مغمس بالدم ، وشاهدت الحطام وبيوتاً كثيرة مهدمة ، تطل الجثث من بين انقاضها » ، ويضيف انه رأى السفير الفرنسي في بيروت يبكي مع معاونيه مثل الأطفال عندما راوا الجثث مكومة داخل حفرة ، تحولت فيما بعد الى مقبرة .

طبعاً لن نمضي أكثر من هذا في تسجيل شهادات الشهود من الاحياء والمراسلين الذين عاينوا نتائج المذبحة في صبرا وشاتيلا ، فما قدمناه انفاً من هذه الشهادات يرسم إطاراً لسيناريو المذبحة التي يشيب لهولها الولدان .. لكننا نشير الى ان اخبار المجزرة كانت قد تسربت الى الخارج منذ اليوم الأول (الخميس) ، وعندما شعر الصهاينة وعملاؤهم من الميليشات ان الرأي العام في الخارج بدأ يتحرك ضدهم ، سارعت سرية اسرائيلية بالدخول الى مخيمي صبرا وشاتيلا ، صبيحة السبت (١٨ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) في الساعة العاشرة والنصف ، لكن .. بعد أن أصبح المخيمان خاليان من اي ضحايا يمكن اقتناصها للذبح والقتل .

أما الشيء الذي لابد من تسجيله هنا ، فهو أن القتلة كانوا خليطاً من ميليشيا سعد حداد ، وميليشيات القوات اللبنانية .. التي هي عبارة عن تحالف يضم حزب الكتائب وحزب الوطنيين الاحرار وحراس الارز ، وبقيادة حزب الكتائب ، يقودهم غالباً ضباط اسرائيليون ، كما لابد أن نشير الى أن القتلة ، كانوا موضوعين تحت تاثير المخدرات ، اذ اشار بعض الشهود الى انه رأى القتلة يحقنون بعضهم بعضا في العضل بمادة مخدرة ، الأمر الذي يومىء بفظاعة ماحدث في صبرا وشاتيلا ، حيث بلغ عدد الضحايا حوالى ثلاثة آلاف من المدنيين ، اضافة الى تدمير أربعمائة منزل على رؤوس اصحابها من اللاجئين .

التواطؤ المسبق :

لقد كانت المذبحة نتيجة لتواطؤ مسبق بين الميليشيات الانعزالية والعدو الصهيوني ، أما استخدام الميليشيات فكان الهدف منه هو التقليل من حجم الخسائر

الاسرائيلية ، ثم عدم توريط اسرائيل بشكل مباشر فى المذبحة ، وقد كشفت مجلة «تايم» الأميركية النقاب عن اجتماع عقد بعد ظهر الخميس (١٦ ـ ٩ ـ ١٩٨٢) فى مقر القائد الاسرائيلى بمرفأ بيروت ، تراسه عن الجانب الاسرائيلى الجنرال امير دروري ، وعن الجانب الكتائبى إيلى حبيقة ـ رئيس جهاز الاستخبارات الكتائبى ـ الذى تم تاهيله فى المدرسة الحربية فى اسرائيل ، وتم خلال الاجتماع وضع تفاصيل خطة المذبحة ، كما تقرر ان يقود إيلى حبيقة رجاله الى داخل المخيمين الفلسطينيين ، وقد اكدت صحيفة الفارديان البريطانية فيما بعد ، ان حبيقة هو الذى قاد الهجوم داخل صبرا وشاتيلا ، وعلى كل حال ، فقد اعترف قادة العدو الصهيونى بهذا التواطؤ ، خلال التحقيق معهم أمام لجنة التحقيق الاسرائيلية التى عرفت باسم رئيسها «كاهان» ، ثم جاء تقرير «لجنة كاهان» ليفضح ادوار كبار قادة العدو من خلال توصيات تبنتها اللجنة :

«إن وزير الدفاع ـ أريئيل شارون يتحمل مسؤولية شخصية ..»

« لقد خلصنا الى نتائج خطيرة بشان تصرفات ووجوه تقصير رئيس الاركان اللفتنانت جنرال رافائيل إيتان .. » .. « ونحن نوصى باعفاء الجنرال يهوشوا ساغى من منصب مدير الاستخبارات العسكرية » ، ولقد كان من نتيجة تقرير «لجنة كاهان» ان اعفى شارون من منصب «وزير الدفاع» ، وعين وزيراً بلا وزارة ، كما اعفى الجنرال ساغى من منصبه ، واما الجنرال إيتان فقد اوصت اللجنة بابقائه فى منصبه لحين انتهاء مدته وهى لاتتجاوز بضعة اشهر .

تقييم لتقرير «لجنة كاهان» :

اذا كانت التوصيات التى تضمنها تقرير لجنة التحقيق الاسرائيلية قد جعلت من شارون شبه كبش فداء ، بابعاده عن وزارة الحرب ، فان اللجنة لم تتعامل مع المذبحة من زاويتها الانسانية ، او القيمية ، بل عالجتها باعتبارها مجرد مشكلة تقنية ، اى ان لوم اللجنة وغضبها انصب على النواحى الاجرائية ، المتعلقة بطريقة دخول المخيمين ، وسوء شبكة الاتصالات بين القيادات العسكرية والسياسية ، حيث ادعى شارون انه حاول فى اليوم الثانى للمذبحة ، وعندما تناهى خبرها الى علمه ، الاتصال برئيس الحكومة مناحم بيغن ، فلم يعثر عليه ، لأنه تبين انه كان يصلى فى المعبد !!

لكن نشر تقرير «لجنة كاهان» اتسم باهمية بالغة مع كل ذلك ، حيث كشف عن طبيعة التفكير العنصرى الصهيونى ، حتى وهو يتعامل مع مذبحة وحشية روعت العالم كله ، فالتقرير انطلق من فرضية مسبقة ، وهى براءة اسرائيل من المذبحة ، ووضع مسؤوليتها على كاهل ميليشيا الكتائب ، فيما اقتصر الخطأ الذى ارتكبه المسؤولون الاسرائيليون على الجانب الادارى لدى بعضهم فقط . اى ان المسؤولية الاسرائيلية عن المذبحة ، هى مجرد مسؤولية افراد ، فيما المسؤولية اللبنانية عنا مسؤولية «طائفة» بمؤسساتها القائمة .

إن هذا التقييم الذى انطوى عليه تقرير «لجنة كاهان» انطلق اصلا من النظرية الصهيونية التى ترى فى اليهود واسرائيل «الشعب المختار» ، المتحضر ، فيما ترى فى العرب «الغوييم» شعباً متخلفاً وهمجياً ، وهذا التقييم العنصرى ، هو السبب فى الواقع فى تعامى «لجنة كاهان» عن اصدار ادانة واقعية لاسرائيل وقياداتها ، باعتبارها كياناً قام على اغتصاب ارض فلسطين بعد تشريد وتقتيل شعبها ، بل وبعد ارتكاب قادتها اليوم مذبحة دير ياسين فى عام ١٩٤٨ (بيغن وشامير) ، ومذبحة كفر قاسم فى عام ١٩٥٦ ، (شارون) ، وهما مذبحتان لاتقلان هولا عن مذبحتى صبرا وشاتيلا ، وان كان عدد ضحاياهما بالمئات وليس بالالوف

إلى أين ؟

ان مما لاشك فيه ان مذبحة مخيمي صبرا وشاتيلا ، بقدر ما اظهرت من عجز فى العقل العربى ، فانها بالمقابل هزت الكيان الصهيونى فى اعماقه ، وقد برهن على ذلك حالة الهذيان التى قابل بها العقل العربى المذبحة ، فيما قوبلت فى الكيان الصهيونى بتظاهرة تاريخية فى تل ابيب ضمت حوالى اربعمائة الف شخص تجمعوا لاستنكار ما حدث فى صبرا وشاتيلا ، ونحن اليوم ، وبعد سنة من تلك المذبحة ، نرى تفاعلاتها بشكل خاص ، وتفاعلات عملية غزو لبنان بشكل عام ، تطيح برئيس النظام الصهيونى الفعلى ـ اى رئيس الحكومة مناحم بيجن ، وهو ما يعنى عملياً دخول الكيان الصهيونى منعطفاً حاسماً ليس فى صالحه بالتاكيد .

وان مما لاشك فيه ان الهدف الآني للمذبحة ، كان تدمير المخيمات الفلسطينية وتهجير الفلسطينيين من لبنان ، إذ ان مناحم بيغن كان ما يزال يظن ان مقولته التى اطلقها فى اعقاب مذبحة دير ياسين ـ « كانت قواتنا بعد دير ياسين تتقدم كما تتقدم السكين فى الزبده » ـ ما تزال صالحة ، وكان ذلك بالطبع خطا فى الحساب والتقييم ، لأن بيغن وشارون وغيرهما من المسؤولين فى حكومة العدو تناسوا الثورة الفلسطينية وما احدثته من تغيير نوعى عميق فى نفوس ابناء الشعب الفلسطيني على امتداد الثماني عشرة عاما التى سبقت المذبحة . كما ان الهدف الثانى للمذبحة ، كان محاولة « دفرسوار » سياسية ، رمت الى طمس الانتصار المعنوى والسياسي « العظيم للثورة الفلسطينية فى معركة بيروت الخالدة ، على حد تعبير السيد صلاح خلف (ابو اياد) . لكن فى مقابل هذه الحقائق ، التى افرزتها مذبحة صبرا وشاتيلا ، يبدو لنا التقصير العربى فى المجال الاعلامى ما يزال كبيراً .. بل ومخيفاً ، حيث تعامل العقل العربى مع المذبحة وذيولها ونتائجها وكانها مجرد صفحة فى كتاب الصراع العربى ـ الصهيونى الضخم ، علما بان المذبحة وفرت للعقل العربى فرصة فريدة من نوعها ، لجعل القضية الفلسطينية العادلة تتصدر كل محفل ومنتدى ، كما انها وضعت فى يد اجهزة الاعلام العربية ، بل والأنظمة العربية كلها ، ورقة ضغط سياسي ومعنوي لا يستهان بها فى حقل العلاقات الدولية . ولعل اكثر الاقتراحات التى طرحت على صعيد توظيف نتائج المذبحة لخدمة القضية العربية اهمية هو ذلك الاقتراح الذى قدمته صحيفة « الوطن الكويتية ، فى اعقاب المذبحة ، وطالبت فيه ضمن تصورات اخرى حول الحد الادنى الاعلامى العربى بالنسبة لهذه القضية ، باقامة نصب تذكارى لشهداء المذبحة فى كل عاصمة عربية ، يدعى لزيارته ووضع اكليل من الزهور عليه كل زائر اجنبى رسمى لأى بلد عربى . وقد يكون فى العمل المسرحى والسينمائي ، واشرطة الفيديو عن وقائع المجزرة ، والتى ينبغي توزيعها على نطاق عالمى واسع المدى ، اقتراحات بناءة اخرى فى هذا المجال .

عصام شريح

من الفـــــــــــئران إلى البشـــــــــــــر:

العقـــــول المســـروقـــة والمعـــــارة والمقـــاتـــلة

بقلم: فتـــحي رضـــوان

منذ سنوات قرأت خبراً عن تجربة قام بها عالم من علماء (المخ) ، على طائفتين من الجرذان ، طائفة كانت تخاف من الظلام ، وطائفة كانت تخاف من صعود درجات السلالم ، فقد أخذ سائل المخ من احدى الطائفتين ، وحقن به افراد الطائفة الأخرى ، وفعل العكس ، فاصبحت الجرذان جميعاً تخاف الأمرين ، ومعنى ذلك ان تجربة بعض الأحياء ، يمكن ان تنتقل الى احياء آخرين ، اذا حقنت امخاخهم بسائل من امخاخ الجماعة التى كابدت تلك التجربة .

واذا تاكدت نتيجة هـذه التجـربة الجديدة والفريدة ، التى اجـريت على جرذان فى طائفتين ، كانت شيئاً اكثر بكثير من الثورة . وهى ثورة ستفضي حتما إلى حل مشكلات الانسانية التى تواجهها الآن ، والتى تطاردنا ، ولا نرى منها نجاة . فمشكلة انفاق الاموال الطـائلة على المتفجرات والصواريخ العابرة للقارات ، والغواصات ، والبوارج ، يمكن توفيرها ، بحملة تطعيم ، نقوم بمثلها فى مناسبات عديدة وعلى نطاق واسع كلما هـدد دولة من الدول وباء من الأوبئة .

ونقطة الابتداء فى هذا المشروع العظيم هو الجملة التى كتبت على مدخل مقر هيئة اليونسكو فى باريس ونصها (الحـروب تبـدأ من افكار فى الرءوس فلنحاول ان نعدل افكارنا ، لكى تنجو البشرية من حروب البشرية) او ما فى هذا المعنى .

ومعنى هذا الكلام ان الحروب تقوم اولا فى عقول الناس ، تبدأ بافكار خاطئة او صائبة ، حسب الظروف ، ثم تتاكـد بتصورات ، ثم يصدر القرار بشانها بسبب هـذه الأفكار وتلك التصورات . فـاذا استخلصنا من عقول المؤمنين بالسلام والداعين اليه سـائل امخاخهم وحقنا بها عقول الذين يتوثبون حبا فى الحرب ، وطلبا لها تحول حبهم للحرب ، حبا للسلام وانتقلوا بين الاعجاب بابطال ميادين القتال الى الاعجاب بابطال الأدب ، والفن والموسيقى ، والعلماء الذين يجوسون خلال المناطق المجهولة فى نفس الانسان وعقله ، وفى افاق الأرض ، واعماق البحر ، واجواز الفضاء . وعندها ستتراخى ايدى دعاة الحرب من فوق البنادق ، وفى مؤخرة المدافع ، وفى مقاعد الطائرات المملوءة بالقنـابل والصـواريخ والمتهيئة لالقاء حمولتها المدمرة على المدن والقرى ، والثكنات والتقاء طرق المواصلات .

وعندها ستتخم خزائن الدول الكبرى والصغرى بالاموال التى انفقت والتى كانت الدول ستنفقها على اعداد الجيوش وصنع الاسلحة ، وتحصين الطرق والقواعد والمطارات والموانى من اجل التخريب والتـدمير ، وقتـل الأطفال والنسـاء الشـيوخ والمصـانع والمتاحف المليئة بالنفائس الجديدة والموروثة . سيتوقف البحث فى تحديد النسل ، وكيف نطعم مئات الالوف من الأفواه التى يموت اصحابها كل عام جوعاً وعطشاً ، ولا كيف نقدم مسكناً لكل شابين فتى وفتاة ، يريدان ان يبدأ حياتهما فى مسكن صغير جميل ، ولا فى توفير الأموال لابحاث معالجة السرطان والجذام وباقى الأمراض

التى لا تزال أسبابها مجهولة ، وعلاجها مستعصيا . على أن هذا الاكتشاف له نتائج أخرى مذهلة لو تصورناها لبدا لنا عالم ، يفوق كل العوالم التى ابدعها مؤلفو قصص المستقبل ولطائف احلام الانسان من الف ليلة وليلة بفانوس علاء الدين ، والبساط السحرى ، وخاتم سليمان وابطال الجان الذين يسمعون ويطيعون .

ذلك لأن النتيجة الحتمية لهذا الكشف عندما يتاكد وتستقر نتائجه يكون ممكنا نقل سائل المخ المتعلم المستنير الى مخ الذى يجهل الف باء ، فاذا بالتجربة التى حصل عليها صاحب المخ الأول ، قد انتقلت الى المخ الثانى ، فاصبح استعداده لتلقى العلم غير محدود ، ولانتقلت أعداد من الاميين والجهال فى العالم الثالث من الامية والجهل الى العلم والاستنارة والتهذيب .

غير أن هذا التصور كان محل تعليق بعض رجال التربية والتعليم فى دول عديدة فكان منطق المربين ، انهم وان كانوا يرحبون بعمليات تبسيط وتيسير نقل المعرفة الى عقول التلاميذ والمبتدئين ، الا انهم يؤمنون انه من خصائص العقل البشرى أن يكافح من أجل تحصيل المعرفة وان المعرفة التى تصقل نفس الانسان ، وترهف مواهبه ومزاياه ، هى المعرفة التى يتم تحصيلها بوساطة جهد الانسان نفسه ومعاناته ، فمهما يسرت وسائل نقل المعرفة وتقدمت فلن يتعلم الانسان ، ويرقى درجات فى الثقافة والحضارة ، الا لجهده الدائب الذى يبذله ، وبالمحاولات التى تتم من خلال التذكر والنسيان ، والبحث والمراجعة .

على كل حال ، ان البشر ينتظرون مع الصبر النافذ ، ان تتكشف نتائج هذه الكشوف الباهرة ، والتى بقيت سنين طويلة ، تتحاشى اخطر المناطق ، واحفلها ثراء ، واعظمها غنى ، واوفرها بالاحتمالات المدهشة والمذهلة ، واعنى بها : عقل الانسان ،ان ارتياد مناطق العقل الانسانى الأهلة بالقدرات والطاقة الخفية لاجدى على الانسان من ارتياد مناطق القطبين الشمالى والجنوبى واعماق البحار ، واجواز الفضاء . فان آفاق الانسان لأوسع مدى من هذا الكون الفسيح ، والقرآن الكريم قال :

سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم

على أن أخبار العلم جاءتنى بنبأ جديد فاجهزة الكمبيوتر ، تغذى بالمعلومات المختلفة ، لتجيب بفضل هذا التخزين على ملايين الاسئلة الرياضية والعلمية فى الدقيقة الواحدة . ومن هنا فان اللصوص الذين الفوا أن يسطو على خزائن البنوك حيث يجدون ملايين الجنيهات وملايين اخرى مودعة فى تلك الخزائن فى صورة مجوهرات لا تقدر بثمن ، قد حولوا اهتمامهم الى خزائن اكثر خطراً ، واعظم نفعاً ، واطول أثراً ، وهى خزائن الكمبيوتر المليئة بالمعلومات الصناعية ، والحقائق العلمية ، التى انفقت فى سبيل تحصيلها والوصول اليها ، شركات بلغت اقصى الغاية فى الغنى والثراء ، واستعانت بطرق ضخمة جداً من اعظم العلماء ، واكثرهم خبرة من الشباب المتوثب المبتدىء ، ومن الشيوخ المجربين والمحنكين . حسب اللصوص ـ وهم لصوص علماء ـ واعجب للزمن الذى تتقدم فيه الانسانية ، وتبلغ اعلى درجات التمكن من العلم ، والسيطرة على مقاليد الكون ، كيف تخرج طائفة جديدة من اللصوص ، تعلموا واصبحوا اساتذة ، والقوا المحاضرات ، والفوا الكتب ، ثم ذهبوا فى الليل ، وهم يسترقون الخطى ، ويقتحمون الأبواب المغلقة ، ويحملون المصابيح الكهربائية فى ايديهم ، ويضعون الاقنعة على وجوههم ، ويلبسون القفازات فى ايديهم ، ثم يعكفون على اجهزة (الكمبيوتر) فى مصنع كبير او معهد خطير ، او جامعة كبيرة ، ويفرغونه مما هو فيه من المعلومات التى حصل عليها بعد جهد مضن ، وزمن طويل ، وسهر متصل ، وبعد انفاق ملايين او بلايين الجنيهات فى التجارب والبحوث ، واعادة التجارب والبحوث ، ثم اعادتها وهكذا .. ياتى اللص العالم فى هداة الليل ، وبعيداً عن حراس الاماكن العزيزة والغالية يستنطق الجهاز المادى الصامت ، الذى لا يمكن شراء ذمته بمال يدفع ، ولا باغراء يبذل ، ولا بتهديد يهز أعصاب اقوى البشر ، فاذا به ينطق ولا يتوقف ويضع فى خزانة اعدائه الذين جاءوا ينهبون نفائسه واغلاقه ، كل ما لديه وهو راض وصامت وساكن لأنه لا يفرق بين عدو وصديق ، لأنه جهاز علم ، والعلم لا يعرف الأنانية ولا التعصب ، وانما يعطى دائما لكل من يطلب .

بقي النبأ العلمى الاخير ، وربما يكون اخطرها جميعاً ، وهو النبأ الذى ادار الحديث حوله ، فى كتاب قائم براسه العالم روبرت جاسترو عنوانه ما وراء المخ ، وقد لخصه الدكتور انسي فهمى فى مقال ممتع . وخلاصة المقال ان مؤلف الكتاب ، قال ان العقول الالكترونية ، ستزداد مع الأيام اتقانا حتى يصبح فى مقدور جهاز منها أن يحل محل انسان عادى،وانتقل بعد ذلك خطوة فقال ان العقول الالكترونية ستكون بعد حين اقدر من العقل الانسانى وان الانسان سيكون بعد ذلك عبداً لتلك العقول لأنها ستحل له مشاكله وستقدم له من النصائح مالا يمكن أن يهتدى اليه بدونها . وانها قد تفكر تلك العقول فى ان تشن حرباً على الانسان ، وانه سيكون اضعف من أن يقاومها لأنها اعلم منه ، واوسع حيلة ، ولأنها تمتاز عليه ، بانها لا تعانى من الضعف الذى تورثنا إياه عواطفنا وانحيازاتنا ومخاوفنا .

وانها اقوى منا من حيث ان التجربة التى تحصلها ستكون أطول عمراً لأنها ستبقى حتى بعد ان يبلى الجهاز الذى يحتويها ، ويمكن نقلها كاملة الى جهاز آخر فى حين ان الانسان الذى يمر بتجربة علمية فنية ياخذها معه حين يموت الا ان يثبتها فى كتاب ، وليس فى وسع كل عالم أن يثبت كل علمه فى مؤلف ، فالتاليف هبة لا تتوافر لكل باحث .

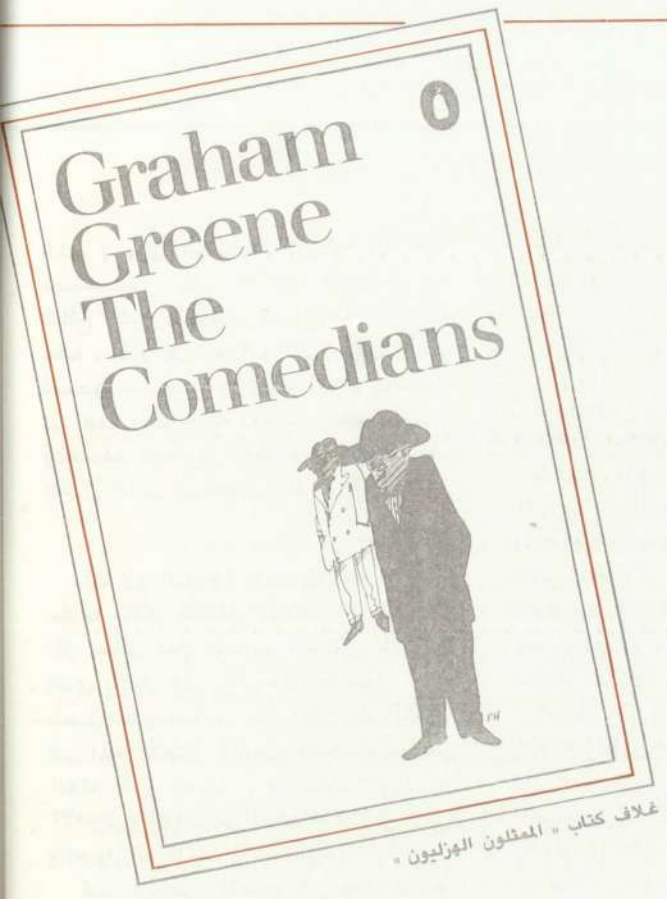
وجملة القول ان الانسان الذى صنع الكمبيوتر واتقن صنعه ، سيرى نفسه آخر الأمر عبداً لهذا الكمبيوتر ، وهو صاغر لا قبل له برد هذه العبودية .

وقانا الله السوء .

فتحى رضوان

عرض وتقديم : مصطفى كمال

المُمثلون الهزليّون



غلاف كتاب « الممثلون الهزليون »

الرواية التي أثارت أزمة دبلوماسية وصدر حكم بإعدام مؤلفها

على قمة هرم كتاب القصة فى بريطانيا اليوم يستوى « جراهام جرين » . فعلى مدى ستين عاما من العمل فى حقل الادب نشر له نحو ثلاثين مؤلفا . ما بين روايات طويلة ومسرحيات وكتب رحلات ومجموعات قصص قصيرة . بل وكتب ايضا للاطفال . وحصل على وسام الشرف فى عام ١٩٦٦ . وكان عمره حينذاك ٦٢ عاما .

كان مولد جراهام جرين فى عام ١٩٠٤ ، لأب يعمل بالتدريس

يقول هو عن نفسه فى ترجمته بعنوان « طريقة حياة » الذى نشره عام ١٩٧١ انه بدا يمارس حرفة الادب منذ كان طالبا بجامعة اوكسفورد . وكان أول مؤلفاته ديوان شعر صغير نشر له عقب تخرجه . ومع انه لم يكن فتحا جديدا فى عالم الشعر الا انه كان كافيا لتعيينه محررا مساعدا فى جريدة التايمز ، حيث استمر فى العمل بها اربع سنوات ، نشر خلالها ثلاث روايات كان راى النقاد فيها انها تبشر بروائى كبير لم يات بعد بافضل ما عنده ..

وجاءت روايته الرابعة « قطار اسطنبول » لتمنحه من الشهرة ما لم يكن يحلم به وهو يطرق ابواب الشعر .

فى عام ١٩٣٥ قام جراهام جرين برحلة فى ليبريا ، وعاد من هناك يكتب كتابا بعنوان «رحلة بدون خرائط» اعتبر حينذاك من احسن ما ظهر فى الادب الانجليزى من كتب الرحلات . وقفز به جراهام جرين قفزة اخرى فى عالم الشهرة ، وانتقل للعمل كناقد سينمائى لمجلة سبكتاتور .

وقد ذهب إلى المكسيك فى عام ١٩٣٨ ، وعندما عاد ، نشر على التوالى كتابين ، الاول بعنوان « الطرق الخارجة على القانون » والثانى « السلطة والمجد » ..

وفى نفس العام نشرت له رواية جديدة باسم « برايتون روك » ، وبعد عامين ، فى ١٩٤٠ تولى رئاسة القسم الادبى فى مجلة سبكتاتور .

ثم قامت الحرب العالمية الثانية ، فطلب للعمل بوزارة الخارجية البريطانية وارسل فى مهمة خاصة بغرب افريقيا ، وقضى معظم الفترة من ١٩٤١ الى ١٩٤٣ فى سيراليون .

ولعل هذه الفترة من حياته . هى التى استمد منها مادته لرواية « اصل الحكاية » التى جرت احداثها فى غرب افريقيا ، والتى يعتبرها النقاد اعظم اعماله

بعد ذلك توالت مؤلفاته ، ومنها « نهاية المسالة » ، ثم « الامريكى الهادىء » التى جرت احداثها فى فيتنام ، و « رجلنا فى هافانا »

وبعد ان كتب سيرته الذاتية فى « طريقة حياة » عام ١٩٧١ نشرت له « قبة المسره » فى ١٩٧٢ ، ثم « قنصل الشرف » فى ١٩٧٣ و « امراة مستحيلة : مذكرات دوتوريسا مورفى كابرى » و « العامل الانسانى » فى ١٩٧٨ .

أما « الكوميديون » أو « الممثلون الهزليون » التى نحن بصددها اليوم فقد اعيد طبعها بعد ذلك ١٤ مرة كان اخرها عام ١٩٧٩ .

البداية : سفينة ركاب

ولما كانت احداث الرواية تجرى فى « هايتى » ، وتتناول مباشرة حياة الناس تحت حكم « بابا روك » .. دكتاتور « هايتى » السابق ، فقد ادى نشرها إلى أزمة دبلوماسية بين بريطانيا والجزيرة الصغيرة . واصدر رئيسها أمراً باعتقال جراهام جرين واعدامه اذا وطات قدماه ارض الجزيرة . ولا ندرى هل لازال هذا الأمر سارى المفعول أم أصبح مع الزمن مجرد نكته سخيفة تثير من الازدراء اكثر مما تثير من الضحك .

أما « الكوميديون » أو « الممثلون الهزليون » فقد اراد بها جراهام جرين أن يحدثنا عن نوعين من البشر . نوع ملتزم بقضية ما . مثل « جوزيف » والدكتور ماجيوت اللذين سنسمع عنهما فيما بعد . وهما نوع من البشر يشاطر الناس همومهم وله دائما موقف من هذه الهموم . ونوع اخر ـ هم الكوميديون ، ممثلون هزليون يؤدون ادواراً رئيسية او ثانوية . وعاطفتهم لا تعرف العطاء . وقد يتحمسون احياناً لأشياء ما ولكنها دائما تافهة . مثل حماس « مستر سميث » المرشح السابق للرئاسة الامريكية لقضية « الطعام النباتى » . ولكنه حماس سطحى بلا عقيدة او ايمان حقيقى . وحتى عندما يموتون . يكون ذلك عرضاً واتفاقاً .. وبمحض الصدفة ، مثلما مات « الماجور جونز » بطل هذه القصة .. او على الاقل احد اهم ابطالها .

ولكن .. فلنبدأ القصة من أولها ..

نحن الآن فوق ظهر سفينة ركاب صغيرة فى طريقها من فيلادلفيا بالولايات المتحدة الى بورت اوبرنس ، عاصمة جزيرة هايتى التى تعيش عصراً مرعباً تحت حكم « بابا دوك » .

على السفينة عدد قليل جداً من الركاب يهمنا منهم ثلاثة اشخاص . اختار لهم جراهام جرين اسماء دارجة لعلها اوسع الأسماء انتشاراً فى عالم الغرب . وسنرى معاً ان هؤلاء الثلاثة ، وزوجة احدهم ، يمثلون لنا عالم الكوميديين الذين يتحدث عنهم كاتبنا .

الأول هو مستر براون . وهو ايضاً الراوى الذى يقص علينا جراهام جرين قصته على لسانه . ومن السطور الأولى سنفهم أن براون هذا يملك فندقاً فى عاصمة هايتى ، ورثه عن امه . وامه كانت غانية فرنسية . وعندما حملت به ، رفض



الكاتب الروائى جراهام جرين

ابوه ـ الذى لم يعرفه قط ولم يعرف حتى اسمه ـ ان يعترف به . ولكنه فيما يبدو كان ثرياً ، فمنح الأم الغانية قدراً من المال لتربية ولده . والحقته هذه باحدى مدارس الجزويت بفرنسا لعلهم هناك يحسنون تنشئته على نحو افضل مما نشات عليه الأم .. وبعد أعوام طويلة من التجربة القاسية رست سفينة الأم فى هايتى . واشترت بما بقي فى يدها فندقاً سياحياً واتخذت لها من بين المواطنين السمر صديقاً شاباً ، جعلت منه خادماً وصديقاً . حتى اذا احست بعمرها يقترب من نهايته ارسلت فى طلب ولدها لتراه لأول واخر مرة ..

وفى نفس الليلة التى وصل فيها براون وجدها فى النزع الأخير ، وفى الصباح اكتشف ان روحها فاضت وهى تشهق باخر انفاسها بين يدى صديقها وخادمها . وكان غريباً أن يكتشف الابن فى صندوق والدته « وسام المقاومة الفرنسية » .. منقوشاً باسمها ..

وعندما فتحت وصيتها وجدها براون قد اوصت له بمعظم التركة ما عدا ربعها أبقته لصديقها الشاب . غير أن الصديق الشاب كان وفياً للمرأة العجوز ، حتى دفعه وفاؤه يوماً إلى الانتحار . واصبح الفندق السياحى ملكاً خالصاً للسيد براون ، الذى دانت له الدنيا بعد معسرة . وكان من علامات الرخاء أن اصبح احدى الشخصيات المرموقة فى مجتمع المدينة . واتاح له هذا أن يتعرف على سيدة المانية شابة هى فى نفس الوقت زوجة لسفير احدى بلدان امريكا اللاتينية ..

إلى هنا . كان من الممكن أن تسير سفينة براون بريح طيبة ، وبدون متاعب خطيرة ، خصوصاً وان الفندق السياحى اصبح هو الأول فى جزيرة عامرة بالسياح ، كما أن السفير الجليل كان غريب التفكير إلى درجة لايهتم عندها كثيراً بصداقات زوجته طالما السمعة مصانة ، وعلاقاتها بصاحب الفندق ليست حديثاً شائعاً فى المجتمع الدبلوماسى !

ولكن استبداد بابا دوك وممارسات شرطته السرية الرهيبة «الطنطن ماكوت » ضد المواطنين وغير المواطنين جعلت كل من يستطيع الهرب من هايتى يولى الفرار . ولم تعد بحال من الاحوال مكاناً يجذب السياح ..

وهكذا .. اخذ عدد رواد فندق براون يتضاءل حتى انعدم . وفى نفس الوقت اخذت الخلافات تحتدم بينه وبين صديقته زوجة السفير حتى قرر يوماً أن يقطع ما بينه وبين هايتى . فرحل إلى امريكا فجاة محاولا أن يجد مشترياً لفندقه . ولكن مع كثرة المجانين الذين تزدحم بهم المدن الامريكية فانه لم يجد مجنوناً واحداً يقبل شراء فندق سياحى فى بلد انعدمت فيه السياحة .. واخيراً لم يجد بداً من العودة .. ولعل الحنين الى زوجة السفير هو الذى عاد به إلى بلد الرعب بالليل والنهار .. بلد « الطنطن ماكوت » .

النباتيون فوق الجزيرة

على السفينة ايضاً ، نجد مستر سميث وزوجته مسز سميث والسيد سميث امريكى جاوز الستين . وربما السبعين . نفهم أن لديه فضلة من مال . وهو وزوجته من فصيلة النباتيين . ولا يهمنا ـ كما أن جراهام جرين لا يخبرنا من اين له هذا المال . ولكنه كما يقدمه لنا ـ او بمعنى اصح كما تقدمه زوجته لكل من تقابله كان مرشحاً سابقا لانتخابات الرئاسة الامريكية فى عام ١٩٤٨ . ومع انه يعترف أن فرصته فى النجاح كانت معدومة . ولم يسمع احد باسم سميث .. الا أن زوجته تصر على أن « هزيمتهما » كانت أشرف من اى انتصار . ويكفى انهما رفعا علم النباتيين الأمريكيين عالياً ، وفازا بنحو عشرة آلاف صوت !

ولكن لماذا هما ذاهبان إلى هايتى ؟ ان معهما خطاب توصية لوزير « الخدمات

المُمثلون الهزليون

الاجتماعية الدكتور فيليبوت لكى يساعدهما فى اقامة مركز للنباتيين فوق الجزيرة الخضراء .. وعندما يسمع براون بذلك يقول .

ـ اعتقد أن هذا المشروع سوف ينجح كثيراً فى تاهيتى . فان ٩٩٪ من اهلها نباتيون .. لا يذوقون اللحم أبداً .. على الاقل منذ بدأ عهد بابا دوك ويجيب مستر سميث شارحاً فلسفته فى الحياة ..

ـ إن المذهب النباتى لا يعنى مجـــرد الامتناع عن اكل اللحوم . وانما هو دعوة للسلام تبدأ من الجذور . ذلك أن بروتينات اللحوم تفرز افرازات حمضية هى التى تحرك لدى اكلها شهية العدوان . وهذا هو السبب فى كل الحروب ..

يقول براون : ولكن اهـــل هايتى لا يمتنعون عن اللحم لانهم ضد الحرب . وانما ببساطة لانهم فقراء ..

وهنا تضع مسز سميث النقاط على الحروف ، فتقول .

ـ ولان الفقراء لا ياكلون اللحوم ، فانهم لا يصنعون الحروب . انهم يموتون فيها فقط . الاغنياء فقط هم الذين يصنعون الحرب . والسبب واضح .. لانهم هم الذين ياكلون اللحوم ..

وننتقل الآن الى الراكب الرابع على ظهر السفينة . انه يقدم نفسه للآخرين باسم « ماجور جونز » . ولكن براون منذ اللحظة الأولى لا يرى فيه سوى انه مجرد افاق . ولا يجد فى تصرفاته ما يدل على انه كان لديه اى علاقة بالجيش ورغم كل الروايات التى يحكيها جونز عن بطولاته فى الحرب العالمية الثانية ، وبعدها فى بورما والكونغو وبلاد تركب الأفيال إلا أن براون وسميث ، وزوجته ، وقبطان السفينة يشكون فى كل كلمة ، ولا يصدقون منها شيئاً .

اما لماذا هو ذاهب إلى هايتى ، فى الوقت الذى يهرب منها فيه الآخرون فهذا هو السؤال .

فى الفصول الأولى يحـــاول قبطـان السفينة أن يستدرج براون لكى يعرف له نوايا مستر جونز .. ويبلغه صراحة انه تلقى رسالة بذلك من مركز الشركة فى فيلادلفيا . ولكن براون يجيب بصراحة انه ليس مستعداً للتجسس على مستر جونز مع انه شخصياً لا يثق فيه .. ولا يصدق انه يحمل اية رتبة عسكرية . ويعتقد انه



يغش فى لعبة البوكر . وان كان لم يستطع أن يكتشف كيف يفعل ذلك أبداً .

ومع ذلك . فاننا نكتشف شيئاً جديداً فى مستر جونز ، او ماجور جونز ، الله اعلم ، وذلك فى الليلة الاخيرة فوق ظهر السفينة قبل وصولها إلى بورت أو برنس فقد نظم سهرة رائعة . واستطاع ، بالامكانيات القليلة جداً الموجودة بالسفينة ، حتى بادوات المطبخ التى حولها إلى اوركسترا ، أن يجعل الجميع يستمتعون بسهرة حافلة .. لولا أن راكباً غريب الأطوار ، من اهل امريكا اللاتينية ، كان دائماً يتجنب الحديث مع اى انسان ، ولا يجيب باكثر من نعم أولا إلى كل من يبداه بالكلام . ولكن عندما دعاه جونز إلى أن يقدم « نمرة » فى احتفال العشاء الاخير .. اذا بالجميع يفاجاون بالسيد فرناندیز هذا ينخرط فى البكاء بحرارة حركت حتى مستر سميث وزوجته .. وكانما يريد أن يقول ان احداً من اهل تلك القارة المطحونة عظامها حتى النخاع لا يملك ما يقدمه فى اى احتفال سوى الدموع .. كثيراً من الدموع ..

المفاجاة القاسية

فى الميناء ، وقبل أن يفارق براون رفاق السفر ، ماجور جونز ومرشح الرئاسة السابق وزوجته دعاهم جميعاً إلى النزول بفندقه بعد أن اعطاهم عنوانه . وسبقهم هو ليجد فى انتظاره صحافياً نشيطاً من أهل المدينة . ورغم ترحيب هذا الشاب به الا انه كان متحفظاً معه . ففى ظل ارهاب « الطنطن ماكوت » من الجائز جداً أن يكون صاحبنا هذا واسمه بيتى بيير عميلا لهم .

سأل بيتى بيير .

ـ تقول ان معك بالسفينة مرشحاً سابقاً للرئاسة الامريكية .. هذا نبأ عظيم للجريدة .. ما اسمه ؟ وماذا جاء يفعل هنا .

ـ اسمه مستر سميث . ومعه زوجته . اما ماذا جاء يصنع هنا فاعتقد انه يحمل رسالة توصية لوزير الخدمات الاجتماعية .

ـ من دكتور فيليبوت ؟ يا للمصيبة !

ـ اية مصيبة ؟

همس بيتى بيير فى اذن براون ..

ـ دكتور فيليبوت مختف من اسبوع !

ولكن اذا كان اختفاء فيليبوت يعنى شيئاً بالنسبة لبيتى بيير او مستر سميث . فان ما يعنى براون الآن هو المـــرور بالنافورة السابحة فى الظلام فى الطريق الخلفى بين الميناء ، وفندق التريانون .. فندقه .. هذا هو المكان الذى ستنتظره فيه صديقته مارتا بينيدا .. زوجة السفير هو لا يدرى ما اذا كانت ستاتى كما وعدت فى مكالمته الهاتفية معها امس . ولكنه ما كاد يقترب حتى وجد السيارة المعهودة . تماماً حيث اعتادت أن تقف منذ ثلاثة اشهر ، وعليها بحروف بارزة « هيئة دبلوماسية » .. انها سيارة مارتا . وفى لحظة اللقاء نسيا كل ما كان بينهما من جفاء .

ولاول مرة رضيت ان تصـــحبه إلى التريانون الذى وجده خاوياً على عروشه . فقد هجره جميع الطباخين والسقاة والخدم . ولم يبق فيه سوى خادمه الاعرج جوزيف ..

غير أن جوزيف كان لديه مفاجاة قاسية لسيده . تلك هى أن الدكتور فيليبوت ، وزير الخدمات الاجتماعية المختفى منذ ايام كان قد اختار فندق التريانون ـ رغم انف جوزيف ـ مكاناً لاختبائه . ولكن جوزيف اكتشف عصر اليوم عدم وجوده فى غرفته فراح يبحث عنه فى كل مكان . فى الغرف الاخرى والصالات والدهاليز والحديقة واخيراً وجده فى الركن البعيد عن حمام السباحة المفرغ من المياه منذ سفر السيد . ولكنه كان جثة هامدة . كان قتيلا . واغلب الظن انه انتحر .

ورطة ما بعدها ورطة . فاكتشاف جثة الدكتور فيليبوت ـ الذى لم يكن وزيراً سيئاً على اية حال يمكن أن يضع براون وجوزيف ومارتا وكل من يمت لهم بصلة فى فم « الطنطن ماكوت » المفترس ..

كانت مارتا بعيدة فى احدى غرف النوم عندما علم براون بالامر . ولكن وجود

سيارته الآن يمكن ان يفيده . فلابد من التصرف بسرعة . ولابد من احد ليساعد براون على التصرف . وهنا تذكر الدكتور ماجيوت . كان طبيبا حرا عجوزا وصديقا لوالدته ، وصديقا ايضا للدكتور فيليبوت . وبعيدا عن اشتباهات بابا دوك ، فارسل جوزيف مع مارتا لاستدعائه .

وهكذا ، بمساعدة الدكتور ماجيوت — الذى يحمل ترخيصا بالمرور ليلا بصفته طبيبا رغم حظر التجول المفروض على المدينة من الغروب للشروق — امكن نقل الجثة الى مكان بعيد واخفاؤها فى الاحراش ، حيث كان لا احد يتوقع اكتشافها قبل ايام . ولكن مصادفة سيئة جعلتها تكتشف فى اليوم التالى . وجن جنون بابا دوك لافلات غريمة من يده . كان يريد ان يجيئوا به حيا ليشرف بنفسه على تعذيبه ، ارضاء لنزعة سادية مفرطة لديه .

وعاشت المدينة فى حالة رعب . وتم اعتقال بضع مئات من اقارب الدكتور فيليبوت ومعارفه وجيرانه . رجالا ونساء واطفالا فى بعض الاحيان . وهرب مئات اخرون الى فنزويلا ...

اما ما هى الجريمة التى ارتكبها الدكتور فيليبوت واستحق معها غضب بابا دوك فهى انه ذات ليلة ، وفى جلسة خاصة جدا، ابدى — بصفته زميل دراسة قديم لبابا دوك — شكه فى صحة لقب «الدكتور» الذى يسبق به اسمه .

(كان الرئيس السابق لهايتى يسمى نفسه الدكتور دوفالير . اما رعاياه فكانوا يسمونه البارون سامدى . وهو فى اساطير الجزيرة شبح الموت الذى يتجول دائما حول المقابر بقبعة سوداء عالية وسترة سوداء طويلة تماما تشبه الزى الذى اعتاد بابا دوك ان يظهر به فى المناسبات) .

فى نفس اللحظة التى اكتشف فيها براون جثة الدكتور فيليبوت ، وصل مستر سميث — مرشح الرئاسة السابق — وحرمه المصون للفندق . وقد شاهدا الجثة فى الحمام من بعد ولكن براون اقنعهما انها لمتسول مسكين لم يجد مكانا يبيت فيه . ولانهما اكثر اهتماما بمعدلات غذائهما النباتى لم يعبرا الامر اى انتباه .

ولكنهما فى اليوم التالى راحا يهتمان بمستر — او بالماجور — جونز . ولقد كان معهما فى الميناء . وكان مفروضا ان يصل فى اعقابهما للنزول بالفندق . وبينما هما يتحاوران مع براون حول غياب جونز إذا بالصحفى بيتى بيير — وكالة الانباء المتجولة يصل ليقول ان مستر جونز اعتقل فور خروجه من الجمارك وهو الآن فى السجن .

ويسال سميث :

— باية تهمة ؟

ويثير السؤال دهشة الجميع . ان مستر سميث ، الرجل الذى كان يريد ان يكون رئيسا لاميركا لا يعلم ان الناس فى هايتى يعتقلون اولا ، ثم يجرى البحث بعد ذلك عن تهمة لهم إذا اريد ان يتحول الاعتقال الى سجن لمدة محدودة . ولكنهم يمكن ان يقضوا حياتهم كلها وراء القضبان ، او يعدمون فورا ، او ببطء دون ما ضرورة لاية تهمة !

ومع ذلك فان سميث يرى أن الامر يستحق الاهتمام . فمستر جونز رجل ابيض نعم هو بريطانى وليس اميركيا ولكنه مع ذلك رجل ابيض . ولا يجوز ان يعامل فى هذا البلد كما يعامل اهلها ، او سائر الملونين .

ويقترح سميث ان يتحدث مع الدكتور «فيليبوت» وزير الخدمات الذى يحمل له رسالة التوصية . ولكن براون وبيتى بيير يفهمانه ان الدكتور انتحر . والدنيا مقلوبة. وخير له ان يخفى رسالة التوصية التى جاء بها ، فان مجرد ظهور اية علاقة له بالدكتور فيليبوت سيعرضه لمتاعب لا قبل له بها .

وسميث يفهم الرسالة . ولكن كبرياءه — خصوصا وهو مرشح سابق للرئاسة — وكذلك احساسه المفرط بالتضامن الابيض ضد براءة العالم الثالث . هذا وذاك ، وربما لانه لا يجد شيئا آخر يفعله بعد ان فقد الواسطة التى كان سيقيم عن طريقها مركزه النباتى — قرر ان يستمر فى المحاولة .

ويصحبه براون الى وزير الخارجية .

وفى مكتب سكرتير الوزير يجرى مشهد كوميدى آخر ..

فالسكرتير ، المشغول جدا . لا يلتفت الى زائريه الا عندما يرى احد السفراء خارجا من لدن الوزير — وهو بالمناسبة السنيور بينيدا زوج مارتا الحبيبة — يحيى براون بحرارة . هنا يسالهما بادب مصطنع عن اية خدمة ..

— مستر سميث يريد مقابلة سعادة الوزير ..

— اسف ، الوزير مشغول جدا اليوم . إنه يستعد للسفر غدا ليلقى خطاب الجمهورية امام الجمعية العامة للامم المتحدة ..

— ولهذا السبب بالذات يجب ان يقابل مستر سميث اليوم .. انه كما يجب ان تعرف المرشح الاميركى للرئاسة .. (صحيفة بيتى بيير على مكتب السكرتير . وعليها صورة سميث ونبا وصوله) . السكرتير لا يصدق نفسه . مرشح الرئاسة الاميركية هنا فى هايتى ؟

— إنه هنا لقضاء بعض الاعمال . ويرغب فى رؤية الوزير قبل ان يعود الى نيويورك .

— ارجوكما . انتظرا لحظة .

وبالطبع يتم اللقاء مع الوزير .. وبعد مناقشة سريعة يقوم فيها براون بدور المترجم والوسيط . يتحدث براون عرضا عن استعدادهما — فى مقابل الافراج عن جونز — لدفع اية كفالة ..

— كفالة : ما معنى كفالة ؟ .

— مبلغ من المال يودع لدى سعادتكم كضمان لعدم مغادرة جونز الجزيرة دون موافقتكم ..

وباشارة من جونز يخرج سميث من حافظته مبلغ ٢٠٠ دولار .. يضعها الوزير فى جيبه دون تردد .. وهو يعد ان يفعل ما بوسعه .

ويقول براون نفسه : لا جونز ، ولا هذا الوزير يساويان اكثر من هذا المبلغ ؟

البنادق والقصائد

بالرغم من ان الممثلين الهزليين لا ياخذون شيئا ماخذ الجد . إلا انه يحدث احيانا ان تفرض عليهم بعض المواقف . وهكذا كان قدر صاحبنا براون مع الدكتور

● عندما يفضل الشاعر البنادق على القصائد!

فيليبوت . إذ ظل شبحه يلاحقه حتى بعد أن تخلص من جثته ـ بمساعدة الطبيب الملتزم الدكتور ماجيوت .

فالطريق الى المدافن يمر من امام فندق التربانون . ولقد فوجىء براون وسميث عقب عودتهما من لقاء وزير الخارجية بموكب جنازة الدكتور فيليبوت يكاد يصل الى مواجهة الباب الخارجى للفندق عندما اقبلت من الخلف سيارة سوداء كبيرة . وفى اثرها عدد من سيارات الجيب المحملة بالجنود المسلحين ، واخذت تشق طريقها بسرعة حتى وصلت كلها للمقدمة . وسدت الطريق على موكب الجنازة . ونزل منها

شخصان مهمان .. كانا من كبار المسئولين فى جهاز امن بابا دوك الرهيب «الطنطن ماكوت» . وهدفهما هو اختطاف نعش الدكتور فيليبوت من سيارة الموتى التى تحمله ليتم دفنه بمعرفة السلطة . فى مكان لا يعرفه احد حتى لا يتحول قبره الى مكان للتجمع او المتاعب ..

تصرخ ارملة القتيل . كما يصرخ ولده الصغير . ويستفز المشهد غير الانسانى نخوة مسز سميث ولكنها تنال لكمة من احد رجال الامن تلقيها مشدوهة على جانب الطريق . ويحاول زوجها ـ مرشح الرئاسة ـ ان يتدخل . ولكن براون يقنعه ان لغة التفاهم من الطنطن ماكوت معدومة . ومع ذلك فان تدخل مسز سميث وهمهمات زوجها كانت كافية لاثارة غضب رجلى الامن ..

ويبدو ان شيئا ما فى عينى براون استفز احدهما فاشار الى براون ان يتقدم اليه .

ولما كان براون ـ كما يقول عن نفسه ـ فقد تقدم اليه طائعاً ..

ـ انت مالك هذا الفندق ؟

ـ اجل .

ـ إذا لقيتنى مرة ثانية لا تحملق فى وجهى هكذا .. فاهم ؟

ـ ...

ـ ومن هذا العجوز الذى معك ؟

ـ إنه مرشح الرئاسة الاميركية !

ـ ها انت تسخر منى مع انى حذرتك ! انت تستخدم هنا مواطنا اسمه جوزيف .. اليس كذلك !

ـ اجل !

ـ اساله عنى . لقد استجوبته بنفسى ذات مرة ..



ـ بدون ان اسال .. لقد رايت نتيجة الاستجواب على ساقيه !!

ـ مرة اخرى اقول لك انا لا احب طريقتك فى الحديث .. ولكنى مشغول عنك اليوم .. ثق اننا سنلتقى !

وكذا وجد براون نفسه وقد اصبح عدواً شخصياً لواحد من شياطين الطنطن ماكوت ..

ولكن تورط بروان مع الطنطن ماكوت لم يبدأ إلا بعد ذلك بفترة ، عندما التقى ذات يوم فى منزل السفير ـ زوج صديقته مارتا بشاب يدعى هنرى فيليبوت .. هو ابن شقيق الوزير المنتحر ..

وهنرى شاعر . ويبدو ان له بعض العلاقات الغامضة مع المتمردين ضد طغيان بابا دوك . ولكن براون كما نرى لا يرتاح له كثيراً لمجرد انه سمع بضع كلمات اطراء لشعره من مارتا .. فبراون غيور جداً كما نرى . انه يغار حتى من ابن مارتا الطفل «انجيل» ، ومن زوجها السفير .

ويسال براون هنرى عن آخر قصائده فيقول انه اليوم يفضل البنادق على القصائد . ويساله بدوره ما اذا كان يستطيع ان يعلمه كيف يستخدم مدفعاً رشاشاً . فيحدثه براون عن الماجور جونز .. إن له ـ كما يقول عن نفسه ـ خبرة واسعة بالسلاح ، وكان يوماً ما محارباً عظيماً فى بورما !!

وفى منزل السفير نتعرف ايضاً على شخصية جديدة .. هو «حامد» مهاجر لبنانى يملك بنسيونا فى العاصمة يؤجر غرفه عادة لفترات قصيرة . وقد سبق لبراون ومارتا ان امضيا فى بنسيونه ليلة . ولكنه رغم ذلك يبدو وثيق العلاقة بهنرى فيليبوت ..

فى نفس المساء يحاول براون الاختلاء بمارتا فى احدى الغرف الكثيرة بالسفارة .

ولكنها ترفض بحجة انشغالها بمرض ولدها . غير ان الغيرة القاتلة تجعل براون يتصور انها تفضل الشاعر هنرى عليه . فينصرف غاضباً ، مقرراً ان يثار من «عذرها» فى احد بيوت صاحبة صديقة قديمة تدعى ماما كاترين ؟ .

ولكن حظه الاسود ـ او الهزلى ، لا ندرى ـ يجعله يجد غريمه ـ رجل الطنطن ماكوت واسمه بالمناسبة «كونكاسير» قد سبقه الى هناك ..

وتدور بين الاثنين مبارزة كلامية يستخدم فيها كاتبنا جراهام جرين كل ذخيرته من السخرية والمرارة . وفى اللحظة التى يكاد يتطور فيها الامر الى مبارزة حقيقية ـ غير متكافئة بالمرة بينه وخصمه الطنطن ماكوت المسلح ، والمؤيد بفرقة كاملة من الحرس تنتظره بالخارج حتى ينهى «ماموريته» الدنسة فى بيت ماما كاترين ـ إذا بالباب الدوار يفتح ليدخل منه الماجور جونز بلحمه ودمه .

ولكنه «جونز» غير الذى نعرفه . نعم ان بعض علامات التعذيب فى السجن لازالت آثار بصماتها على وجهه . ولكنه الآن فى بزة مفرطة فى الأناقة . وسيجار فخم لا يقل طولا عن سيجار السفير بينيدا .

وتنحسر المبارزة بين براون وكونكاسير بالتعادل دون اهداف . فكونكاسير كما يبدو صديق حميم جداً لجونز . ولجونز عنده «خاطر» لا يرد .

وعندما ينصرف جونز وبراون فى سيارة الاول «المرسيدس» الفارهة سيكتشف الاخير سر المسالة .

إن جونز استطاع بحيلة ما أن يصل الى كونكاسير . وهو الآن شريكه فى صفقة اسلحة ضخمة سيوردها جونز لجمهورية بابا دوك . ولكونكاسير عمولة تصل الى مئات الوف الدولارات ستوضع باسمه باحد البنوك السويسرية إن اراد ..

اما سبب اعتقال جونز فهو انه عندما وصل كان يحمل رسالة بدوره من مستر سميث الى رجل فقد نفوذه او مات او قتل ـ كله سيان فى هايتى ـ ولكنه استطاع ان يقنع كونكاسير بان الصفقة المغرية يمكن ان تنتقل اليه . وخصوصاً وان نظام بابا دوك اصبح فى مسيس الحاجة الى السلاح ليحتمى به من ثورة شعبه ، بعد ان قررت اميركا تحت ضغط الكونجرس منع تصدير الاسلحة الى هايتى .

سنعرف ايضاً ان جونز يقيم الآن فى قصر منيف ، كان من قبل مقراً لاحد خصوم بابا دوك .. الرئيس دوفالير ..

ولكن سميث كان اسوأ حظاً من زميله السابق على ظهر المركب . فقد اتضح له عندما التقى بخليفة فيليبوت فى وزارة الخدمات ان المبلغ الذى يريده هذا الرجل رشوة للموافقة على مشروع المركز النباتى اكبر من وزارة المالية . ثم ان حكومة هايتى تتوقع ان يقيم مستر سميث المشروع على حسابه . بينما هذا يتصور العكس . وهكذا تقرر صرف النظر عن المشروع باكمله ، ولكن مسز سميث اقنعته بالانتظار ، لعل الأمور تتغير ..

ونعود الى الشاعر فيليبوت . إنه مازال مصراً على استبدال كلمات القصائد بطلقات البنادق . ولذلك فقد اخذ بنصيحة براون ، وتوجه الى جونز فى قصره الجديد . بالطبع دخل اليه خفية ، وبدون ان يدع فرصة لكي يراه رجل الطنطن ماكوت الذى يقوم على حراسة القصر ، او مراقبة جونز .

واستمع جونز بادب ومرح الى مطالب هنرى فيليبوت . انه يريد رشاشات . ويريد ايضاً من يدربه واصحابه على استخدام الرشاشات . بسبعة رشاشات فقط يستطيع ان يصنع شيئاً . ويخلص البلاد من طغيان بابا دوك او الدكتور دوفالير ، او البارون ساميدى أياً كان الاسم الذى اختاره الطاغية لنفسه ، او اختاره له رعاياه .

وفى هذا اللقاء نكتشف جانباً جديداً فى شخصية جونز . فهو يستمع الى الجانب الايجابى فى حديث هنرى فيليبوت بادب . ولكن هذا لا يهمه فى شىء . انه فى هذه اللحظة مرتبط بصفقة اسلحة مع بابا دوك، ورجل المخابرات (الطنطن ماكوت) كونكاسير . وهذه الصفقة ستدر عليه كذا الف دولار . فاذا كان هنرى مستعداً لكى يتيح له كسباً اكبر فهو مستعد فى الحال لأن يحول الصفقة له .. هكذا ببساطة . هذا هو منطق رجل الأعمال الذى يلعب جونز الآن دوره بدقة . ولكن الشاعر يستفزه هذا المنطق «العملى» فيتعمد عند خروجه ان يجعل رجل الطنطن ماكوت يشاهده ، حتى يبلغ رؤساءه بزيارته لجونز . وهو المعروف بصلاته بالمتمردين وعدائه لبابا دوك .

خطة هروب محكمة

ذات ليلة دعا جوزيف سيده لحضور حفل شعبى «للفودو» وهو نوع من الرقص مرتبط بطقوس السحر لدى الأهالى . هناك فى الحفل يشاهد براون الشاعر هنرى فيليبوت . ويلاحظ ان عدداً من الشباب منهم هنرى وخادمه جوزيف (الاعرج) يتبادلون اشارات وهمسات لم يحاول ان يفهمها . ولكنه اثر العودة وبحث عن جوزيف فلم يجده . بحث عن هنرى ايضاً فلم يجده ، فعاد ادراجه . وعندما وصل الى الفندق كانت الساعة الرابعة صباحاً .

فى السادسة استيقظ من النوم فزعاً على اصوات تملأ غرفة نومه . اكثر من عشرة من رجال الطنطن ماكوت يتقدمهم كونكاسير بنفسه ومسدسه يكاد يلتصق براس صاحبنا .. فاذا ما حاول هذا ان يتظاهر بالشجاعة او يشير الى ان معاملته بهذه الطريقة يمكن ان تثير تساؤل وربما غضب السفير الفرنسى ، اوسعوه ضرباً وركلا .. حتى فهم اخيراً انهم يبحثون عن خادمه جوزيف .

ـ انت نقلته بنفسك فى سيارتك الى مكان ما فى خارج المدينة اليس كذلك ؟

ـ هذا صحيح . صحبنى الى حفل للفودو ..

ـ هل كان هنرى فيليبوت هناك ؟

ـ اجل . مجرد مصادفة . ولكنى لم اتحدث اليه ..

ـ ثم تركت جوزيف وعدت وحدك .. اليس كذلك ؟

ـ نعم . عندما اردت العودة التمسته فلم اجده ..

ـ فى نفس الليلة هاجم عدد من المتمردين مركز الشرطة القريب من المكان الذى سهرت فيه . وقتلوا شرطياً . واستولوا على رشاشه ..

ـ وما شانى انا بذلك !

ـ تعرف بعض الشهود على احد الجناة . وكان اعرج ..

ـ هناك اكثر من الف اعرج غير جوزيف بالمدينة ..

وكان الرد على هذه الاجابة مزيداً من الضرب . الرجال العشرة ، وكونكاسير على راسهم كلهم يضربون .. ولا ينقذ براون سوى نزول مسز سميث التى ايقظتها الضجة ، وامام التهديد باستخدام نفوذ مرشح الرئاسة الذى كان له شرف الاجتماع مع بابا دوك نفسه منذ ايام فضلا عن وزير الخدمات الجديد .. انسحب كونكاسير ورجاله وهو يتوعد براون بيوم اخر لن يجد فيه من ينقذه ..

وفى اليوم التالى تصل الى براون بطاقة اعتذار رقيقة من الماجور جونز باعتباره صديقاً وشريكاً لكونكاسير المرعب .

وبعد ساعات يودع براون ال سميث فى المطار . ويكتشف لأول مرة ان «حامد» اللبنانى غير موجود . ويفهم انه اختفى ..

وفى طريق العودة يمر بقصر الرائد جونز . فيحدثه هذا عن رغبته فى ان يشاركه . فالعملية المشتركة بينه وبين كونكاسير تتطلب منه ان يسافر كثيراً للخارج . ولابد من صديق مؤتمن ليتابع الأمور هنا . والمقابل ؟ ١٥٠ الف دولار . اى ما يساوى ثمن الفندق عدة مرات .

ويعد براون ان يفكر فى الأمر . ولكن تفكيره يقوده الى الاقتناع بان جونز يدبر «خبطة كبيرة» . ولعله عندما ينكشف الأمر ان يكون بالخارج ، بعيداً عن ايدى بابا دوك تاركاً براون بين ايديهم رهينة !

ولكن الأمور تطورت بسرعة وفى اتجاه يختلف عما كان يقدر براون . فلامر ما اكتشف كونكاسير ان جونز يخدعه . ويعلم جونز فى الوقت المناسب بانه انكشف فيلجا الى براون ، الذى لا يجد له مكاناً يختبىء فيه بعيداً عن ذراع الطنطن

● إذا لقيتنى مرّة ثانية
لا تحملق في وجهي هكذا!

● رجال
لا يعرفون التفاهم
إلا باللطم واللكمات!

الممثلون الهزليون

ماكوت الطويلة سوى بيت السفير زوج مارتا . هناك يستطيع جونز ان يعيش لاجئا حتى تسنح فرصة لتهريبه .

ويعترف جونز لبراون انه لم تكن هناك تحت يده اية اسلحة فى اى وقت ليبيعها او يتوسط لبيعها لبابا دوك وكونكاسير . وانه كان ينوى اختطاف المبلغ كله لنفسه ..

المهم .. يقبل السفير إيواء جونز فى مبنى السفارة . وسرعان ما يكتشف براون ان جونز قد اصبح صديقا حميما للاسرة كلها . للسفير ومارتا وحتى انجل الصغير .

ويقتله الشك والغيرة . فمع كل زيارة يقتنع ان جونز قد احتل مكانا اوسع فى قلب مارتا .. وراح ينقلب على حجر من العذاب .. ويرمى مارتا بشكوكه فى كل حين حتى فاجاته ذات يوم بقولها ان شكوكه فى محلها .. وانها وجدت جونز افضل منه الف مرة .

وذات ليلة جاءه الدكتور ماجيوت . إنه يحمل له رسالة من هنرى فيليبوت الذي هرب الى الجبل ، ومعه نحو ١٢ من المتمردين . وفى نيته ان يزحف للشمال ، ليتخذ قاعدة لكفاحه على الحدود مع جمهورية الدومينكان ، حيث يوجد هناك نحو ثلاثين اخرين .

ـ يريد ان يحرر هايتى باثنين واربعين رجلا ؟

اما ماذا يريد هنرى فيليبوت ، من الماجور جونز . ان المتمردين يريدون رجلا عسكريا محترفا ليدربهم على استخدام السلاح . ومن يصلح لهذا الدور افضل من جونز ؟ ثم ان جونز يتمتع بخاصية عجيبة انقذ بها رجاله اكثر من مرة اثناء الحرب .. انه يستطيع ان يشم رائحة الماء مهما كان بعيداً !!

وبطريقة ما يقنع براون للماجور جونز ان انتقاله الى خارج البلاد عن طريق المتمردين هو السبيل الوحيد لنجاته ، خصوصا وان هناك انباء قوية تفيد ان السفير بينيدا ستنتهى خدماته هنا .

وبالاشتراك مع الدكتور ماجيوت يضع براون خطة محكمة لتهريب جونز .

هل كان يقصد فعلا تهريبه ؟ ام كان كل ما يسعى اليه هو ابعاده عن مارتا ؟

ابطال بمحض الصدفة

وتقترب القصة سريعا من نهايتها ، فالسيارة الجيب التى اعدها براون لتهريب جونز تتعطل فى الادغال قبل ان تصل بهما

● ياصديقي .. أحد عيوبي أنني أكذب كثيرًا!

الى المكان الذى سيستقبلهما فيه بعض ادلاء الثوار لينقلوا جونز عبر الحدود . ويضطران الى المشي حتى ينهكهما التعب ، وفى اللحظة التى يدركان فيها ان نهايتهما قريبة يصبحان اكثر صراحة ..

ويسال براون السؤال الابدى الذى يعذبه :

ـ قل لي بصراحة يا جونز .. كيف كنت تدبر امورك مع السفير ؟

ـ كان لطيفا جداً معى .. ولا اظن انى كنت مصدر اية متاعب له .

ـ على الاقل كنت صديقا لزوجته ؟

ـ من اين لك هذه الفكرة السخيفة ؟

ـ هى بنفسها قالت لي ذلك !

ـ مستحيل : اللهم إلا اذا كانت تريد ان تثير غيرتك . او لعلك اتهمتها فارادت ان تعذبك ..

ـ يعنى لم يحدث ... ؟

ـ كلا بالطبع .. انا لست زير نساء ..

ـ ولكنك طالما حدثتنى عن مغامراتك مع النساء من كل جنس ..

ـ يا صديقى .. احد عيوبى اننى اكذب كثيراً !

ولايلبث براون ان يكتشف كذبة اخرى . عندما يعترف له جونز انه لم يحمل سلاحا فى حياته .

ـ الم تكن فى الجيش ؟

ـ نعم كنت ، ولكن فى ادارة الترفيه !!

وعندما يفرغ ما معهما من ماء ، ويكادان يموتان عطشا .. يسال براون :

ـ حاول ان تشم لنا ماء يا جونز . سيقتلنا العطش ..

ـ هل صدقت هذه الرواية ؟ لقد سمعت مرة احد الهنود يقول عن نفسه ذلك ، فنسبت الامر لنفسى !

واخيراً ، وصلوا الى مكان اللقاء . لم يكن احد بالانتظار .. وعلى جونز ان ينتظر وحده لان ترخيص المرور الذى حصل عليه براون لا يسمح له بالبقاء ..

ويفترقان ..

وبعد بضع ساعات من السير فى اتجاه السيارة المطلوبة يفاجا براون بسيارة جيب تسد عليه الطريق .. وينزل منها كونكاسير بنفسه ، يتقدمه مسدسه ..

ولكن قبل ان يستخدمه ، تدوى طلقات رصاص من مكان ما . ويخر كونكاسير ورفاقه صرعى . وينزل من فوق التل القريب جوزيف بنفسه ، وفى يده رشاشه ..

ويقول لهما براون اين ترك جونز . ويقفل راجعاً .

● ● ●

بعد فترة طويلة او قصيرة . وبواسطة مستر سميث ، وجد براون عملا فى سان دومينجو .

وهناك التقى مع هنرى فيليبوت ذات يوم .. وساله عن جونز فاجاب :

ـ كان بطلا عظيما . هل تعرف كيف لقي حتفه ؟ ونحن نجتاز الحدود وقعنا فى كمين جرينا . ولكنه اصيب بالتواء فى قدمه . امرنا ان نسرع ليحمى هو هروبنا . ظل فى مكانه يطلق الرصاص حتى تمكنا من الهرب . هرب منا عشرون ومات عشرون .. وقد اقمنا فى نفس المكان الذى مات فيه نصبا تذكاريا نقشنا عليه اسمه ؟

● ● ●

فى مقدمة الفصل الاول من رواية «الكوميديون» يقول جراهام جرين انه كثيراً ما يتمشى فى شوارع لندن ليتامل هذا العدد الكبير من تماثيل قادة الجيوش فوق صهوات الخيول ، والزعماء السياسيين فوق قواعد شامخة الارتفاع ..

ويتساءل ، الم يكن الماجور «جونز» يستحق تمثالا كهؤلاء بدلا من النصب التذكارى المتواضع جداً الذى يكاد يتوارى خلف الاحراش فى مكان ما على الحدود بين هايتى والدومينكان ..

ولعلنا نحن ايضا نتساءل ، ما الذى يقصده جراهام جرين بهذه الملاحظة السريعة .. وهل يريد ان يقول ان كل اصحاب هذه التماثيل عاشوا حياتهم يمثلون ادواراً هزلية مثل الماجور جونز ، ولم يصبحوا ابطالا إلا بمحض الصدفة .. تماما كما حدث معه ؟

الارجح ان هذا بعض ما اراد ان يقول .

مصطفى كمال



بقلم : الدكتور محمد البهي

التهذيب في المعاملة

حددت ثلاث آيات مدنية فى سورة مكية ـ وهى سورة الأنعام ـ اطار هذه المعاملة : بعبادة الله وحده .. وبالاحسان للوالدين .. وبعدم قتل الأولاد ، خشية الفقر .. وبعدم الاقتراب من الفواحش والجرائم الظاهرة والخفية على السواء .. وبعدم قتل النفس التى حرم الله قتلها الا بالحق .. وبالوفاء فى الكيل فيما يكال ، وفى الوزن فيما يوزن .. وبالعدل فى القول ، والشهادة وفى الحكم بين اثنين ، ولو كان احدهما قريباً لمن يقول ، او يشهد ، او يحكم .. وبالوفاء بعهد الله . يقول الله تعالى :

« قل تعالوا : اتل ما حرم ربكم عليكم :

الا تشركوا به شيئاً (اذ الشرك بالله أساس العبث والفساد فى السلوك فالاتجاه فى العبادة لغير الله هو اتجاه للمنفعة الشخصية . والمنفعة الشخصية يمليها الهوى ، والمشرك بالله لا يلتزم طريقاً واحداً فى الحياة . وانما يسلك طرقاً عديدة ، وملتوية لاقتناص منفعته الشخصية) .

وبالوالدين احساناً (والاحسان للوالدين امارة على وفاء الأولاد . اذ اصبحوا فى وضع ليست لهم حاجة الى والديهم . فوفاؤهم عندئذ دليل على مستواهم الانسانى الرفيع) .

ولا تقتلوا أولادكم من املاق ، نحن نرزقكم واياهم (وعدم قتل الاولاد خشية الفقر دليل على تحمل مسئولية الآباء نحو اولادهم ، وتحمل المسئولية شعور انسانى كريم يدفع بالانسان الى درجة المستوى الفاضل فى الانسانية) .

ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن (وهى المنكرات والجرائم الاجتماعية من : زنا .. وقتل .. وسرقة . والنهى عن اقترافها هو نهى عن ذلك ، سواء فى السر أو العلن .. فى الظاهر والباطن . وعدم مباشرة هذه الجرائم مظهر ينم حقيقة عن التحول عن طريق الايمان . من المجتمع الجاهلى الى المجتمع الانسانى) .

ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون .. (وعدم قتل النفس فى غير رد اعتداء ، او فى غير قصاص دليل كذلك على تعاطف الانسان نحو الانسان . والتعاطف درجة رفيعة فى الانسانية) .

ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده (وكذلك مباشرة مال اليتيم ـ وهو الضعيف الذى لا يقوى على ادراك ما يصنع بماله ، وان ادرك لا يقوى على مقاومة العبث فيه ـ بالطريق الأمثل فى انمائه والحرص عليه : امارة التحول من الماضى البغيض .. الى المجتمع المؤمن وهو الانسانى) .

وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا تكلف نفساً الا وسعها (وكذلك وفاء الكيل والميزان بالعدل ان دل على بعد عن الانانية فى المعاملة .. وبالتالى على الروح الانسانية فيها : فانه من جانب اخر دليل على يقظة الوعى الانسانى فى الانسان الذى يفى بما يلتزمه على اساس من العدل نحو الآخرين . ويقظة الوعى فى الانسان هى ترجمة لمستوى رفيع فى انسانيته) .

واذا قلتم فاعدلوا ، ولو كان ذا قربى (وعلى نحو ممارسة العدل فيما يلتزمه الانسان نحو الآخرين من وفاء فيما يكال او يوزن ، ومن دلالة ذلك على انسانيته : ما يدلى به الانسان من قول لصالح بعض الاطراف فى النزاع بينهم . فان الحياد فيه ـ أو العدل فيه ـ له نفس الدلالة على انسانية القائل) .

وبعهد الله اوفوا (وكذلك الشأن فى الوفاء بالعهد . اذ هو التزام على تحقيق هدف خير . واداء الخير للآخرين هو عطاء من انسانية المؤدى ، وتعبير عن مستواه الرفيع فيها) ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون . وان هذا (اى كل ما ذكره من الوصايا هنا) صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل (اى الأخرى التى عداه ، وهى سبل ملتوية) ، فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » الانعام : ١٥١ ـ ١٥٣ .

واذا كانت هذه الوصايا تمثل مجمل الاطار العام للتهذيب فى المعاملة ..

.. فان الآيات الأخرى التى جاءت فى الوحى المدنى تزيد فى توضيح ما اجمل فيها :

ـ فجاء فى ادب التحية قوله تعالى : « واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها ، ان الله كان على كل شىء حسيبا » النساء : ٨٦ .

ـ وجاء فى أدب المساكن :

« يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستانسوا ، وتسلموا على أهلها (فربط جواز دخول مساكن الآخرين بامرين : الأمر الأول باستئناس القبول من الساكنين : عند القادم . وهذا امر اخص من الأذن بالدخول . اذ يجوز ان يأذن الساكنون بالدخول لقادم وليست لديهم رغبة اكيدة فى لقائه . والاستئناس اذن هو التحسس بهذه الرغبة بعد الاذن بالدخول والأمر الثانى ان يلقوا على الساكنين : السلام ، تطميناً لنفوسهم). ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون .

" فان لم تجدوا فيها أحداً فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم .

" وان قيل لكم : ارجعوا فارجعوا هو أزكى لكم ، والله بما تعملون عليم .

ليس عليكم جناح : ان تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم ، والله يعلم ماتبدون وماتكتمون » النور : ٢٧ ـ ٢٩ .



فصول أبي البهاء مع الرؤساء

بقلم

الدكتور عبد السلام العجيلي

قلت لأبي البهاء ، بعد أن حيانا أنا ورفيقي في المقهى وجلس على طاولتنا :

ـ اعرفك بالأستاذ اسماعيل . صديق قديم وصاحب فصول مثلك . لا تظن أنك الوحيد في صنع المقالب لمن يلقيه سوء الحظ في طريقك .

فرد علي بلهجته الجادة ووقاره الذي يتلبسه أمام من لا يعرفه ، قائلا :

ـ تشرفنا . ماذا يعمل الاستاذ اسماعيل ؟

قلت : هو أيضاً متقاعد ، مثلك . ولكن ليس من الصحة العامة ، بل من وظائف الادارة في وزارة الداخلية .

قال : أنا لم أتقاعد أو أحل على المعاش . مللت الوظيفة فاستقلت منها .

قلت : أعرف هذا ، ولست أجادلك فيه . كنا قبل أن تأتي نستعرض ذكرياتنا . زمان كان الأستاذ اسماعيل رئيساً لديوان مدير المنطقة في بلدتنا الصغيرة . كانوا يسمون المدير في تلك الأيام القائمقام . لماذا لا تحدث صديقنا اسماعيل عن فصلك مع قاضي الصلح توفيق بك ؟

كان اسماعيل في هذه الأونة منشغلا بتسوية وضع الجمرات على رأس الأركيلة التي جاءه بها خادم المقهى ، فقال :

ـ حدثه أنت . أنت تعرف الحكاية ، ولسانك في رواية القصص أفصح من لساني .

قلت : كما تشاء . توفيق بك هذا يا أبا البهاء كان قاضياً للصلح في بلدتنا منذ أكثر من ثلاثين عاماً . كان مشهوراً بحرصه المفرط ، أعني بالبخل . جاءنا منقولا من البلدة المجاورة وهو عزب ، فسكن وحده في غرفة صغيرة يتولى تنظيفها وترتيبها له في كل يوم آذن المحكمة أبو محمد . الموظفون في بلدتنا ، وهي مجرد قرية كبيرة آنذاك ، كانوا قلة تتجمع في سراي الحكومة الصغيرة كل دوائرهم . وفي ذات يوم جاء هذا الرجل ، أعني الأستاذ اسماعيل ، الى مقر وظيفته في بدء الدوام فوجد القاضي توفيق بك في غرفته الواقعة في مدخل دار الحكومة ممسكاً بيده جريدة مفتوحة ، ليس أمام عينيه ليقرأها ، بل مديراً لها وراء جسده كأنه يستر بها ظهره ...

وهنا قاطعني صديقي اسماعيل ليقول مصححاً :

ـ أنت الصادق .. إلا أنك نسيت التفاصيل . فأنا لم أجتمع بتوفيق بك في مكتبه ، بل التقيت به خارجاً من مسكنه في الصباح فتسايرنا الى مقر عملنا في دار الحكومة . لاحظت طول الطريق أنه كان يحمل جريدة مفتوحة وقد أدار يده بها الى الخلف ، ملصقاً إياها بوسط ظهره وما دون الوسط . سألته : «ما الخبر يا توفيق بك .. هل يؤلمك صلبك ؟» قال : «لا ، ولكنه مسمار لعين في باب أحد الحوانيت التي مررت أمامها قبل قليل ... علق المسمار بقفا بنطالي فمزقه . سأرقى قوس المحكمة الآن فلا يرى موضع التمزيق أحد ، وعند عودتي الى الدار أعطي البنطال لأبي محمد لترفوه لي زوجته» . هذا ما جرى في ذلك الصباح . أكمل أنت .

وجه الأستاذ اسماعيل كلمته الأخيرة إلي وانصرف الى سحب الأنفاس المتتالية من أركيلته ليحسن اشتعالها . فأكملت أنا القصة لأبي البهاء . قلت :

ـ توفيق بك ، على نزاهته وكفاءته ، كان كما أخبرتك معروفاً ببخله الشديد . لم يكن يملك إلا بدلة واحدة ، هي التي يلبسها ، ولا كان مستعداً أن يشتري غيرها قبل أن تبلى هذه . طبيعي إذن أن يستمر في ارتداء البنطال الممزق في انتظار أن ترقعه زوجة الآذن في المساء . إلا أن أخانا اسماعيل واتته فكرة عرضها على القاضي ، فقبلها هذا بعد شيء من التردد . لقد

اقترح اسماعيل أن يرقى توفيق بك الى قوس المحكمة العالى ، حيث لا يرى الذين فى قاعة المحاكمات منه إلا وجهه وأعلى صدره ، وأن يخلع بنطاله ، فيأخذه هو الى من يخيط موضع التمزيق فى دقائق قليلة ويعود به اليه مسرعاً .

فقاطعنى أبو البهاء هنا متسائلا : وتقول ان القاضى قبل بهذه الفكرة ؟

أجبت : حقاً لقد قبل . لف اسماعيل البنطال الممزق بجريدة ، وقبل أن يخرج من الغرفة أقنع القاضى بأن ليس من داع لتعطيله عمل المحكمة .. فليستدع الكاتب ، وهو فى العادة يجلس فى مكان واطىء على يمين القوس ، وليباشر باجراء المحاكمات مادام ظهره الى الحائط ومادامت واجهة قوس المحكمة تستر أسفل جسده عن أنظار المتقاضين والشهود وبقية الحضور ! وهذا ما جرى آنذاك .

وهنا استدرت أنا للأستاذ اسماعيل وقلت له :

ـ رويت انا نصف الحكاية . وارى اركيلتك مشتعلة على ما يرام ، فعليك أن تروى لأبى البهاء نصفها الآخر .

قال اسماعيل : على عينى ورأسى . النصف الآخر كان محسوباً . حملت البنطال ملفوفاً بجريدته وذهبت به لا الى منزلى ، بل رقيت به درج دار الحكومة الى مكتب رئيسى مدير المنطقة ، القائمقام ، فألقيته على طاولته . سألنى المدير : ما هذا ؟ قلت له : إنه بنطلون سيادة القاضى ! ففتح عينيه فى وجهى دهشاً ومتسائلا . فلما أخبرته الخبر وبأنى تركت قاضى صلح البلدة يستمع الى المتخاصمين وهو وراء القوس كاشى الرأس والجذع ، مجرد نصف الجسد الأسفل غضب ، إلا انه مالبث أن غلبته روح الفكاهة وتصرف التصرف الذى كنت اتوقعه ...

وسكت اسماعيل للحظة ، فسأله ابو البهاء بلهجة من يقول ذلك تأدبا وليس عن اهتمام صحيح :

ـ وما الذى كنت تتوقعه من تصرف ؟

قال صديقى : توقعت ما حدث بعد ذلك ، إذا لم يكن على التمام فعلى التقريب . فقد أرسل المدير حاجبه الى القاضى طالبا منه المجيء لمذاكرته فى أمر مستعجل فرد توفيق بك بانه سيحضر بعد فراغ ما فى يديه من عمل . فكرر المدير الدعوة مشددا على ان يحضر القاضى فورا ، فجاء جواب هذا بانه مشغول بسماع شهود دعوى جنائية ، وأنه سيلبى طلب المدير حال انتهائه من استجوابهم . عندئذ سطر المدير كتاباً رسمياً وجهه الى القاضى محملا إياه كل مسئولية تمس أمن الدولة ناجمة عن تأخره الذى يجب أن يكون فورياً . وكان رد القاضى ، المحصور وراء قوس المحكمة دون بنطال ، أن سطر هو كذلك كتاباً رسمياً يحتج فيه على دعوة القائمقام إياه بهذا الأسلوب !.. هذا الأخذ والرد أخذا وقتا وأثار فضول الموظفين والمراجعين فى سراى بلدتنا . فقد رأى هؤلاء وأولئك كيف علق القاضى النظر فى الدعاوى ، وأغلق باب غرفته ، وكيف أرسل أذنه وكتابه يجوبون جوانب بلدتنا الصغيرة ... وكان رجال توفيق بك يبحثون عنى لأحمل اليه بنطاله مرفوا قبل فوات الأوان ، وقبل أن ينفذ مدير المنطقة التهديد الذى أورده فى كتابه الرسمى الأخير . لقد تظاهر مدير المنطقة بنفاد الصبر فهدد القاضى بأن يرسل الى المحكمة مفرزة من الشرطة تأتى به اليه قسراً إذا لم يستجب لدعوته طوعاً !

وسكت اسماعيل هنا منصرفاً الى تسوية جمرات أركيلته على رأسها ، فاتممت أنا الحكاية بقولى :

ـ كان الأذن وكتاب المحكمة يبحثون عن أخينا هذا عبثاً . فقد كان آنذاك فى غرفة القائمقام ، التى اجتمع فيها قائد الشرطة ومدير المال وموظفون آخرون ، ممن علموا بحقيقة مايجرى وشاركوا فى الضحك من مازق قاضيهم المفرط البخل . وكانت مصادفة لي أنا شخصياً أن أزور مدير المنطقة يومذاك وأن أحضر ذروة الحرج فى ذلك الموقف . أذكر أنى الححت عندها على اسماعيل بأن يعيد البنطال الى القاضى ، مرفوا أو على تمزيقه ، بعد أن ضحكنا بما فيه الكفاية . نعم لقد ضحكنا كثيراً فى ذلك اليوم . ما رأيك يا أبا البهاء ؟

• • •

وجهت سؤالي الى صاحبي وأنا ابتسم ، مواصلا بالابتسام ضحكي في ذلك اليوم البعيد من حكاية توفيق بك . إلا أن أبا البهاء لم يعد بشعوري ، بل بدا كالمتعض مما قصصناه عليه . قال مجيباً لي :

ـ رأيي؟ ... مع احترامي لأخينا الأستاذ اسماعيل ، أرى أنكم كنتم قساة على القاضي المسكين . ليس البخل جريمة ، فالبخيل وان أضر بنفسه ، لاضرر منه على غيره . ثم انه رئيس ذو مقام ، يستوجب الاحترام .

قلت أنا : ولكني اعرف لك فصولا لم تقصر فيها عن ايذاء الرؤساء .

قال صحيح اذا كانوا يستحقون الايذاء . الدكتور سليم مثلا ...

قلت : أهو ذاك الذى كان مدير دائرتك فى احدى السنين ، وأنت موظف فى الصحة ؟

قال : نعم هو . كان رئيساً صلفاً ، قاسياً في معاملته لنا نحن مرؤوسيه ، كثير التعلق بشكليات لا تفيد في تصريف الأعمال اذا لم تعرقل سيرها . لهذا استحق ما نزل به .

سحب الأستاذ اسماعيل نفساً عميقاً من أركيلته قبل أن يقول : اعتقد أن لي الحق في أن أسمع احدى حكاياتك يا أبا البهاء ، بعد أن سمعت مني حكايتي مع توفيق بك . ما الذي نزل بدكتورك هذا ؟

قال أبو البهاء : ما جرى للدكتور سليم هو أننا أوقعناه في البئر التى حفرها لموظفي دائرته ، عندما تجاوز في مزعجاته كل الحدود . فمنذ تولى رئاسة الصحة في مدينتنا راح يغرقنا نحن مرؤوسيه بالاعمال القرطاسية من جداول وقوائم ومذكرات واسئلة واجوبه في ما يهم ولا يهم ... بالأعمال البيروقراطية كما أصبحوا يقولون اليوم . اشعال المدفأة ، مثلا ، في الشتاء مثل فتح نوافذ المكاتب أو ادارة المراوح في الصيف ، لا يمكن أن تتم بدون طلب ورد على الطلب وحاشية على الرد وهامش على الحاشية ، في كتب متتابعة ومتوالية ، مما كان يرهقنا ويعرضنا عند اول تهاون أو خطأ الى العقوبات أو خصومات من الرواتب ، وكنت شخصياً أكثر مرؤوسيه تعرضاً لفورات غضبه ولعقوباته نظراً لمزاجي الخاص في مباشرة العمل وكثرة غيابي من الدائرة . حتى اضطرتني تصرفاته حيالي الى أن أشكوه في ذات يوم الى معاون الوزير الذي قابل شكواي بابتسامة عريضة قائلا لي : ما اعرفه هو ان الرؤساء هم الذين يشكون منك في العادة يا أبا البهاء ، فالحمد لله أن وجد من تشكو منه أنت !

فصول أبي البهاء مع الرؤساء

وأضاف معاون الوزير يقول : أين شطارتك التي يتحدث عنها الناس إذن ؟

قال الاستاذ اسماعيل معترضاً : هذا اغراء ... أم لعله تحد .

فقال ابو البهاء : ربما ... فالتحدي يشحذ الهمة . الصحيح اني لم اكن انتظر كلمة معاون الوزير لاطمع الدكتور من ثمار بيروقراطيته وانما كنت انتظر مجيء الفرصة . جاءت هذه حين استدعاني الدكتور سليم في ذات يوم ، وفي نيته أن يكلفني بما يضايقني ويتعبني ، وامرني بأن اجرد مخازن مديريتنا فاعزل منها كل ما هو بال أو مستهلك أو عديم الفائدة ، فانظم جداول أرفعها اليه ليجري الاستغناء عنه باتلافه أو القائه في القمامة تأمل أي عمل هذا في مخازن مديرية كبيرة ، مهملة منذ عدد من السنين لا يعلمه إلا الله ، ولرجل مثلي ! ولكن أخانا هذا ، ياأستاذ اسماعيل ، يعرف قدرتي على انجاز ما يتوجب علي انجازه ...

قال أبو البهاء جملته الأخيرة مشيراً الى ومستشهداً بي ، فقلت :

ـ أعرف هذا جيداً . عند ابي البهاء الهزل هزل ، ولكن الجد لا يفوقه جد .

فتابع هو قائلا : شكراً على الشهادة . الواقع أن ذلك الجرد اتعبني وشغلني أياما عديدة . ولكني في النهاية اتيت للدكتور سليم بجداول مؤلفة من عشرين صحيفة ، أو لعلها أكثر ، من القطع الكبيرة صنفت فيها موجودات مخازن مديريتنا بحسب قيمتها وفائدتها وحاجتنا أو درجة استغنائنا عنها . وحين رأى الدكتور سليم هذا القدر من الأسماء والأصناف دهش لكثرتها فسألني : هل كل هذا موجود في مخازننا ؟

قلت : نعم يا سيدي ، أرجو أن تقرأ هذه الجداول بامعان وتوافق على محتواها . كان الوقت حين دخلت عليه آخر الدوام ، وهو يتهيأ لمغادرة المكتب . وكنت أعرف أنه مدعو في تلك الظهيرة الى وليمة فاخرة يحرص على الوصول اليها قبل غيره . قال لي : أنا على عجلة وقراءة هذه الاسماء والأرقام تحتاج الى وقت طويل ، وأنا أثق بحسن اعدادك لها ، وان كنت احملك كل مسؤولية اذا تبين لي أن تصنيفك لا ينطبق على الواقع . فشكرته على ثقته الغالية بي وقلت له : لا أقل ياسيدي أن تضع توقيعك الكريم على هذه الاوراق ... وارجو أن تتفضل وتوقع في أسفل كل صفحة واعلاها لئلا يحاول أحدهم أن يدس شيئاً فوق الجداول أو تحتها ...

قلت أنا ، بسخرية : حرص منك عظيم على محتوى تلك الجداول !

قال : ولم لا ؟ انى أحب اذا عملت عملا أن اتقنه . المهم أن الدكتور سليم وضع امضاءه بطواعية ، وبسرعة ، على تلك الصفحات العشرين ، في اعلى كل منها وفي أسفلها ... وبهذا سقط في الفخ المنصوب له في الصفحة الثانية عشرة ، بين طاولة عمليات مكسور لولبها الرافع ومجموعة من انابيب الحقن المهترئة .

توقف أبو البهاء هنا عن الكلام فادركت انه وصل الى الفقرة المهمة من حكايته وانه تعمد السكوت ليدفعنا الى الاستفسار منه ، فقلت :

ـ أي فخ تعني ؟ أنا لم افهم شيئاً ، ولا أظن أخانا اسماعيل أكثر مني فهماً .

قال : الأمر بسيط . عنوان الصفحة الثانية عشرة من تلك الجداول كان :

الموجودات التالفة شديدة الضرر . وفي الثلث السفلي من تلك الصفحة ، بين السطر المخصص لطاولة العمليات المحطمة اللولب وذلك المخصص لانابيب الحقن التي لا نفع منها كان سطر مسجل فيه اسم الدكتور سليم سلمان سلامة ، رئيس صحتنا الموقر ...

قلت أنا مستنكراً : لا ياشيخ !

قال : صدقني . فقد كنت كتبت في تلك الصفحة اسمه في سطر مستقل بين الموجودات البالية . وبحذاء ذلك الاسم ، تحت عمود « النوعية » كتبت : رئيس صحة حالي . وفي عمود « الحالة الحاضرة » كتبت : تالف ومؤذ . وفي عمود « الاستعمال » كتبت : يستبعد فوراً ولا يدخل دوائر الصحة بأية حال ! وبهذا صدق الدكتور سليم بتوقيعه على أنه مهترىء وتالف ومؤذ وحكم على نفسه بأنه ممنوع من دخول مديرية الصحة العامة التي فيها مكتبه ...

عند هذه النقطة من الحكاية اتسعت ابتسامة الاستاذ اسماعيل ، ولم يكن قد تخلى عن طابعه الجاد منذ بداية احاديثنا ، وقال متسائلا :

ـ وبعد هذا ؟

أجاب أبو البهاء : بعد هذا حملت بنفسي القوائم وذهبت الى العاصمة على نفقتي الخاصة فاطلعت عليها معاون الوزير الذي حملها الى الوزير بنفسه . كان كلاهما يستثقل ظل الدكتور سليم سلمان سلامة ، إلا انهما ما كانا يجدان في تصرفاته أو في وقائع شكوى الموظفين منه ما يبرر تنحيته من وظيفته واعادته الى سلك اطباء المستشفى . فلما جاءهما المبرر أصدرا الأمر بتنفيذ ما حكم هو ، بتوقيعه ، على نفسه بنفسه .

وعاد الاستاذ اسماعيل الى استيضاحه قائلا : وكيف تم هذا ؟

قال أبو البهاء : في ذات صباح ، وبعد أيام قليلة من ذهابي الى العاصمة وعودتي منها جاء الدكتور سليم الى مكتبه ليجد بابه مغلقاً وعليه صورة بالفوتوكوبي للصفحة الثانية عشرة من جداول الجرد ، صفحة الموجودات التالفة ، وخطأ أحمر تحت سطر يحمل اسمه ونوعيته وحالته الحاضرة والاستعمال الذي آل اليه ... اعني المنع من دخوله مديرية الصحة العامة كرئيس لها . ما رأيكما بهذا ؟

هذا السؤال الأخير القاه أبو البهاء علينا ، أنا وصاحبي اسماعيل ، جواباً على سؤالنا اياه عن رأيه بالفصل الذي دبره اسماعيل للقاضي توفيق بك لم أجب أبا البهاء بغير الضحك . كان ضحكي في الواقع اقراراً بأن فصله مع الدكتور سليم لم يكن عبثياً أو خلواً من المغزى . انه عملية انتصاف معقول من رئيس ، جريمته ليست البخل الذي ينحصر اذاه بالبخيل نفسه ، بل هي الصلف والعنجهية وانزال الاذى بالمرؤوسين عن غير حق ولا موجب .

د . عبد السلام العجيلي

مسافر على الرصيف



شاعر لكل العصور

بقلم : محمود السعدني

كان شاعراً عظيماً هو بالقطع أهم شعراء مصر بعد أحمد شوقى ، وهو بالتأكيد الذى مهد الطريق لظهور الجيل الجديدة من الشعراء .. لقد كان الجسر الذى عبر بالشعر من مرحلة الألفاظ إلى مرحلة الأحاسيس ، ولكنه ، رغم موته ، واختفاء الخلافات وانزاعات معه وحوله ، لم يحصل على حقه بعد ، ولم يحتل مكانته التى يستحقها عن جدارة .. لقد ضيعناه حياً وأهملنا ميتاً .. وهى جريمة أدبية كبرى ..

خاصمت شاعر « قهوة عبد الله » قبل أن أراه .. السبب أننى كنت صديق زكريا الحجاوى وكان رأى الحجاوى فى الشاعر ليس على ما يرام . ولم يكن رأى زكريا فى شعر الشاعر ولكن فى الرجل نفسه كانسان .

كان يصفه بالشرير وكان يلقبه أحياناً بالعفريت وسمعت نفس الرأى من آخرين غير زكريا ، فاعلنت الحرب على الرجل قبل أن أراه ! وحدث ذات يوم أن نشر الأستاذ عزيز أحمد فهمى وهو واحد من أعظم الكتاب الساخرين الذين ظهروا فى هذا القرن العشرين . ولكنه ضاع فى أزقة التاريخ بسبب ظروف سياسية صغيرة وظروف شخصية قاسية ليس هنا مجال ذكرها على أية حال . أقول نشر عزيز سلسلة مقالات فى جريدة المصرى بعنوان .. « يوميات الرجل الذئب » وكانت صوراً قلمية شديدة القسوة عن رجل يرتدى ثياب آدمية ويحمل بين جوانحه نفسية ذئب مفترس هوايته الوحيدة افتراس بنى الانسان . وعندما سألت عزيز فهمى عمن يقصده بهذه المقالات المثيرة قال إنه يقصد شاعر « قهوة عبد الله » . وراح يقص على مسامعى عشرات القصص عن الشاعر وعن المآسى التى تسبب فيها لعزيز ولغيره من الكتاب ، ولذلك تعاملت مع الرجل بحذر عندما جمعتنا الظروف معاً فى قهوة عبد الله ، وتطاولت أحياناً محاولا استفزازه ولكنه واجه محاولاتى بهدوء وببرود أحياناً ! وعندما قرأت له أول ديوان شعرى .. لم أنم ليلتها على الاطلاق . قرأت شعراً حقيقياً منحوتاً من نفس صاحبه ومكتوباً بمداد من دم الشاعر . لم يكن من نوع الشعر إياه الذى تقرأه فتنساه ! كان أشبه شىء بشعر المتنبى لا يمكن أن يصدر

شاعر لكل العصور

الا عن رجل له احاسيس ومشاعر خاصة ودنيا له وحده ومختلفة عن دنيا الناس . كانت تعابيره غريبة ورؤيته فريدة وعبارته الشعرية وحيدة غير مسبوقة ولا مطروقة . واحترت فى امر الرجل وارتبكت علاقتى به فانا احبه كشاعر واكرهه كانسان . وإن كانت علاقتى به كانسان لا تدعو إلى هذه الكراهية على الاطلاق .

ولكن ذات مساء قدر لى أن اشهد حادثة كانت هى السبب فى اقترابى من الرجل وتوثيق علاقتى به فاصبحت اكثر تفهما له واكثر حبا واشفاقا عليه .

كنا جلوسا على المقهى وقت الغروب ، حين اقترب منا رجل يرتدى جلبابا وطاقية ، وله شارب كثيف اخفى نصف وجهه . سلم على الشاعر وجلس على حرف المقعد وسلمه لفافة صغيرة مغلفة بورق سوليفان ودس الشاعر يده فى جيبه واخرج جنيهين أعطاهما للرجل الذى تناولهما فى هدوء ثم انصرف . وفتح الشاعر اللفافة وتناول جزءا مما فيها دسه فى فمه ، ثم راح يلوكه على مهل وقد سرح فى الفضاء .

ولعل هذا الاتجاه الخاطىء فى حياة الشاعر كان السبب فى كل ما تعرض له من مشاكل ادبية وانسانية .

وقد علمت ان الشاعر مدمن على هذا الصنف وانه وسيلته للانفصال عما حوله من مشاكل ومتاعب وزحام . كان يجلس بالساعات على المقهى لا يتكلم ، مكتفيا بالتحديق فى لا شىء مستغرقا فى التامل . وكان فى بعض الاحيان يصدر اصواتا خافتة ، واتصور انه يخاطبنى ثم اكتشف انه يخاطب نفسه ! وكان يطلق على زكريا الحجاوى لقب « جواب الآفاق » وعلى انور المعداوى وصف «العمدة» وعلى عبد الحميد قطامش وصف «المختال» ! وكان رزقه محدودا ولكنه كان فى الوقت نفسه قليل السعى لزيادة هذا الرزق على عكس الآخرين . ولذلك كان وقته محصورا بين بيته وقهوة عبد الله ومكتبه فى الوزارة . ونادرا ما شوهد فى مكان عام او حفل رسمى او بعيدا عن هذه الاماكن الثلاثة ! حتى عندما قامت ثورة ١٩٥٢ لم يبالغ فى تاييدها ، صحيح انه اعلن تاييده لها ولكن على مهل وبصوت خافت . فقد كان عازفا عن الشهرة واحتلال مكان فى الصدارة . كان همه كله ان يعيش فى هدوء ، مكتفيا بالبحلقة فى الفراغ ، والتامل فى الفضاء والتحدث الى نفسه بين الحين والآخر !

وعندما توطدت الصداقة بينى وبينه سالته عن سر كراهية ابناء جيله له فاجاب ببساطة وشبح ابتسامة تلوح على شفتيه ، لاننى جحش ! ولما سالته تفسيرا اوسع ، قال كان لى راى فى انتـــــاج كل منهم وصارحتهم برايى ، ولو اننى كتمته لصرت فرخة بكشك عند الجميع ! كان مثلا يرى ان عزيز احمد فهمى هو اوسكار وايلد العرب .

ولكنه بدلا من اهتمامه بفنه ، اهتم بخدمة بعض الجهات فاستاجروه للسخرية من الزعيم الوطنى مصطفى النحاس ، وكتب ضده ما لو كتب فى موضعه لحقق له الخلود . وكانت النتيجة ضياعه بسبب مؤامرة حبكت ضده ، وساعد هو نفسه على تحقيقها . وكان رايي فى زكريا الحجاوى انه واحد من اعمدة القصة المصرية القصيرة . وانه كتب القصة القصيرة قبل يوسف ادريس ، وانه هو ومحمود البدوى ويحيى حقى وطاهر لاشين الآباء الروحيين لهذا الفن العظيم . ولكن زكريا لقلة صبره وشدة ضعفه لنزواته ترك فنه الحقيقى واشتغل بالصحافة مع انها ابعد ما تكون عن طبيعة زكريا وموهبته . ثم ترك الصحافة واهتم بالفن الشعبى . ولو بذل نصف هذا الاهتمام بفنـه الحقيقى لصار له شان آخر !

ولكن هذا السبب لم يكن وحده هو سر كراهية ابناء جيله له . لقد ذكر لى الشاعر نصف الحقيقة واهمل النصف الآخر . فلم يكن الشاعر يصارح اصدقاءه برايه . ولكنه كان يقول هذا الراى نفسه لو ساله أحد آخر . مثلا سال صاحب جريدة الشاعر عن رأيه فى عزيز احمد فهمى وكان عزيز قد تقدم طالبا عملا فى الجريدة ، فقال الشاعر رأيه الصريح لصاحب الجريدة فامتنع الرجل عن تشغيل عزيز ! وسئل الشاعر مرة عن زكريا الحجاوى وكان مرشحا لعضوية لجنة من اللجان فاجاب بان زكريا لا علاقة له بعمل هذه اللجنة وانه مجرد كاتب قصة كبير ! فاستبعدوا زكريا من عضوية اللجنة وعندما صارحته بما اعلم قال ، طيب ودى فيها إيه ؟ لقـــــد قلـت رايى الحقيقى وصارحتهم بما اعتقده . وكان ذلك لمصلحة العمال ولمصلحة أصحابى ايضا ! !

لم يكن « الشاعر » من ابناء هذه الدنيا ولم يكن مسلحا بأسلحتها اللازمة لكى يشق الانسان طريقه فى الحياة . كان شاعرا عظيما وكان يعتقد أن شعره وحده هو الكفيل بوضعه فى المنزلة التى يرجوها . لكن الحياة ليست شعرا فقط . قد يكون الشعر هو مسوغات تعيين الشاعر فى مكانه الطبيعى بعد الموت . ولكن اثناء حياته ، الشاعر والاديب والكاتب والفنان يحتاج الى اسلحة اخرى غير فنه لكى يحرز مكانا لائقا فى الحياة . ولذلك نجد الشاعر بالرغم من عبقريته الفنية فانه لم يستطع أن يحقق حلمه الابدى بان يكون له بيت مستقل الا بعد جهد شديد ، كان هو السبب المباشر فى هلاكه قبل الاوان . لقد بدأ فى بناء البيت ولم يستطع اتمامه . وراح يجرى على دوائر الحكومة يطلب كميات من الحديد والاسمنت والطوب تعطى لمن هم أقل منه شانا واقل ذكرا ولكنه لم يستطع الحصول على ما يريد . لم تكن شهرته قد وصلت الى طبقة الســـــادة المستوظفين ، ولذلك كانوا ينظرون إليه ببلاهة ، ويندهشون لمسلك هذا الافندى الغائب عن الوعى المتامل فى لا شىء ، الذى يطلب حديدا للتسليح واســـمنت للبناء ! وشكا لى ذات مرة من انه ذهب الى رئيس مجلس مدينة الجيزة حسين الالفى فعامله معاملة سيئة ولطعه على الباب فترة طويلة ثم رفض طلبه معتذرا بان كل مواد البناء مسخرة لخدمة المعركة ! وقلت للشـــاعر الكبير الطيب الساذج البعيد عن دنيانا وهل حدثته عن ديوانه الاخير ؟ قال ديوان من ؟ قلت ديوان رئيس مجلس

المدينة ؟ قال وهل هو شاعر ؟ قلت ياسبحان الله . انه شاعر فحل لم تنجب الجيزة مثله وديوانه الاخير « الشمس طالعة » أحدث دوياً فى كل مكان خصوصاً فى ديوان المحافظة !! ولقد ساءه ان شاعراً كبيراً مثلك يذهب اليه يطلب حديداً ولا يشير من قريب او بعيد لديوانه الجديد ! قال الشاعر الكبير وماذا فى الديوان . قلت قصائد كلها عن المعركة ولا صوت يعلو فوق صوتها ولا رأى بعد رأيها ، ثم هو فى النهاية أشبه بديوان الحماسة لابى تمام !! قال هل عندك نسخة ؟ قلت اعتقد ان لدى نسخة من الديوان وسافتش عنها لك . ولكن يكفى أن تذهب اليه غداً وتقابله وتحدثه عن ديوانه وتعده بانك ستنقده نقداً مفصلا عما قريب وستاخذ منه كل ما تطلبه من حصة الاسمنت والحديد ! ولم يكن حسين الالفى شاعراً ولم يكن له ديوان . واشهد بانه كان اكفأ من تولى هذا المنصب ، وانه افاد الجيزة واهلها وانه كان نموذجاً لرئيس المدينة الحريص على مصلحة المدينة ومصالح الجماهير . واتصلت بحسين الالفى وحكيت له « المقلب » الذى دبرته للشاعر . وابدى حسين الالفى اسفه لانه لم يتعرف على الشاعر الكبير ولم يقدم له ما يرجوه !

وعندما ذهب الشاعر فى اليوم التالى استقبله حسين الالفى مرحباً ، واعطاه حصته المطلوبة ، بينما كان الشاعر منهمكاً فى الحديث عن ديوان « الشمس طالعة » الذى وضعه الشاعر الكبير حسين الالفى !!

وعندما أدرك بعد فترة انه كان مجرد مقلب من مقالب العبد لله راح يضحك بصوت عال ، ويقول ما اظرفه من مقلب لانه كان السبب فى حل المشكلات !

ولم تهدأ نفس الشاعر الا عندما خرج على المعاش وسافر الى احدى البلاد الخليجية وعمل هناك . لعله ذاق طعم الاستقرار لاول مرة فى حياته . لعله ذاق طعم ان يكون لديه فائض من المال . وراح يؤلف قصائد ويلقيها على جمهور من عشاق الشعر فى امسيات متباعدة . ولعله ايضا فى هذه الامسيات ذاق حرارة اللقاء بين الشاعر وعشاق الشعر . لعله ادرك لاول مرة فى حياته فائدة الاندماج بين الشاعر وجمهور الناس . لقد عاش فى مصر اغلب حياته فى شرنقة نسجها حول نفسه . كان يخاف الزحام ويخشى الجموع ويتحاشى الاجتماعات . ولكنه فى غربته خرج من شرنقته وسبح فى تيار البشر . وعندما اجتمعنا ذات مساء وسالته ان يكتب لى مذكراته لانشرها فى جريدة السياسة على حلقات . سرح فترة ثم قال فكرة لا باس بها لو تمكنت من كتابتها لانها تحتاج الى طقوس خاصة لا اظننى قادراً عليها الآن . وطمانته بان كتابتها يسيرة وما عليه إلا ان يبدأ ليفيض بعد ذلك نهر الذكريات . فهز رأسه ولاك شيئاً فى فمه وقال سنحاول على كل حال . فى تلك الليلة تذكرنا زكريا الحجاوى وعبد الحميد قطامش وانور المعداوى وشلة قهوة عبد الله الذين انتقلوا الى رحمة الله . وهز الشاعر رأسه وقال رحمهم الله ، سبقونا الى دار الاستقرار وتركونا فى دار القلق . قلت ، وهل لا تزال تشعر بالقلق . وابتسم ابتسامته الشهيرة : وقال .. القلق لم يعد شعوراً عندى ، ولكنه صار عضواً من اعضائى ، إذا اردت التخلص منه فلابدمن بتره ، واذا بترته فلابد ان اتخلص « اولا من الحياة » !!

وكانت هذه الليلة هى اخر عهدى بالشاعر ، فلم تمض أيام حتى سقط ميتاً بالسكتة القلبية فى الكويت .

ورحل عن دنيانا شاعر عظيم هو بالقطع اهم شعراء مصر بعد احمد شوقى . وهو بالتاكيد الذى مهد الطريق لظهور صلاح عبد الصبور وحجازى وامل دنقل .

لقد كان هو الجسر الذى عبر بالشعر من مرحلة الالفاظ الى مرحلة الاحاسيس .

ولكنه وبالرغم من موته ، واختفاء الخلافات والصراعات ، لم يحصل على حقه بعد ، ولم يحتل مكانته التى يستحقها عن جدارة واستحقاق !

لقد ضيعناه حياً واهملناه ميتاً ! وهى جريمة أدبية كبرى ، لانه برغم الاتجاهات والمعتقدات كان اهم شاعر فى عصرنا ، وكان أعظم من غنى فى سمع الوجود ، وستظل اغانيه تتردد لتشنف آذان الاجيال إلى آخر الزمان !

رحم الله الشاعر الذى اعتزل زمانه ليحلق فى فضاء كل العصور .

محمود السعدنى





زجاج السليكا :
اكتشف لاول مرة سنة ١٩٣٢ ولا يزال العلماء فى حيرة من أمره هل هو حجر ساقط من الفضاء أم انه حجر أرضى غريب لا يوجد إلا عند الحدود الغربية لمصر وليس له مثيل حتى اليوم فى العالم .

لماذا لا يستعيد العرب أقدم خريطة عرفتها الإنسانية؟

بقلم: درويش مصطفى الفار

من عجائب المصادفات وسخرياتها ، انه بينما كنت أعد مقالا للمطالبة بالعمل على كل مستوى شعبى وحكومى عربى ، لاستعادة أقدم خريطة جيولوجية عرفتها الحضارة الانسانية فى تاريخها الطويل ،

الى موطنها الأصلى ، مصر ، لكي تعرض فى المتحف الجيولوجى المصرى (الذى كان) قائماً شامخاً بشارع الشيخ ريحان بالقاهرة منذ سنة ١٩٠٤ ، كاول متحف علمى متكامل ، فى الوطن العربى على سعته ، وجدتنى ، وأسفاه ، أقف تائها مذهولا شارد الفكر متعجباً ، تكاد دموعى أن تتفجر من عينى ، بين انقاض ذلك المتحف العتيد أردد : ـ

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

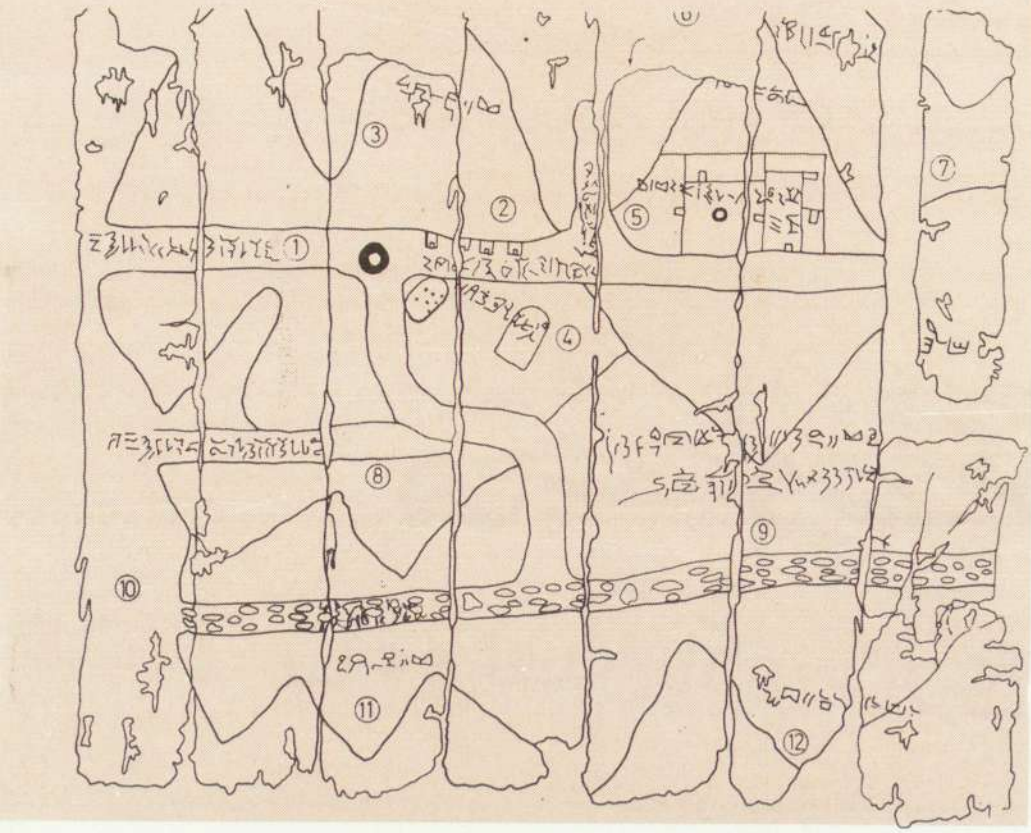
والذى زاد حزنى ، أن الذى اقتلع هذا الصرح ، لم يك زلزالا أو هزة أرضية قدرية، ولم يك صاروخاً أو قنبلة أو لغماً ، وجهته طائرة اسرائيلية معتدية فنسفته ودمرته ، ولكنه كان فعل فاعل عاقل رشيد مسئول يعي ما يرتكب فى حق وطنه وحضارة بلده ..

وتلفت حولى ، فاذا كل الابنية التى أعرفها منذ سنين ، والتى كانت تحيط بالمتحف الجيولوجى بالقاهرة ، لاتزال قائمة ، ولم يمسسها السوء ، وكان ذاك الذى خطط لحفر أنفاق القاهرة ، كان يقصد عامداً متعمداً مع سبق الاصرار والترصد ، أن يهدم ذلك المنار العلمى العتيد ، الذى أسدى للمعرفة الجيولوجية فى مصر والوطن العربى ما لا يحصره العد ، وتخرج من تحت سقفه العمالقة الذين اكتشفوا الفوسفات والمنجنيز والكاولين والفحم فى الأرض المصرية ، ونال خمسة من الجيولوجيين الذين تربوا بين جدرانه ، جوائز الدولة فى العلوم الجيولوجية ، تقديراً لمنجزاتهم الكبيرة فى مضمار الجيولوجيا المصرية ...

أما عن الخريطة الجيولوجية الأثرية التى كنت أحلم بعودتها من متحف تورينو بايطاليا ، والتى اشتهرت فى الأوساط العلمية العالمية باسم «بردية تورين» فهى لفافة ملونة من ورق البردى يبلغ طولها ٥٣٣ سم وعرضها ٤٥٧ سم ، وقد انتهى إجماع العلماء والباحثين الى أنها تمثل منجم الفواخير الذى كان الذهب يستخرج منه أيام الملك سيتى الأول فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، ويقع فى منتصف الطريق بين قنا غرباً والقصير شرقاً ، وكان قد عثر عليها الباحث الايطالى دروفيتى سنة ١٨٤٥ بين أطلال مدينة الأقصر (طيبة) ووجدها مرقومة بسمة الملك سيتى الأول ، أى حوالى سنة ١٣١٣ ق.م .

والمتحف الجيولوجى المصرى الذى دمرته فكرة انفاق القاهرة الجديدة بدأ انشاؤه سنة ١٨٩٦ م ، أى إبان انشاء المساحة الجيولوجية المصرية واستغرق البناء وتجميع العينات والمعروضات من كافة أرجاء الصحارى المصرية وغيرها من أنحاء العالم ، زهاء ثماني سنوات ، حتى افتتح للجمهور سنة ١٩٠٤ م ، وأصبح جامعة مفتوحة يعرفها كل هواة ودارسى الجيولوجيا فى مصر والوطن العربى ، ويغترفون من منهلها الغزير .

فهنالك فى الأبهاء الستة التى كان يتكون منها المتحف الجيولوجى المصرى بطابقيه كانت أنواع الصخور وضروب الحجارة ، ومنها ذو الشهرة التاريخية كالسماق الامبراطورى والبريشيا الخضراء ودايورايت خفرع والمرمر الفرعونى العتيد وأنواع الخامات والمعادن والبللورات ، وأصناف المستحجرات من الحيوان

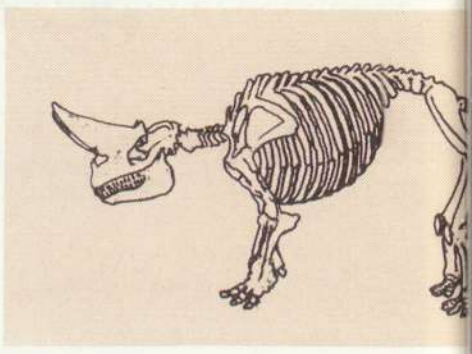


اقدم خريطة جيولوجية عرفها العالم فى تاريخ حضارته .

١ ـ الطريق المؤدى الى البحر . ٢ ـ مساكن العمال . ٣ ـ جبل الذهب . ٤ ـ سنى الاول له العمر والصحة والثروة . ٥ ـ الجبل النقي . ٦ ـ الطريق الى ثار منتي . ٧ ـ جبال الذهب والفضة . ٨ ـ طريق آخر يؤدى الى البحر . ٩ ـ الجبال التى تغسل فيها الذهب . ١٠ ـ الطريق الى تنت . بي . مير . ١١ ـ جبل الذهب . ١٢ ـ جبال الذهب والفضة .



الأرسينوثيريوم كما تخيله العلماء



يثيريوم . عاش فى منطقة الفيوم منذ عشرات الملايين من الأعوام . يكل العظمى المستحجر الوحيد فى العالم من مقتنيات المتحف جى المصرى الذى هدم سنة ١٩٨٣ .

والنبات البائد المندثر منذ عشرات ومئات الملايين من السنين ، وضروب النيازك والرجوم المتساقطة من أجواز الفضاء ، وأنواع الأحجار الكريمة وشذرات الذهب ، كل ذلك مرتب عبر عشرات السنين فى نظام وتنسيق دقيق يعين الهواة والدارسين على التفهم العلمى الواعى لكيان الأرض وأساليب قراءة تاريخها وتفسير ظواهرها ، واجتلاء مكامن النفع فيها للاقتصاد والصناعة والزراعة الى جانب المعرفة الأكاديمية البحتة ...

كل ذلك اختفى فى لحظة ، مما يجعل كل عاقل يأسف له ويحزن ، حتى ينشأ فى القاهرة ، مرة أخرى ، متحف جيولوجى ممتاز يكافىء هذا الحزن وذلك الأسى .

ومن بين المقتنيات العلمية التى كان المتحف الجيولوجى المصرى يباهى بها ، ويعتبر اختفاؤها خسارة للوسط العلمى العالمى كله ، مجموعة العظام المستحجرة التى اكتشفت عبر سنين طوال فى طبقات عصر الأيوسين وعصر المايوسين بمنطقة الفيوم ، مما أهتزت له الدوائر العلمية ، ولازالت ، مثل أجناس الموريثيريوم والفيوميا والأرسينوثيريوم ، ذلك الحيوان العجيب الذى كان طوله يقارب أحد عشر قدماً ، وكان له فى مقدمة رأسه قرنان حار العلماء والباحثون فى أمرهما ، حتى قيل انهما كانا بمثابة (عوامة) تساعد الحيوان فى المحافظة على بقاء فتحتى انفه فوق سطح الماء ليتمكن من التنفس أثناء انغماره فى الماء أيام كان يعيش هنالك فى دلتا نهر تنتهى عند الفيوم منذ ما يزيد على ثلاثين مليون سنة !

ومن الجدير بالتسجيل للحقيقة والتاريخ ، فى هذا المقام ، أن (الاستعمار) البريطانى ، كان قد نقل بعض عظام الارسينوثيريوم هذا للدراسة فى المتحف البريطانى بلندن ، وقامت الحرب العالمية الثانية ، فأسرع (المستعمرون) الى تامين تلك العظام بتخزينها بعيداً عن شرور الغارات الجوية ، فحفظوها فى أحد الانفاق ، حتى انقشعت سحب الحرب ، فأعادوها الى مصر بعد أربعين عاماً ، لتحفظ وتعرض فى المتحف الجيولوجى الذى هدمناه نحن بأيدينا طواعية واختياراً ..

والذين زاروا تشيكوسلوفاكيا يعرفون متحفاً فى أحد ميادين العاصمة براغ ، نجا من الهدم المؤكد على الرغم من مشروع للانفاق كذلك الذى تسبب تخطيطه فى هدم المتحف الجيولوجى بالقاهرة .. لقد نفذوا مشروعهم للانفاق السفلى ولكنهم لم يهدموا متحفهم أبداً ..

لقد عرفت مصر خلال التاريخ الانسانى بمميزات شتى ومن بين تلك المميزات ، انها كانت أول دولة تنشىء متحفاً علمياً فنياً ، فهى التى علمت الناس فكرة المتاحف ، وكان ذلك فى القرن الرابع قبل ميلاد المسيح عليه السلام ، حيث انشىء أول متحف فى تاريخ العالم بمدينة الاسكندرية المصرية .. ويحز فى نفسى ان التاريخ سوف يكتب كذلك ، والتاريخ لا يرحم ولا يجامل ، أن مصر ايضا كانت أول دولة فى تاريخ العالم المتحضر (تهدم) متحفاً علمياً هى أشد ما تكون اليوم حاجة إليه .

إن هدم المتحف الجيولوجى بالقاهرة زلة كبرى فى حق الحضارة ، كان ينبغى لهيئة اليونسكو أن تتصدى لها ، وسوف يظل هذا العمل غير الحضارى ذنباً غير مغتفر حتى يبنى فى القاهرة ، وفى أنسب الأمكنة ، متحف جيولوجى شامخ كبير ، فى أسرع وقت . ودون أى إبطاء أو تسويف ..

اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون .

درويش مصطفى الفار

شمن أجدادنا يرتفع في الغرب وينخفض عندنا

مخطوط عربي

يباع في لندن بأكثر من ربع مليون دولار

بقلم : وجيه الشربجي

● احياء التراث المخطوط .. تأصيل للفكر القومي وتصد للغزو الثقافي .
● على المثقف العربى أن يتصاعد علمياً وحضارياً ضمن مسار قومى ينتمى الى التربة التى جبل منها .

عندما نحرر تراثنا الفكرى المخطوط من الطمس القسرى الذى فرضته عليه عهود الاحتلال والقهر . ونعمل على رصده واحيائه مبسطاً ومدروساً بنزاهة وحياد ، فانما نضع امام الأجيال العربية الطالعة الى النور ، حقيقة انحسار حالة الاستكانة والتكلس . وانتقالنا الى مرحلة المبادرة والابداع .

واذا كانت معاناتنا الفكرية الراهنة تتضمن اسئلة عديدة ، فتراثنا العربى والاسلامى بشموليته وابعاده ، يتضمن الاجابات الصحيحة على معظم هذه التساؤلات ، وسيجد الانسان العربى فى الصياغات العلمية المتعددة التى قدمها اسلافه حافزا له على الدخول الجريء فى البحث والتقصي . وبخاصة بعد ان توالت البراهين الحسية والوثائقية على ارتباط الحضارة الاسلامية فى كل انواع المعرفة من علم وادب وفن ورؤى حياتية ، وفلسفة واخلاق .

ولا نستهدف من المطالبة باخراج التراث المخطوط من ظلمات الخزائن الى عالم القراء الواسع ، شد عجلة التاريخ الى الوراء او اثارة مشاعر الاعتزاز بماضي الأمة العربية . بل نهدف دعوة الشباب العربى الى المزيد من الثقة بالنفس ومكافحة الاستلاب والتبعية . واستجماع القوى للانطلاق من جديد من موقع الموقف الى موقع العطاء الجاد .

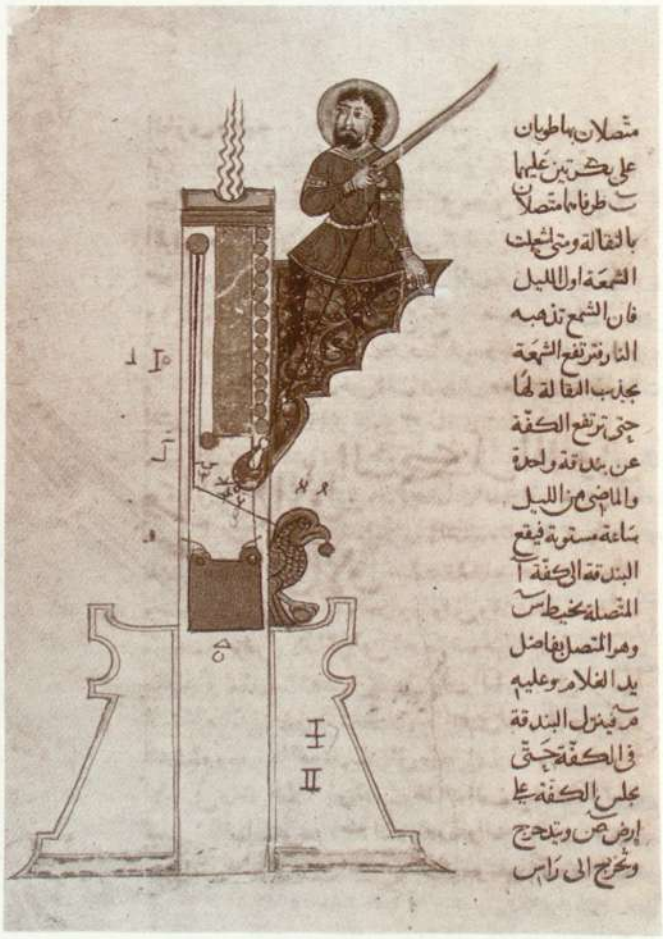
وما احوجنا فى هذه المرحلة من تاريخ الانسانية التى تعج بضجيج الثورة التكنولوجية مهددة باقتلاع الشعوب من جذورها ومحو سماتها ، ان نلوذ بالاعتصام بالاصالة والتمسك بالتراث . شريطة الكفاح المنظم لاستيعاب التقنية العالمية المتقدمة ، واستخدامها لاثبات وجودنا القومى ، فوثبتنا يجب ان تنطلق من ركائزنا الروحية والثقافية ، لأن محك اية نهضة هو قدرتها على رد التحدى .

وان شعبا عميق التاريخ كشعبنا العربى ، لجدير بطلائعه المشرقة ، ان يبقى التراث حياً فى وعيها . وتعمل بكل طاقاتها للاحاطة بكتب التراث واعادة نشرها تباعاً ، ويستدعى من مفكريه ايضا اقامة صلة وثيقة بين الماضى والحاضر ، وصياغة المعطيات المستقبلية على اساس ما قدمه الأولون وما يستنفع به القادمون . ومع اتساع نطاق الغزو الثقافى المركز الذى تتعرض له الأمة العربية اليوم . من قبل العدو الصهيونى الرجيم ، الهادف الى افساد الاهمية التاريخية للتراث العربى وتشويهه ، تبرز الحاجة الملحة الى تجذير التراث الفكرى ، تاكيداً لحضور الهوية الثقافية العربية على الساحة الانسانية ، والوقوف فى مواجهة اساتذة الاجرام والاختلاس ، الذين يتسابقون للسطو على رصيد العرب الحضارى ، ولصقه بتاريخهم المزيف .

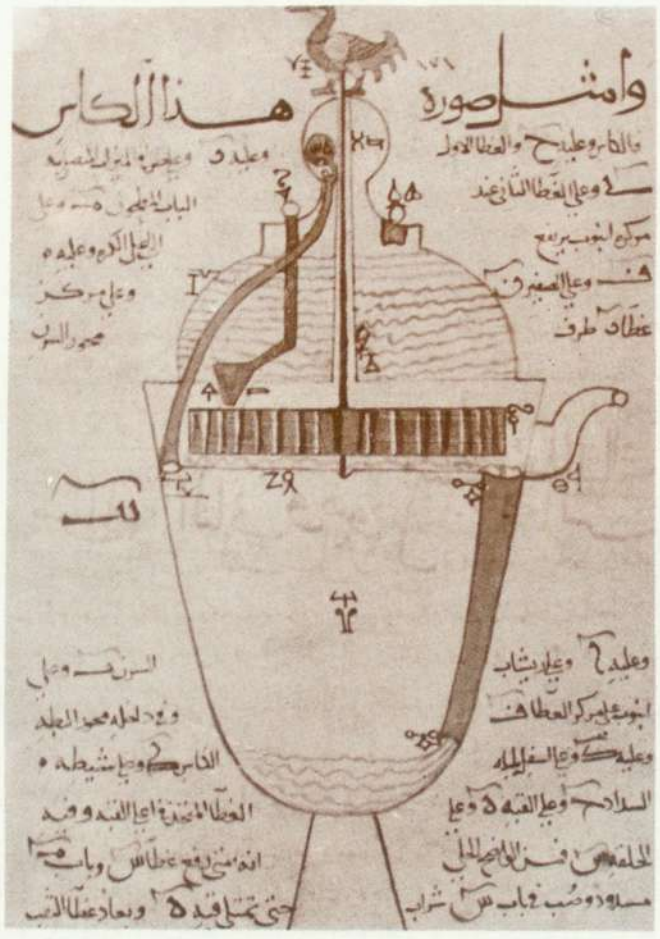
من هنا .. تتزايد مسؤولية المثقف العربى فى التصاعد علمياً وحضارياً ضمن صراط عقائدى ومسار قومى ينتمى الى التربة التى جبل منها .

• • •

وفى هذا الاطار . نلقى الضوء على



ساعة مستوية اخترعها الجزري
(لوحة من المخطوطة الموجودة فى واشنطن)



تصميم وضعه الجزرى لآلية دفع الماء للغاز
(اللوحة من المخطوطة المحفوظة باستانبول)

انفس مخطوط عربى يبحث فى الهندسة الميكانيكية . يحمل نقاطاً علمية متميزة .

وتنهمر منه دلالات وشواهد على ما قدمه العلماء والمهندسون العرب للحضارة البشرية خلال قرون المد الاسلامى .

الأهمية العلمية

(الجامع بين العلم والعمل) هـــذا الكتاب عمره ثمانمائة عام ، وهو ابرز كتب الهندسة الميكانيكية العربية على الاطلاق . يمثل قمة منجزات المهندس العربى الجزرى لاحتوائه على معارف هامة فى التكنولوجيا الاسلامية فى القرن السادس الهجرى .

يقدم المخطوط وصفاً دقيقاً لمجموعة من الآليات التى اخترعها الجزرى وطريقة صنعها . متضـــمناً ذخيرة كبيرة من الوسائل الهيدروليكية والمهـــارات الميكانيكية العالمية التى ظهرت آثارها فى اوربا عندما تم التوصل الى اكتشاف التصميم الميكانيكى للمحركات البخارية ومحركات الاحتراق الداخلى ومبادىء التحكم الآلى . وهذا التاثير لا يزال ظاهراً فى الهندسة الميكانيكية المعاصرة .

واذا عرفنا ان هذا المخطوط قد ترجم الى اللغات الالمانية والانكليزية والفارسية فى القرن الماضى واوائل القرن الحالى وتناوله المستشرقون بالدرس والبحث .

وان احدى نسخه الاصلية المؤرخة فى (٧١٥ هـ ١٣٥٤ م) قد بيعت فى المزاد العلنى بلندن باكثر من مئة وستين الف جنيـه اسـترلينى اى ما يعادل ثلاثمائة الف دولار اشترته شركة (سنبك) من مؤسسة (كيفوركيان) ادركنا قيمة هـذه الجوهرة العلمية النادرة ومكانتها المرموقة فى تاريخ العلوم العربية الاسلاميـــة . والاوساط العلمية الغربية .

والكتاب غني بالابحاث التطبيقيـــة المدعمة بالتجارب والخبرات العلميـــة ، والموضحة بالاشكال والرسوم الهندسـية ويعترف بذلك الدكتور دونالد هيـــل المستشرق الانكليزى والمهندس التكنولوجى بقوله (لم تكن بين ايدينا حتى العصـور الحديثة اية وثيقة من اية حضارة اخرى فى العالم ، فيها ما يضاهى ما فى كتاب الجزرى من غنى فى التصـــاميم وفى الشروحات الهندسية المتعلقة بطرق الصنع وتجميع الالآت) .

وصف المخطوط

اتم (الجزرى) صياغة هـذه السبيكة الهندسية الجامعة بين العلم والعمل فى الرابع من جمادى الآخرة عام (٦٠٢ هـ) عام ١٢٠٦ م) . وقد عثر حتى منتصف عام ١٩٧٩ على خمس عشرة نسخة اصيلة لهذا المخطوط منسوخة بخط اليد ومتفاوتة التاريخ وموزعة فى ارجاء العالم على الشكل الآتى :

ـ النسخة المحفوظة فى استانبـول : كتبها الناسخ محمد يوسف بن عثمان الحصكفي فى شعبان عام (٦٠٢ هـ) وقد

مخطوط عربي

يباع في لندن بأكثر من ربع مليون دولار

نقلها عن نسخة منقولة عن النسخة التى كتبها المؤلف الجزرى بخطه . عدد صفحاتها ٣٥٦ صفحة وهى تامة وخطها مشرق واشكالها ورسومها واضحة وجيدة . وهى اقدم النسخ التى عرفت حتى اليوم .

ـ النسخة المؤرخة فى ٧١٥ هـ (١٣٥٤ م) : هذه المخطوطة تبعثرت اوراقها ورسومها واختفت لفترة كبيرة . ثم ظهرت بلندن فجاة ، واشترتها كما ذكرنا سابقا شركة (سنبك) وتمكن الدكتور هيل من الحصول على صورة لها (فوتوكوبي) .

اسم ناسخها (فرح بن عبد اللطيف الكاتب الياقوتى المولوى) تاريخ نسخها نهاية رمضان ٧١٥ هـ وتعتبر الثانية فى القدم .

خطها ممتاز واضح رسومها ظاهرة . الا ان بعض اوراقها واشكالها ناقصة . خالية من الاخطاء الكبيرة .

ـ النسخة المؤرخة فى ٨٩١ هـ المحفوظة فى اكسفورد : ترجمت هذه المخطوطة الى اللغة الالمانية فى اوائل القرن العشرين تاريخ نسخها عام ٨٩١ هـ ١٤٨٦ م وهى اقل دقة ووضوحا من النسختين السابقتين . استخدم الناسخ الحروف الابجدية على الرسوم ، النسخة كاملة وخطها جيد .

اما النسخ الباقية فهى المخطوطة المؤرخة فى ٩٦٩ هـ محفوظة فى (ليدن) والمخطوطة المؤرخة فى ٩٨٠ هـ محفوظة فى المكتبة الوطنية بباريس .

ـ ومخطوطة ايا صوفية : تم نسخها عام ٧٥٥ هـ محفوظة فى المكتبة السليمانية فى استانبول . وقد نشرت حولها ابحاث علمية عديدة وتشرد قسم منها فى متاحف ومكتبات العالم . وفيها ٢٦ ورقة ناقصة .

ويوجد ايضا مخطوطة محفوظة فى لينينغراد خطها نسخي وتاريخها غير معلوم اضافة الى مخطوطة اخرى موجودة فى المكتبة الوطنية بباريس وهى باللغة الفارسية ترجمت عن اللغة العربية تاريخها عام ١٨٧٤ م .

من هو الجزرى ؟

بديع الزمان ابو العز بن اسماعيل بن الرزاز الجزرى . و (الجزرى) نسبة الى الجزيرة الواقعة بين دجلة والفرات ، فقد كان من ابنائها .

وفى الحقيقة .. لم نجد احدا من المؤرخين قد ترجم للجزرى . وكل ما عرف عن حياته هو ما امكن استنتاجه من مقدمة كتابه التى وضعها الجزرى بنفسه .

عاش المهندس العربى الجزرى فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى وحتى بداية القرن السابع الهجرى ، فى كنف ملوك ديار بكر الذين كانوا تحت حكم صلاح الدين الايوبى . وبطلب من الملك ناصر الدين محمود بن محمد الذى تولى الحكم عام ٥٩٧ هـ قام الجزرى بتاليف كتابه (الجامع بين العلم والعمل النافع فى صناعة الحيل) .

فالجزرى مهندس ميكانيكى مخترع . رفعته مهارته فى الهندسة الى ان اصبح (ريس الاعمال) رئيس المهندسين فى عصره . وقد بلغ هذا المنصب العلمى الرفيع . نظرا لاتقانه المهارات العلمية الى جانب براعته فى التاليف الهندسي والرسم الصناعى . فقد كان لا يثق باية نظرية هندسية لا تدعمها التجربة العملية . ويمكننا القول ان الجزرى هو اول من استخدم المعرفة والخبرة التكنولوجية لصالح الاغراض المفيدة للمجتمع .. مثل الساعات الزمنية والطواحين والمعاصر والآلات الميكانيكية المختلفة .وادوات رفع الماء .

اما تاريخ وفاة الجزرى فلم يعرف على وجه الدقة . ولكن الناسخ الحصكفي ، قد استمطر الرحمة على الجزرى فى المخطوطة المؤرخة فى شعبان عام ٦٠٢ هـ . ولما كان الجزرى قد انهى كتابه فى جمادى الاخرة من العام نفسه ، فهذا يدل على انه توفى فى الفترة الواقعة بين جمادى الاخرة وشعبان من عام ٦٠٢ هـ .

رأى الدارسين الغربيين

اجمع المستشرقون والدارسون الغربيون المختصون بشؤون الهندسة .. على الاشادة بالجزرى والاقرار بعلو منزلته فنجد (سارتون) يبايعه بامارة (الهندسة الاسلامية) فيقول : (هذا الكتاب اكثر الاعمال تفصيلا من نوعه . ويمكن اعتباره الذروة فى هذا المجال بين الانجازات الاسلامية) .

ويتفق معه الباحثون الالمان امثال (نيد هام وهوايت ودراخمان واثر) فى اعتبار كتاب الجزرى موسوعة هامة فى الميكانيك الاسلامى .

وممن كرس جهوده لدراسة نظريات الجزرى ، الفيزيائى الالمانى (ايلهارد فيديمان) وكان يتقن اللغة العربية ، فقام بنشر الكثير من الابحاث فى المجالات العلمية الالمانية عن براعة الجزرى وابداعه ودقة تصاميمه .

اما المستشرق (فرتزها وسر) فطبع جميع اقسام كتاب الجزرى ورسوماته وعممه على الجامعات الالمانية . وفى الواقع لقد عني الاوربيون بهذا الكتاب قبل العرب . فقد ترجمه الى الانكليزية الدكتور دونالد هيل وكتب موضوعا جامعا عن الجزرى وتاريخ التكنولوجيا الاسلامية .

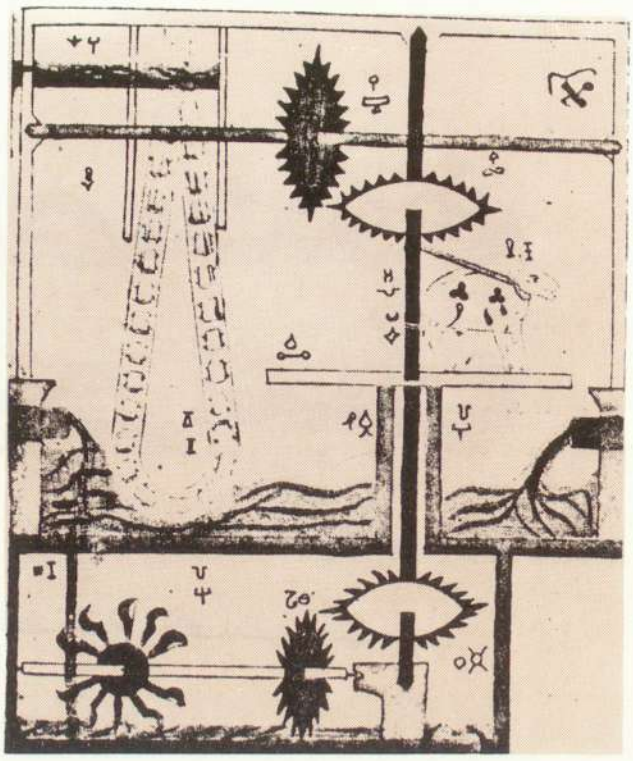
وبسبب هذا الانجاز الفريد . نال الدكتور هيل جائزة (دكستر) الدولية . وهى تمنح لمن يؤدى عملا متميزا فى مجال التكنولوجيا .

ولكن الباحث (كوماراسوامي) اهتم بدراسة انجازات الجزرى الميكانيكية من ناحيتها الفنية .. فنشر دراسات موضوعية عن الرسومات والاشكال التى وجدها فى مخطوطة ايا صوفيا .

ولعل من المفيد ان نشير الى اهم الاعمال الجيدة التى صدرت عن الجزرى حديثا فى الوطن العربى هو ما قام به المحقق الدكتور احمد يوسف الحسن . فقد قدم نصا عربيا محققا بعد جهود مضنية واتصالات عديدة مع المؤسسات الثقافية العالمية .

ابحاث المخطوط

يتالف كتاب الجزرى الجامع بين العلم والعمل من ستة انواع وخمسين شكلا هندسيا وعدة فصول . تتصدره مقدمة مستفيضة . عرض المؤلف فيها اسباب



الة ترفع الماء الساكن من بركة « لوحة من اللوحات الخمسين الرئيسية »

تاليفه الكتاب وطريقة تقسيمه وتبويبه والغاية منه . فقال فى شرح ذلك بعد ان ذكر ما يدل على اطلاعه على كتب المتقدمين وأعمال المتاخرين « الحمد الله المبدع صنعه‌فى السمائيات . المودع اسرار حكمه فى الأرضيات .. باشرت علاج هذه الصناعة برهة من الزمان وترقيت فى عملها عن رتبة الخبر الى العيان . فاخذت فيها اخذ بعض من سلف وخلف . واحتذيت حذو من عمل ما عرف . ولما لهجت بمزاولة هذا المعنى الدقيق ، ولحجت بمحاولة مجازه والتحقيق . رمقتنى اعين الظن بالتبريز فى هذا الفن العزيز . وامتدت الى ابواع ذوى الهمم الرفيعة لاستطلاع انواع الحكم البديعة .

فعناني من عناية ملوك زمانى وفلاسفة اوانى ما أثمر به غرس اعتدادى واقمر له ليل اجتهادى . فاستنهضت ما فقد من همتى وايقظت ما رقد من قريحتي واستغرقت الجهد والجد .

واستنفدت الوسع والوجد . وكنت وجدت فريقاً ممن خلا من العلماء وتقدم من الحكماء . وصنعوا اشكالا وذكروا اعمالا . لم يباشروا لجملتها تحقيقاً . ولا سلكوا الى تصحيح جمعها طريقاً . وكل علم صناعي لا يتحقق بالعمل فهو متردد بين الصحة والخلل .

فجمعت فصولا مما فرقوه . وفرعت اصولا مما حققوه . واستنبطت فنونا لطيفة المدارج خفيفة المداخل والمخارج » .

ويأتى بعد المقدمة .. النوع الأول وهو أهم أقسام الكتاب واوسعها .

خصصه لصنع ساعات مستوية وزمانية وفيه عشرة اشكال . وبحث فى النوع الثانى والثالث فى عمل اواني وصور للتحكم بالحركة وابارىق للفصد . وفى النوعين عشرون شكلا . وقد اشتمل النوع الرابع والخامس على وصف موضوعى لآلات ابتدعها الجزرى لرفع الماء الساكن من الآبار والبرك ، وفى النوعين خمسة عشر شكلا هندسياً وقد قدم فى النوع السادس اختراعاته الدقيقة لاشياء ميكانيكية مختلفة كالاقفال الحديدية التى تفتح بالأرقام والحروف . أى ان الجزرى قد سبق الغربيين بصنعها بثمانية قرون .

وفيما يلى فقرة من الفصل السابع يشرح فيها الجزرى الطريقة التى تسير بموجبها الساعة المائية التى وضع تصميمها بنفسه .

« وكنت سلكت مذهب الفاضل ارشميدس فى قسمة البروج الأثنى عشر .. فمن الواضح الجلي انه متى مليت خالبة أ من الماء المعلوم فى أول النهار . والطفافة وعليها ب ـ على سطح الماء . والنصف المسدود من القرص الخشب وعليه ى ـ الى فوق . والعجلة فى أول الميدان وعليها ز ـ وفيها ثقالة تجذبها الى ورائها وعليها ط ـ وقد رفعت الاثنى عشر شخصاً وعلقت على الغربان وعليها ل ـ ونزلت كل شفرة وعليها ع ـ فى حز من خشبة الكرات ووضع فى كل حفرة كرة وعليها لا وقلبت الأبواب السفلى وعليها م ـ والثقيل من طرفى كل باب الى فوق معوق بالثقالة وجميع وجوه هذه الأبواب لون واحد . وقوم مخرج الماء فى ذلك اليوم على درجة الشمس وفتح فيثون الخابية وعليه ج ـ وامتلأ الربع وعليه س ـ وخرج الماء من الجزعة وعليها و ـ فان الطفافة تستقل وتجذب فيدور بجذبها القرصان . قرص مكمل بالطوق وقرص عليه ك ـ وهما على محمر واحد . وتسير العجلة بالهلال والعمود حتى يقطع الهلال بمسيره باباً واحداً ويتوسط العضادة والعمود يدفع الشظية فيسقط الشخص ويفتح المصراعين ويرفع الثقالة عن الباب فينقلب الى لون آخر . وترتفع الشفرة عن حزها فتسقط الكرتان الى ميزاني الخشبة الثانية فتخرج كل كرة فى الميزاب النحاس الى راس البازى فينقضان الى ان تسقط الكرتان من منقاريهما وتتدحرج الكرتان فى الخراجة الى داخل الحجاب .

وكذلك يجرى الأمر ساعة بعد ساعة الى ان تكمل يب ساعة عند غروب الشمس فيعاد الماء الى مكانه من الخابية ويدار مرى الأجزاء الى نظير الدرجة التى كان عليها . ولا ترفع الأشخاص ولا الأبواب ولا الكرات بل يدار القرص ليستر الجامات . ويشعل القنديل ويكتفى فى الليل بالجامات فانها تضيء من أول جامة كالشعيرة ويتزايد الضو حتى يكمل جامة الساعة » .

وجيه الشربجي : دمشق

المراجع والمصادر :

ـ كتاب الاقاليم .. الاصطخرى .

ـ تقي الدين والهندسة الميكانيكية العربية .. للدكتور احمد يوسف الحسن .

ـ بحث حول اهمية التراث .. للاستاذ محمد نجيب السيد احمد .

ـ مقدمة لعلم الميكانيك فى الحضارة العربية .. للاستاذ ماجد عبد الله شمس .

— Aljazari .... see Hill, Donaldr.

— Idem (W.M. 5) uber Musikau Tomaten, Amari Festschrift. (1909) 164-185.

— M. Aga oglu, on a manuscript by Al-Jazari Parnassus, (1931) 27-28.

الصندوق الخامس

قصة بقلم : كلثم جبر

● مقدمة :

امسيات حارقة .. واخرى جافة .. باردة .. وحزينة .. وممطرة .. يبعث فيها اصحابها برسائلهم الحزينة فى انتظار مواسم الفرح .

● الرسالة الأولى :

امسية مجدبة ..
وصمت مميت ..
ووقت لا أعلم من اين جاء .. ومتى سيرحل !
ابعث إليك ولدى بقصاصاتى الاخيرة فى غير انتظار رسائلك ووجهك ! لقد اثقل المرض كاهلي وبت ازحف فى الطريق حتى يمكنني إيصال تلك الرسالة إليك ..
ولكنك تحتضن الصمت ..
وانا ينهشني الالم ..
ودود الارض بانتظار جثتي .

(٢)

● مدخل إلى الحدث :

المدينة بها خمسة صناديق بريـــد .. تتضاءل الوجوه الباهتة بطريق الصدفة فتلقي برسائلها فى صندوق موحد وهـــو « الخامس » . حيث تقطن فتاة شبيهة بلعبة الحلوى الملونة . جرح ساعي البريد الغائر كلما حاول الالتئام نكئ من جديد . يفقد عندها الخافق والذاكرة بان صناديق المدينة خمسة ويجمع رسائل الاربعة وتنطمس معالم الخامس امام ناظريه حيث يتكىء عليه بانتظار بسمة فرح او إيماءة قبول من القاطنة امامه .

● الرسالة الثانية :

الليل شبح اخرس ..
غفا المساء ، وادمعي وانت بالذاكرة ..
حينما اشتقت إليك بحثت عنك بداخلي فافتقدتك بعنف .. يزخر الحزن .. ووجه ابي جلاد صامد ..
وعرسي بات قريبا ..
ووجهك منقذي ..
مللت انتظار رسائلك حتى خلت ان ساعي البريد يتعمد سرقتها لانها تحمل نفحات مشاعر ..
واللون الرمادي يوهم بالعشق ..
وبمدينتنا يحاصر الحب كالطاعون ..
وانت تعلم ذلك ..
فمتى تاتي .. ؟ افتقدك بقسوة ..
وقسوتك تلك تخنقني كسلاسل نحاس قرميدية ..
حينما احاول كسرها ستبقى آثارها فوق عنقي .

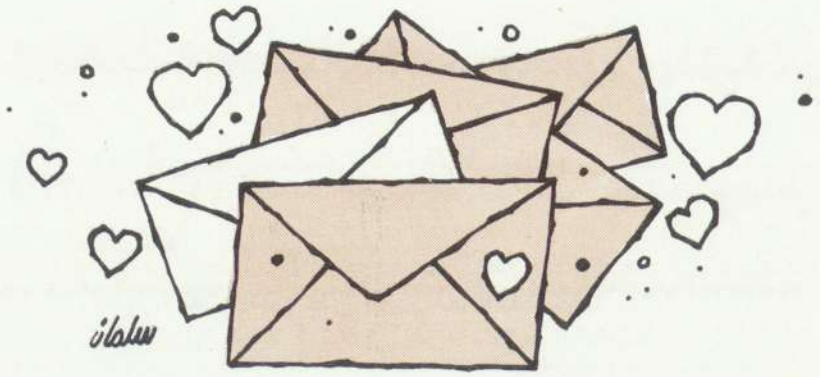
(٣)

● الحـــدث :

تتراكم الرسائل وتذبل وجوه باعثيها وتسكن كلماتهم قاع الصندوق الخامس بوحشة وانتظار .. وتسام لعبة الحلوى الملونة فقدان وعي ساعى البريد وتسخر من تساقطه امامها .. فتقرر الرحيل إلى حيث يستوطن الترف باحضان رجل آخر يزخر بالتخمة والذهب ! يتسع جرح ساعى البريد حتى يفقا عينيه لفقدان لعبته فيرتطم راسه بالصندوق الخامس حيث تراكمت خشخشة الاوراق المنتظـــرة .. ويصطبغ دمه وطلاء الصندوق الابيض يلعق دمه .. ويرفع راسه وينتصب الصندوق الخامس امام عينيه فيصعق . !!

● الرسالة الثالثة :

اكره جفون ساعى البريد الذى يحتفظ بكومة رسائلى فى حوزته ..
يسكننى رعب قاتم ..



اود أن أموت ..
فقدت الرغبة بمواصلة الحياة ..
بانتظار إطلالة وجه طفلي الحلم المزروع بالداخل ..
وبانتظار ردك الأمل .. لفتح اقفـــال عقمي ..
استحلف ذاتك وعلمك « طبيبي » بان تدلني على الطريق الموصل لا طلالة وجه طفلي .. حتى لا افقد ذاتي الأخرى المجسدة بمن يشاركني الحياة والانتظار ..
لانني اود ان اهديه لاخرى تمنحه ذلك الطفل ..
حينما تتجسد حقيقة عقمى .

(٤)

● عنصر المفاجاة :

يفتح ساعي البريد الصندوق فتتناثر الرسائل تحت قدميه .. يفزع ، يتسع جرحه وكيسه الكبير .. يلملم الرسائل فتتراكم بداخل الكيس .. يتذكر انه يعمل منذ خمس سنوات وانه يعشق منذ خمس سنوات وان عمر هذه الرسائل ..
يا للفجيعة !

● الرسالة الرابعة :

من فوق غيمة هادرة تبرق بالصخب والضجيج « ابي » ..
ارى مئات الأوراق ..
مئات الأوراق ..
واتلهف لورقة منها تصلني ..
ترى من سيقرع بابي اولا ؟ ..
رجل الامن ليقتادني لزنزانة معتمة ..
ام ساعي البريد الذى سوف يحمـــل بشرى انقاذ عنقي من تلك الزنزانة .. بوصول حوالتك البريدية بالنقود المنتظرة « ابي » ..

(٥)

● لحظة التنوير :

تستيقظ ذاكرة الرجل ويعوى ضميره ينثر الرسائل المتراكمة بمســائله القحط تحت مقعده الكئيب وحوله .. يطفو وجه رئيسه بالذاكرة .. فيرجف ويحزن .. ويبكى لعبته الملونة .. ويقرر إحراق الرسائل تلك .. يجمعها وجفاف الكلمات بداخلها .. يحولها لمدفئة الجدار .. يشعل النار .. يلقي بها تشتعل .. تتهاوى .. تتساقط رماداً فى المدفئة ..

عندها يسحب ورقا آخر .. ينسخ طلبا لرئيسه لتلقي مكافاة على مثابرته ويقظته التامة وانصهاره بالعمل .

● الرسالة الخامسة :

اعوى كالذئب الجريح وانزف الما ..
ادفن « صغيرى » بيدى ، واذرف دمعا ..
الملم بقايا حبك بداخلي وانثره بطرقات جفونك ..
هكذا انبئك بان الصغير يرتجف الما ..
وانا اتلاشى رعبا ..
وانت تسكن الطرقات البعيدة ..
ووجودك بجانبي يعني النجاة من المرض والموت .. ومن ؟
ولكن .. لن تراني حين عودتك ..
فقد قررت الرحيل انا الأخـــرى حيث لا بقايا البقايا ..
من الحب بداخلي تجاهك ..
ايها « الزوج » الحقيقة !

كلثم جبر

من عمّان إلى الديار المقدسة في سيارة :

لحظات في منزل الوحي وأيّام في ضيافة الرحمن

بقلم : نبيل خالد الأغا

منذ نعومة أظفاري وأنا أتحرق شوقاً ولهفة لزيارة الديار المقدسة ، تلتهب عاطفتي حباً كلما سمعت أحد العائدين من الحج يطري تلك البقاع الطاهرة ، وكلما رأيت صور المسجد الحرام أو المسجد النبوي تزين واجهات محلاتنا ، وغرف استقبال ضيوفنا .

كنت ارتعش وانتفض رغبة ورهبة حينما أتابع مشهد الحجيج فى التلفاز أو المذياع يوم وقفة عرفة ، والمذيعون المسلمون يذوبون أفئدتنا بوصف ذلك المشهد الفريد .

وكم من مرة عزمت على أداء فريضة الحج ، أو أداء مناسك العمرة ، لكن ارادة الله لم تتم الا هذا العام .. فى اواخر شهر رمضان المبارك . حيث غادرت الدوحة جواً الى الأردن .. ومكثت بضعة أيام بين الأحباب فى عمان ، ومنها انطلقت مع انسبائي فى « سيارة العمرة » عصر يوم الخامس والعشرين من رمضان الكريم .

الطريق من الدوار السابع بالعاصمة الأردنية وحتى مطار الملكة علياء الحديث (٣٠ كم) ممهد ومنسق ومغر بالسرعة فى قيادة السيارة ، ولكن الطريق من هناك حتى مدينة معان (٢١٦ كم) مزعج ومليء بالمطبات ثقيلة الوطء على النفس والعربة معا ! ولم يكن يعزينا عن وعورة الطريق سوى نبل الهدف الذى نسعى اليه ، وما يردده على اسماعنا الاخ « اسامة » ـ الشاب الغض المتشبث بدينه ، الزاهد فى دنياه ـ من آيات وأحاديث ومواقف اسلامية ماثورة .

وعندما واجهتنا شاحنة ضخمة فى الطريق قال اسامة : كان عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ يدعو ربه قائلا : « اللهم هبني شهادة فى سبيلك ، وميتة فى بلد رسولك عليه الصلاة والسلام » . فاستجاب الله لدعائه ورزقه الاثنتين . وعندما يرانا نتململ تعباً وارقاً يقول : قال صلى الله عليه وسلم : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى » . وحينما يرى بعضنا يعاني من وطأة السفر ، وشدة الظما يقول : كل خطوة فى سبيل الله لها مكافأة مجزية ، وقد قال الرسول الحبيب : « عمرة فى رمضان تعدل حجة » وفى رواية « حجة معي » .

وعندما وصلنا « معان » عشاء عرجنا على اول مسجد صادفناه ، فصلينا المغرب والعشاء جمع تقديم ، وواصلنا سفرنا الى « المدورة » وهى آخر حدود الأردن ، ومنها الى « حالة عمار » وهى بداية الحدود الشمالية للمملكة العربية السعودية ، وبعد مسيرة ١٣٠ كم وصلنا مدينة تبوك قبيل الفجر بساعة تقريباً ، فعرجنا على بيت صديق حميم للعم « ابو زهير » ويدعى « ابو أحمد جراده » وهو من كرام الفلسطينيين العاملين فى تبوك . وبينما كانت أسرته تجهز لنا طعام السحور كان الرجل يحدثنا عن تجربة العشرين عاماً التى قضاها فى المنطقة . مركزاً حديثه على المعاملة الكريمة التى يلقاها ابناء فلسطين من اخوانهم السعوديين ، ورعاية الحكومة السعودية لهم ولأبنائهم .

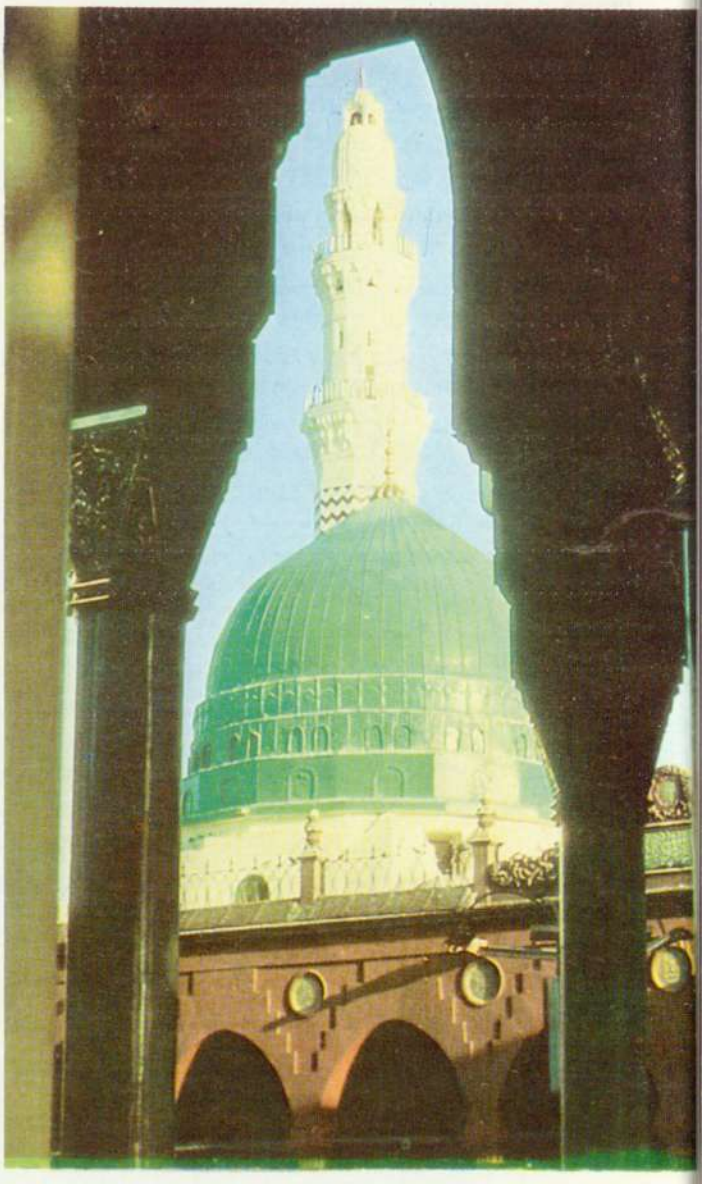
تبوك .. الواقع والتاريخ

استيقظنا من إغفاءتنا فى السابعة صباحاً ، وانطلقنا لاجتياز المرحلة الرئيسية من رحلتنا نحو المدينة المنورة (٧٥٠ كم) ، وقد اثلج صدورنا ـ أثناء اجتيازنا مدينة تبوك ما رأيناه من نظافة وتنسيق ونهضة عمرانية وزراعية ، واخذنا نسترجع معاً ما ترسخ فى اذهاننا من أحداث غزوة تبوك ، التى حدثت فى مثل تلك الأيام من شهر رمضان الكريم فى السنة التاسعة للهجرة .. ها هو الدين الاسلامى قد أصبح قوة مكينة هائلة فى الجزيرة العربية ، والرسول القائد يرسل الكتب للملوك والرؤساء يدعوهم الى الدخول فى دين الله .. فيستاء الروم ويتذمرون .. وتاخذهم العزة بالاثم ، فيعدون عدتهم الحربية الضخمة ، ويزحفون على حدود الجزيرة لاجهاض الاسلام ، وكسر شوكة المسلمين ، ويشجع « هرقل » زبانيته فيدفع لهم أجرة سنة مقدماً !!

والرسول القائد يَجدّ فى اعداد جيش اسلامى قوي يضاهى جيش هرقل قوة ومنعة ، غير أن المنافقين ـ كدابهم فى كل زمان ـ يفتعلون الأعذار الواهية ليتخلفوا عن ركب الجهاد ، بل انهم اخذوا يثبطون

ضيوف الرحمن يطوفون حول الكعبة المشرفة

القبة الخضراء فى المسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة



الحجر الأسود فى البيت العتيق .





قبة الصفا من الداخل

العزائم والهمم ، ويخوفون الناس من بطش الروم ، وشدة الحر ! لكن الله فضحهم فى سورة التوبة : « فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، وكرهوا أن يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله ، وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم اشد حراً لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون » .

ويمضي الرسول الكريم فى تعبئة الجيش الذى سمي « بجيش العسرة » نظراً للصعوبات الاقتصادية القاسية التى أحاطت باعداده ، ويمضي وراءه المؤمنون الصادقون الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه .. ويجود القادرون بما قدروا عليه من انفس ونفائس ، فينزل قول الله فيهم « لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة » .

واكتمل اعداد الجيش ، وبلغ عدده ثلاثين الف مقاتل « وقيل سبعون » ، يقوده أبطال أشداء من أمثال خالد بن الوليد ، والحباب بن المنذر ، وأسيد بن حضير وغيرهم .

وزحف جند الله استعداداً للفداء ، ووصلت الأنباء الى الروم ، فراعهم الأمر ، واعادوا دراسة حساباتهم على ضوء الواقع فاتفق كبار قادتهم على التقهقر .. فلقد آثروا السلامة على خوض مغامرة غير مضمونة النجاح ..

وهكذا انتهت غزوة تبوك .. وكانت آخر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم .

تعظيم المدينة المنورة

مع بداية الخطوط الأولى لفترة العصر ، صافحت عيوننا مشارف المدينة المنورة ، عمنا أبو زهير ـ جزاه الله خيراً ـ يوقظنا من شرودنا ويدعونا لنردد معاً : بسم الله ، وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب ادخلني مدخل صدق ، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً » .

ثم عرجنا على أول مسجد قابلنـاه ، فاغتسلنا ، واحرمنا وولينا وجوهنا شطر المسجد النبوي ، ومدينة المصطفى تلبس أبهى حللها الرمضانية القشيبة ، ووجوه أهل المدينة تشع بالبشر والايمان ، ولم أعجب لذلك لعلمى بانهم من سلالة الأنصار الأطهار الذين آووا الرسول واحتضنوه ونصروه ودثروه بكل الحب وكل الود والترحاب .

وبرغم أن الأخ « غسان » ياتى المدينة للمرة الثالثة معتمراً وقائداً « لسيارة العمرة » الا أن اتساع المدينة وازدحامها أنساه الطريق الموصل الى المسجد النبوي فاغتنم فرصة وقوف سيارتنا عند اشارة مرور ، فسأل أحد سائقي سيارات الاجرة فاشار الينا باتباعه ، وظل الرجل امامنا حتى أوصلنا الى أقرب نقطة مؤدية للمسجد .

ولأن العم أبو زهير يعرف انها المرة الأولى التى اتشرف بها بزيارة المدينة ، فقد أشار بسبابته يريني أطراف مآذن المسجد وهى تتالق عن بعد : فتفرست فيها .. انها هى .. هى كما ارتسمت فى ذاكرتى .. وبتلقائية بحتة انداحت دموع حرى على وجهى .. واخذت أسبح واحمدل واستغفر .. فلقد أضحى الأمر حقيقة ولم يعد مجرد أمنية .. هانذا أسير فى مدينة الحبيب ، وهانذا أرى مسجده وبعد برهة انظر الى ضريحه .. واحاديثه صلى الله عليه وسلم فى حب المدينة وحب زائريها تتزاحم على لسانى ، فها هو يقول : « ياتي الدجال المدينة فيجد الملائكة يحرسونها ، فلا يدخلها الدجال ولا الطاعون ان شاء الله تعالى » .

ويدعو ربه بالبركة والخير لها : « اللهم ان ابراهيم حرم مكة فجعلها حراماً ، واني حرمت المدينة ما بين مازميها (مكانان) ان لا يراق فيها دم ، ولا يحمل فيها سلاح لقتال .. اللهم بارك لنا فى صاعنا ، اللهم بارك لنا فى مُدِّنا ، اللهم اجعل مع البركة بركتين ، والذى نفسى بيده ما من المدينة شِعب (طريق) ، ولا نقب الا عليه ملكان يحرسانها حتى تقدموا اليها » .

ويقول : « ان الايمان ليارز (يلجا) الى المدينة كما تارز الحية الى جحرها » . ويقول الحبيب فى اكرام ضيوفه : « ما من رجل يسلم عليَّ الا رد الله عليَّ روحي حتى ارد عليه السلام » .

ويقول أيضاً : « من جاءني زائراً لا يهمه الا زيارتي كان حقاً على الله سبحانه وتعالى أن أكون له شفيعاً » .

ويقول أيضاً : « من زارني بعد وفاتي فكانما زارني فى حياتي » . ويقول : « مَنْ صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشراً » .

فى مسجد الحبيب

وعلى هدى من الله تعالى ومحبة المصطفى واحاديثه المباركة دخلنا المسجد النبوى من باب جبريل عليه السلام ، وبصعوبة شديدة وصلنا الى الروضة الشريفة وصلينا بها تحية المسجد ، قال



منظر جوى لمكة المكرمة

الرسول : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي » .

وصلينا العصر فيه ، فالصلاة فيه خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام فالصلاة فيه بمائة الف صلاة ، والصلاة فى المسجد الاقصى بخمسمائة صلاة،ثم قصدنا ضريح حبيبنا المصطفى وسيل دمعي ينحدر انحداراً ، فسلمت عليه وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .

وكان علينا أن نغادر المدينة كي نحيي الليلة المباركة فى المسجد الحرام ، انها ليلة السابع والعشرين من رمضان .. انها ليلة القدر على أرجح الأقوال .. فاتكلنا على الله ، وتابعنا مسيرتنا صوب مكة المكرمة (٤٥٠ كم) .. وذهبنا الى « ذي الحليفة » المعروفة الآن بـ « ابيار علي » فصلينا بالمسجد ، وعندما اوشكت الشمس على المغيب وقفنا على جانب الطريق الجبلي الوعر فافطرنا وصلينا ومضينا .

كانت امامنا عشرات السيارات المقلة لمئات المعتمرين الوافدين الى بيت الله الحرام ، وكلما اقتربت السيارة من مكة المكرمة سبقتها ذاكرتي تستجمع ما ترسب في الوجدان من معلومات عن أم القرى التى تجمع الأقوال المأثورة بانها والمدينة المنورة والقدس الشريف اطهر بقاع الارض قاطبة .

لمحة عن أم القرى

لمكة أسماء عديدة تزيد عن الثلاثين ولكن أشهرها ثلاثة : البلد الحرام ، أم القرى ، مكة .

وهي تقع في منطقة جبلية جرداء ، ليس فيها شجر ولا ثمر ولا نهر ، ولكن الله سبحانه وتعالى عوضها عن ذلك بان جعلها فردوساً للعبادة ، ومستودعاً للقداسة والمهابة ، ومهوى لأفئدة المسلمين ووحدتهم

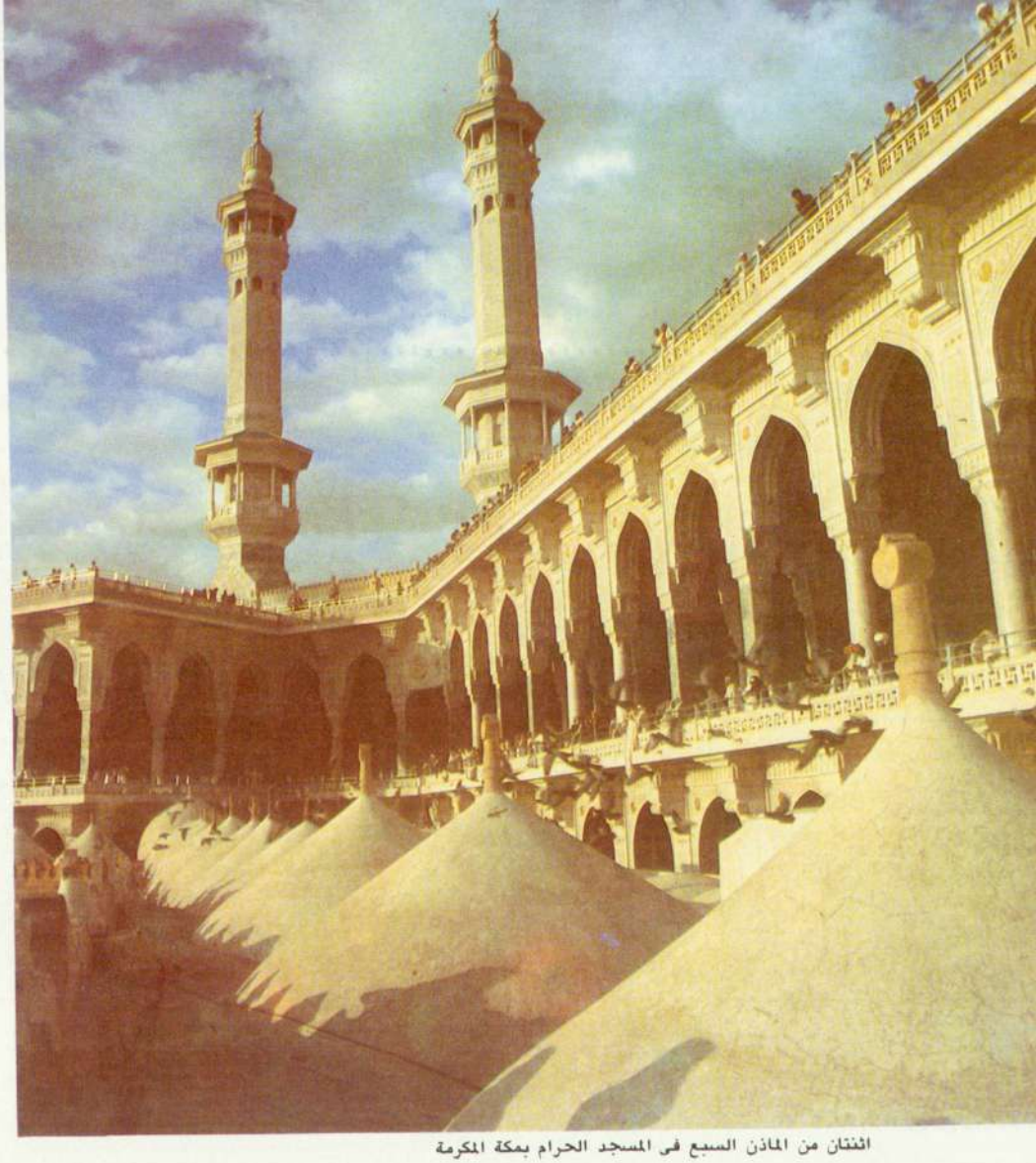
يتالق فيها المسجد الحرام ، وهو اول مسجد وضع في الأرض ، ويرجع تاريخ توسعته الى زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة السابعة عشرة للهجرة ، وتعاقب من بعده خلفاء المسلمين وحكامهم على توسيعه واصلاحه في أزمنة مختلفة ،الا أن ابرز اصلاحاته وخدماته بدأت في عهد الاسرة السعودية منذ عام ١٣٥١ هـ وحتى اليوم ، فقد زادت مساحة المسجد خمسة أضعاف ما كانت عليه من قبل ، حيث أن مساحته الآن تزيد عن ١٨٠ الف متر مربع ، تتيح لحوالي نصف مليون مسلم أن يؤدوا الصلاة فيه دفعة واحدة .

والمسجد مكون من طابقين يصل ارتفاعهما الى حوالي ٢٤ متراً ، وله اربعة وستون باباً أوسعها باب الملك عبد العزيز ، وباب العمرة ، وباب السلام ، ويعلو كل باب منارتان يبلغ ارتفاع كل منهما اثنان وتسعون متراً فى قمة كل منارة هلال يبلغ ارتفاعه خمسة امتار ونصف المتر .

واصبح المسجد الحرام بعد توسعته الحديثة في عهد الملك فيصل يضم في حرمه الصفا والمروة الى جانب الكعبة المشرفة وبئر زمزم ومقام ابراهيم .

هذا .. والحديث عن اصلاحات المسجد يقودني ـ بصفتي احد ضيوف الرحمن ـ الى اطراء الجهود الجبارة التي تبذلها الحكومة السعودية لتطوير مشروعات الحج ، واستخدام احدث التقنيات المعمارية توفيراً لراحة ضيوف الله .

ويبدو ذلك جلياً من خلال انشاء عشرات المشروعات الكبرى كالانفاق والطرق والجسور والاسكان والمواصلات . والرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين تضطلع بمجهودات صادقة في هذا المجال تستوجب التقدير والثناء .



اثنتان من المآذن السبع فى المسجد الحرام بمكة المكرمة

مبنى الكعبة

بتوجيه وارشاد من الله سبحانه وتعالى بنى سيدنا ابراهيم وابنه الذبيح اسماعيل عليهما الصلاة والسلام بيت الله الحرام (الكعبة) على قاعدة التوحيد الازليـــة « الاّ تشرك بي شيئاً » ، فى القرن الثامن عشر قبل الميلاد .

والكعبة هى قِبلة المسلمين الثانيـــة ـ حيث كان المسجد الاقصى قِبلتهم الاولى لستة عشر شهراً ـ وهى على شكل حجرة كبيرة مكعبة طولها ٤٠ قدما وعرضها ٣٥ ، وارتفاعها ٥٠ ، ويقع الحجر الاسود فى ركنها الشرقى ، وهو عبارة عن حجر بيضاوي املس قطره ٣٠ سم ويقال انه من احجار الجنة والله اعلم .

وعلى بعد امتار قليلة من مبنى الكعبة يوجد مقام ابراهيم ، وهو الحجر الذى كان يقف عليه ابراهيم الخليل اثناء رفعه القواعد .

وضمن نطاق الحرم الشريف يوجد مـــاء زمزم ، وهو نبع من الماء قدر له الله ان ينبع عندما اشتد الظما باسماعيل الذبيح وامه هاجر التى كانت تسعى مهرولة بين مرتفعى الصفا والمروة تبحث عن الماء لابنها ، ففرج الله كربتها ، وامن غربتها ، وفجر امامها عين زمزم التى ما انفكت تجود بالماء العذب منذ ذلك الزمن السحيق . وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « خير ماء على وجه الارض ماء زمزم » و : « ماء زمزم لما شُرِبَ له » .

فى رحاب البيت الحرام

عندما وصلنا اطراف مكة اخذنا نلبي معاً : لبيك اللهم لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك لبيك » . وبعد ان قطعنا بالسيارة مسافة كيلومترين اثنين فى ساعة ونصف الساعة بسبب شدة الزحام ، اضطررنا لايقاف سيارتنا فى مكان ليس بالقريب من المسجد الحرام ، ومشينا على ارجلنا فيما يشبه عدم المشى !

وزيادة على الزحام فالطقس شديد الحرارة ، والجو مشبع بالرطوبة ، واقدامنا تكاد لا تقوى على حمل اجسادنا ، لكن جميع أشكال تلك المعاناة لم تخطر ببالنا فى تلك اللحظات التى نسي فيها المرء هويته الآدمية ، وحلق باجنحة ملائكية فى رحاب القداسة والطهارة والسمو .

وفجاة تسمرت فى مكانى ، ووقفت مبهوراً ، يا للعظمة .. يا لله ، انها هى . هى الكعبة المشرفة ، تاالله انني اراها بام عيني ، والمسها بام فؤادي ، واقبلها بكل كياني ، لقد تعطلت كل وسائل التعبير عندي .. لقد شلت كلها عدا دموعي المدرارة .. ووجدتنى اتذكر حديث الرسول الحبيب :

« تُفتح ابواب السماء ، وتُستجاب دعوة المسلمين عند رؤية الكعبة » . واخذت ادعو الله قائلا : اللهم زد هذا البيت تشريفاً ، وتعظيماً وتكريماً ومهابة وبراً ، وزد من شَرَّفه وَكَرَّمَهُ ممن حَجَّه او اعتَمَرَه .

واثناء الطواف حول الكعبة شعرت بأنني قريب من الله كما لم اقترب من قبل .. فدعوته ان يغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ، دعوته أن يعز الاسلام وينصر المسلمين على انفسهم وشياطينهم ، دعوته الهداية لكل ضال ، والمغفرة لكل مذنب ، والانصاف لكل مظلوم ، دعوته العتق للمسجد الاقصى .. والحرية لكل الاسرى،والعودة لكل غائب .. دعوته ان يبعث النخوة والحمية فى صدور المسلمين كي يتحول هذا الكم الهائل من المسلمين الى شيء ما .. له قيمته ووزنه واثره ، ولا يبقى على حاله غثاء كغثاء السيل .

وتمنيت على كل المسلمين ان يترجموا مناسك عباداتهم وشعائرهم الى مناهج وآداب يسيرون على هديها ومنهاجها .

• • •

بعد أن انتهينا من الطواف حول الكعبة سعينا بين الصفا والمروة تنفيذاً لقول الله تعالى : « ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوّف بهما ، ومن تطوع خيراً فان الله شاكر عليم » (البقرة ١٥٨) .

ثم تحللنا من احرامنا ، مع شروق الشمس ، وطفقنا نبحث عن فندق ناوي اليه ، وامضينا اكثر من ساعتين فلم نفلح .



لقطة من داخل مسجد الرسول بالمدينة

فاوينا الى جوار قاعدة ضخمة لاحد الجسور الجاري تشييدها جوار الحرم ، ولم توقظني من نومي الا ركلة غير رحيمة من غفير الجسر يامرني بلهجة غير مهذبة كى ابتعد عن مقره !

ولاانني فى البلد الحرام فقد حرمت على نفسي معاندته او مجادلته ، فنفذت اوامره .. ولم نجد حلا سوى « مداهمة » الاخ الدكتور عبد السلام الزميلي فى بيته ، فاستقبلنا بترحاب ومودة .. واكرمنا ايما اكرام .

العودة الى عمان

مكثنا اربعة ايام فى مكة ، وقضينا اخر يوم فى رمضان .. واول وثاني ايام عيد الفطر المبارك فى رحاب المدينة المنورة ، وفى حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم .

وفى طريق عودتنا الى عمان ظل تساؤل يلح على خاطري كلما صفعت وجهي الحرارة ، ونزت من جسدي الرطوبة ، ولفحني صهد المنطقة من مكة الى تبوك :

كيف استطاع المسلمون الاوائل ـ فى مثل هذه الاجواء ـ ان يخوضوا اروع معاركهم ، ويحققوا اعظم انتصاراتهم على انفسهم واعدائهم ؟ !

فلقد شهد شهر رمضان المبارك انتصارهم فى غزوة بدر يوم السابع عشر منه عام ٢ هـ .

وفى ٢١ من رمضان علم ٨ هـ فتحوا مكة .

وحدثت فيه غزوة تبوك عام ٩ هـ .

وتحقق فيه فتح بلاد الاندلس عام ٩١ هـ

وفيه انتصر المسلمون على التتار فى معركة عين جالوت عام ٦٥٨ هـ .

.. اجل كيف انتصروا ؟

ـ لقد انتصروا فى مثل تلك « الرمضانات » لان درجة حرارة الايمان فى قلوبهم قد طغت على درجة الحرارة خارج قلوبهم .. فكان حقا على الله ان ينصرهم .. فانتصروا ! !

... هناك سؤال ما انفك يراودني منذ انتهيت من اتمام طوافي حول الكعبة الشريفة :

ما هى الحكمة فى كون البيت العتيق على يسار الطائفين ولم يكن على يمينهم ؟

اتوجه بهذا التساؤل الى اهل العلم ليتفضلوا بافادتنا عن اجابته .

عدنا الى عمان ، وفى قلوبنا تتوهج مصابيح الفرح والطمانينة ، وعلى امل العودة لاداء فريضة الحج .. اللهم اكتبها لمن اداها ، ولمن يريد تاديتها ، اللهم واحتسبها لمن لم يستطع القيام بها .. ولمن تمناها ومات دونها .. اللهم وانفعنا بخيرات الحج والعمرة والصلاة والدعاء والزكاة واكتبنا مع الهادين المهتدين . امين .

نبيل خالد الاغا

لقطات من الكون المثير



زهـــرة أم حشـــرة؟

الشكل شكل زهرة ، رغم ان الكائن حشرة من جنس السرعوف او جمل اليهود .. تعددت الأسماء والمخلوق واحد .. وقد جاء بهذا الشكل المثير ليضرب عصفورين بحجر واحد ، اولها ليلعب فى الطبيعة لعبة التمويه او الاختفاء عن اعين الأعداء التى تطمع فى لحمه ، فلا تستطيع اكتشاف امره ، لانه يبدو كزهرة متفتحة على غصن ، وثانيها ليجذب الحشرات التى تحسبه زهرة ، فتهبط عليه ، علها تمتص رحيقه ، ولا تكتشف الخدعة إلا بعد ان تصبح بين ذراعيه لقمة سائغة ..

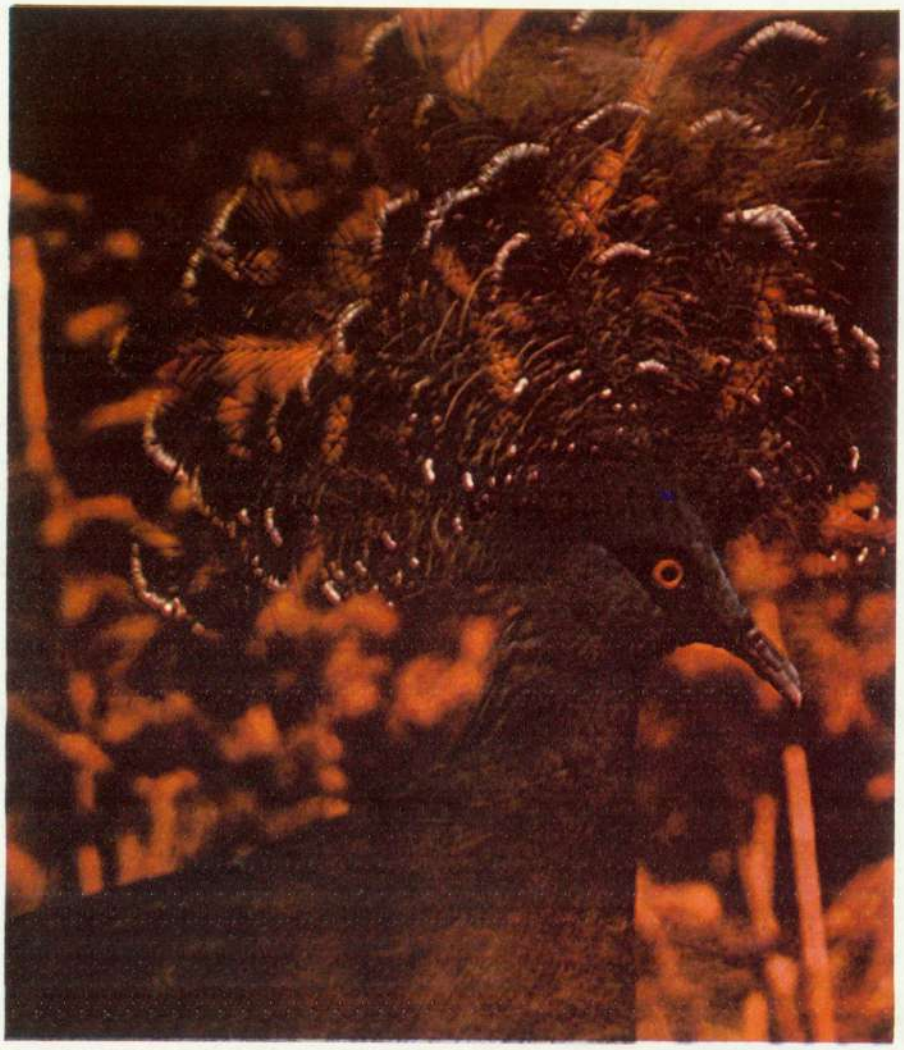


إنهـا تتحدى تدمير الإنســان

كانت فى الماضى ارضا طيبة ذات خضرة زاهيـــة ، ثم جـاء الانسان بعـدد من «البلدوزرات» لتدمر المزروعات ، وتحولها الى ارض قاحلة ، اللهم إلا من بعض بقايا جذوع اشجار كانت تنبت هنا وهناك .. وبعد عشر سنوات نجح نوعان من النباتات فى الهبوط على احد الجذوع الخاوية ببذورهما التى حملتها الرياح او الطيور التى كانت تحلق يوما على هامات الاشجار الباسقة ، وبقليل من المطر والندى ، مع بقايا مادة عضوية تحللت من الشجرة الفانية ، بدأت البذور فى الانبات ، لتضفى على المساحات الجرداء خضرة زاهية فيما يشبه الاصيص الفخارى ، فكانت هذه الباقة الجميلة التى تضع لنا النقط فوق الحروف ، وكانما لسان حالها يقول : إن الحياة أقوى من الانسان والبولدوزرات والدمار الذى يحل بالأرض الطيبة ، وبالبيئة المسالمة .

إنها تاج طبيعي على الرؤوس

إذا كان الطاووس يختـــال بذيله ، ليستعرض نفسه أمام أنثاه ، علّه يروق فى عينيها ، فان هذا الطائر من فصيلة الحمام يخطو مختالا برأسه الذى توجته باقة من ريش منسق كأنه الزهر المنضود .. فاذا سار متمايلا ، تموج هذا التاج الطبيعى ليجذب أنظار الاناث قبل أنظار الانسان ، ولقد بلغ من جمال هذه الطيور أن أطلق عليها سكان غينيا الجديدة البدائيون اسم طيور الجنة التائهة ، أى كأنما كانت تعيش قبل ذلك فى الجنة ، ثم تاهت وهبطت الى الأرض ، لتحولها بجمالها الأخاذ الى قطعة من الجنة .. هذا ويعتبر ذلك الصنف من الحمام مسالماً الى أبعد الحدود ، ولا يبدى مقاومة عند الامساك به ولهذا عاش عليه أهل البلاد الأصليين يستطيبوه كطعام ، كما نستطيب نحن الحمام ، لكن حمام غينيا الجديدة يصل فى حجمه الى حجم أنثى الديك الرومى أو التركى ، ومن المؤسف أن هذا الطائر الجميل (واسمه جورا) فى طريقه الى الانقراض ، كما انقرض أبناء عمومته من حمام « الدودو » الذى كان أكبر من حجم الديك الرومى ، ولقد عاش فى جزيرة موريشيوس بالمحيط الهندى ، الى أن استعمرها الرجل الأبيض وانتهى أمره الى الانقراض بنهاية القرن السابع عشر .



كم من العمر تظنه قد بلغ ؟

من أول نظرة قد تحسبه كهلا ، رغم أنه لايزال طفلا .. صحيح أن الرأس أصلع ، والتجاعيد قد تركت بصماتها على وجهه ، والصورة العامة توحى بانه قد تجاوز الأربعين أو الخمسين ، لكنه لم يبلغ من العمر إلا عشر سنين .. ترى ، ما الذى حوله هكذا من نضارة الطفولة الى ذبـــول الكهولة ؟ .. الواقع أن أحداً لا يعرف السبب ، ففى حالات نادرة (تعرف طبياً باسم « بروجيريا » أو الشيخوخة المبكرة) تظهر أعراض الكهولة على الأطفال بداية من سن السادسة ، رغم أنهم ولدوا أطفالا عاديين ، لكنهم يعانون بعد ذلك من تخلف حاد فى النمو ، وضعف وهزال وتجاعيد وسقوط الشعر ، وكأنما هم قد بلغوا أرذل العمر ، ونادراً ما يبلغون سن الشباب ، ولقد حار العلماء والأطباء فى معرفة الأسباب ، ومن أجل هذا لا يمكن وصف العلاج .. لكن حمداً لله أن هذا الحالات نادرة غاية الندرة .





الأسطول : عيسى عبد الرحمن (١٣ سنة)



قناع : جاسم اسد (١٢ سنة)



المدينة : خالد قربان (١٣ سنة)



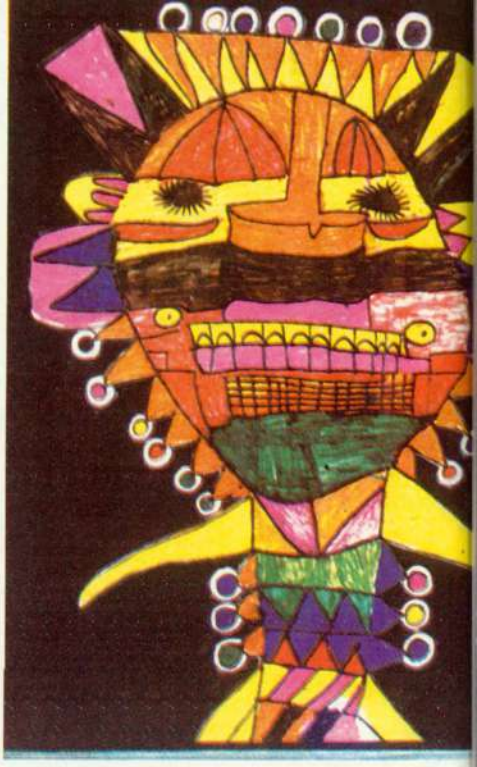
تشكيل بالخط العربى : حبيب اسماعيل

تجربة فنية جديدة

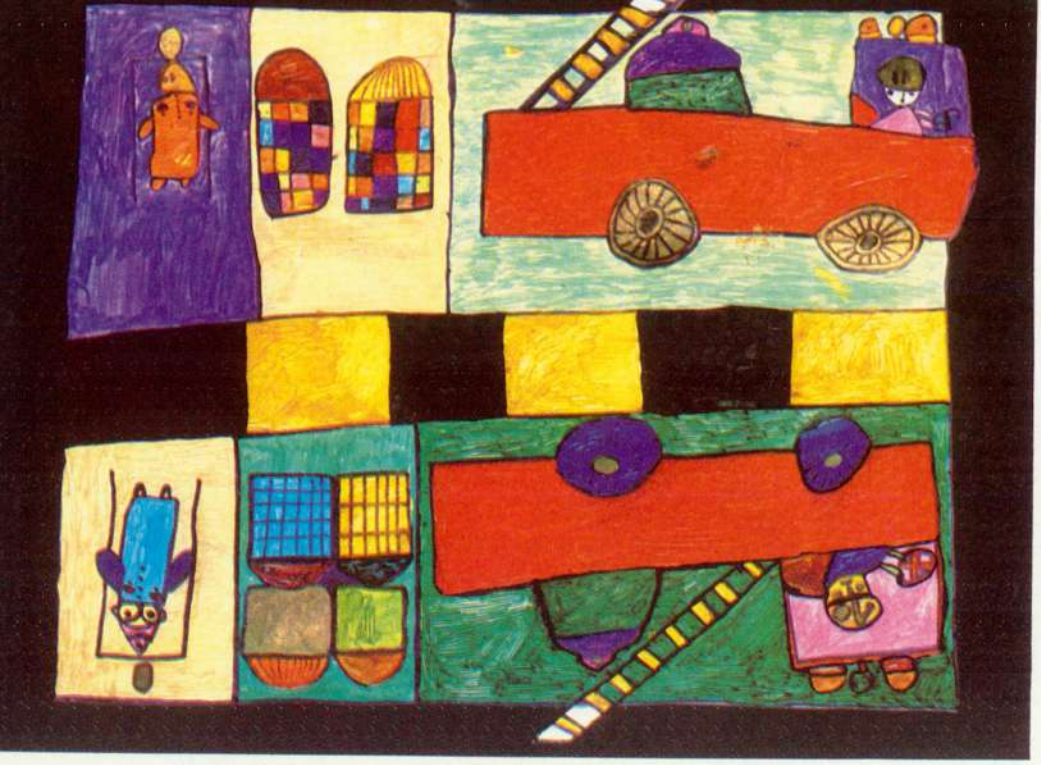
الابتكار والأصالة والحس الصادق في لوحات أطفال نادي الجسرة

بقلم : ماجد يوسف

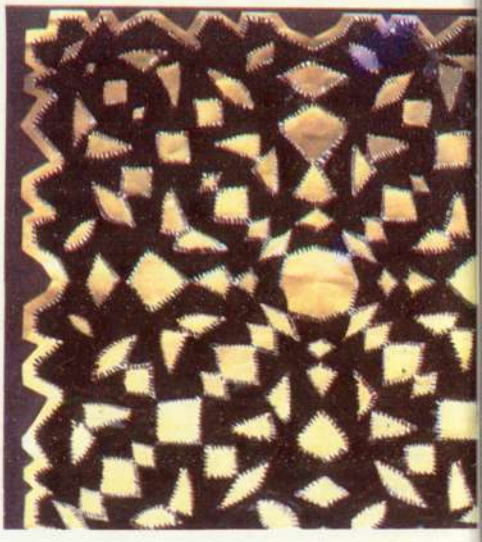
تتمثل فى الطفل باعتباره مستقبلا حساساً وبكراً للوجود من حوله امكانية اكبر ـ ربما من بعض كبار الفنانين ـ لتمثل هذا الوجود بعالمه المرئى واشيائه المتباينة وامكانياته البصرية اللانهائية بكل ما تحمله من جدة الاكتشاف وغرابته بالنسبة



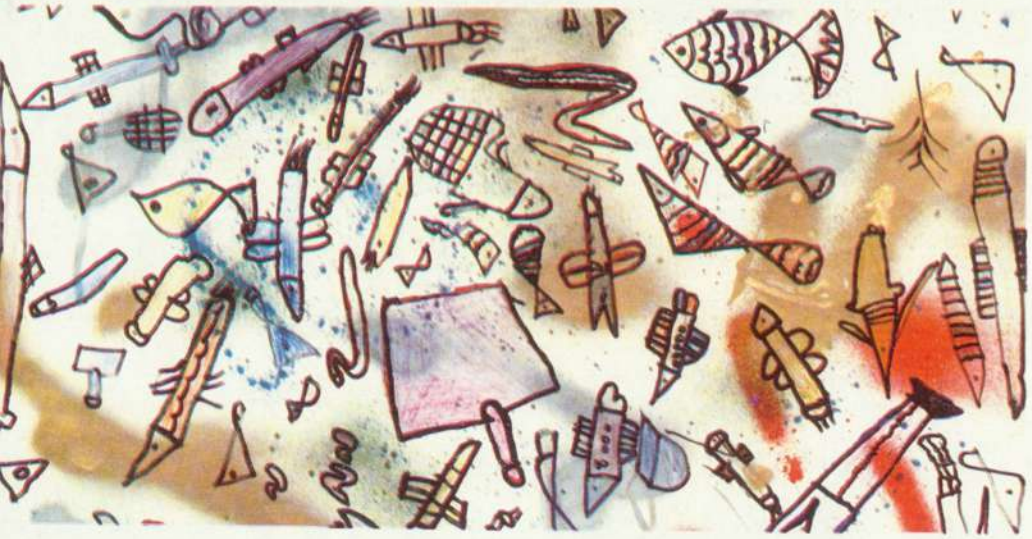
وجه : محمد حسن (١١ سنة)



المطافىء : جاسم أسد (١٣ سنة)



زخرفة منتظمة : فهد الدرويش (١٤ سنة)



اعماق البحر : محمد حسن (١١ سنة)

اليه ، ولذلك فهو يتلمس طريقه الفنى عبر هذا العالم المتحرك الموار بالغرابة الأولى .. بتلقائية تعبيرية تنفذ ـ لبساطتها وبكارتها ـ الى جوهر هذا العالم الشكلى ببراءة وصدق .

.. ولعل هذه الخاصية فى فنون الأطفال (بكارة الرؤية للعالم) هى التى جذبت اهتمام فنانين كبـار فحاولوا الاستفادة منها بوعى فى أعمالهم كجوان ميرو وبول كلى وغيرهم ، والطفل يلج الى هذا العالم لا من خلال قانونه الشكلى وإنما من خلال قانونه المعرفى ، فهو لا يرسم ما يراه بالضبط فى الشىء وإنما يرسم ما يعرفه عنه .. وكانت هذه الخاصية فى فن الطفل وراء تحطيمه الجريء لقواعد المنظور .

وفى الحالات القليلة التى يفلت فيها الطفل من نمط التعليم الفنى (التلقينى) الذى تاخذ به معظم مناهجنا ونظمنا فى التعليم حتى الآن ، والذى يرسم له حدود نموذج لا يخرج عنه بكل ما يعنيه هذا المنهج من قتل لمكناته الابداعية وقدراته الابتكارية الجذابة .. ويفسح له المجال للتعبير التلقائى والأداء الحر ـ كما يحدث الآن فى نادى الجسرة ـ يدهشنا الطفل برؤاه وفهمه الابتكارى المجدد للعالم ، وبذكاء وحساسية علاجه لموضوعه بكل أبعاده الخطية واللونية ، لأنه فى هذه الحالة لا يخضع لنموذج مهترىء ومعد سلفاً وإنما يعكس رؤيته الخاصة ، والخاصة جداً للعالم من حوله .. فتتدفق شحنات الادهاش والمتعة فى عمله التلقائى البكر .. ولا تختلف هذه الحقيقة فيما بعد إلا كنتيجة مباشرة للنمط التعليمى التلقينى الخاطىء الذى يئد ذكاء الأطفال الواعد فى سنيهم الأولى بتقديم الوصفات العقلية والمعرفية الجاهزة مما لا يدع هناك



تكوين تجريدى : طارق حسن ـ ١٦ سنة



المدينة فى رمضان : محمد شكرى (١٦ سنة)

تجربة فنية جديدة

الابتكار والأصالة والحس الصادق في لوحات أطفال نادي الجسرة



محمود ابراهيم شكرى



محمد شكرى



عيسى عبد الرحمن



حبيب اسماعيل

قريتنا : محمد شكرى (١٦ سنة)



ضرورة لتنشيط وتنمية ذكائهم الخاص .. فالمدرسة تضطلع عنهم بمهمة التفكير وحل المعضلات والوصول الى المعلومات وما عليهم إلا (الحفظ والصم) .. وليس ادل على بشاعة هذه الحقيقة من ميدان الفنون .. فالفرق هائل بين طفل اعطى الفرصة للتعبير التلقائى الحر عن نفسه بالرسم .. وبين آخر طلب منه ان يرسم كذا بالطريقة الفلانية .. ويراعى كيت وكيت .. فبينما تدهشنا فى الأول أصالته وجدته وابتكاره .. يفجعنا فى الثانى الاجهاز عليه فنياً فى حدود القالب الذى اعد له ولم يكن من وحيه وابتكاره . والاهمية الحقيقية للابتكار عند الطفل انه يقدم لنا رؤية جديدة بالفعل للشىء أو الأشياء التى الفنا رؤيتها بطريقة معينة وتقليدية ، وبدون أن يقصد ذلك فى الحقيقة .. لذلك فنحن قادرون على أن نرصد الخصائص التالية فى رسوم الأطفال المبتكرين .

ملامح الابتكار

وإذا أردنا تحديد ملامح الابتكار فى فن الطفل ، لانحصرت فى :

● الجدة والحداثة : ونعنى بها الرؤية الخاصة للعالم التى لا تنبع من الوعي القصدى به بقدر ما تنتج عن ادراك بدائى واصيل له .. فهو يصل بلا وعيه البكر الى ماقد يصل اليه الوعي المقصود عند الفنان الكبير .



خالد قربان



فهد الدرويش



عبد الرحمن قربان

● التفرد : وتاسيساً على عامل الجدة الآنف .. يتميز الطفل الموهوب فى أدائه الفنى عن طفل آخر فى مثل سنه ، فبرغم أننا قد نلمح فى رسوم الأطفال فى مرحلة سنية معينة خصائص متشابهة إلا أننا قادرون على أن نلمح سمات خاصة جداً بكل فنان صغير .. ربما يتمثل فى قاموسه اللونى .. فى طريقة تعامله مع خطوطه .. وزاوية رؤيته لموضوعه .. أو منهجه فى التكوين .. الخ .

● الأصالة : هى فى ابسط مدلولاتها .. ضد التقليد .. وهى تعنى أن الأفكار تنبعث من الطفل وتعبر عن طابعه وعن شخصيته ولا تفرض عليه فرضاً علوياً ، فالطفل الأصيل يفكر بنفسه ويستخدم حواسه وخبرته الشخصية المكتسبة من البيئة المحيطة .. فالأصالة هى الصفة الأولى المبرزة عند كل الشخصيات المبتكرة مهما كان ميدان الابتكار وخاصة عند الطفل الموهوب .

● الصلة بالطبيعة : وحينما يشاهد الطفل وهو منكب على الورق يخطط بلا وعي تخطيطات لا شبه لها فى الطبيعة العابرة .. ولكنها فى الحقيقة تنتمى لها انتماء جوهرياً نستطيع استنباطه بقليل من التامل الواعي .. نعجب نحن بهذه التخطيطات التى تبدو عشوائية للوهلة الأولى ولكننا نحس مابها من النظام الذى يشبه الى حد كبير الأنظمة التى نشاهدها فى عروق أوراق الشجر وفروع النباتات الرفيعة وفى أجنحة الفراش وسطوح أجسام بعض الحيوانات ، فنحن نعجب بتخطيطات الأطفال لأنها انعكاس فطرى لطبيعة الانسان وهو فى حالة متكاملة .

● الاندماج أو الادماج : حينما يريد الطفل أن يعبر مثلا عن فكرة «الافتراس» فانه يجمع صورته من مصادر مختلفة تكون قد مرت فى خبرته السابقة .. ربما رأى عينى القطة البراقتين فى الظلام واستمع الى مواءها وتألمها حينما هاجمها كلب ورأى تغير حجمها بشكل ظاهر استعداداً للدفاع عن نفسها .. ثم رأى فى حديقة الحيوان أسداً وهو يلتهم طعامه ويحدث زئيراً مثيراً .. أو شاهد الخروف فى العيد وهو يذبح وينقض عليه الجزار بكامل قوته واسلحته .. وربما رأى فيلماً سينمائياً يعرض لهجوم نمر على غزال .

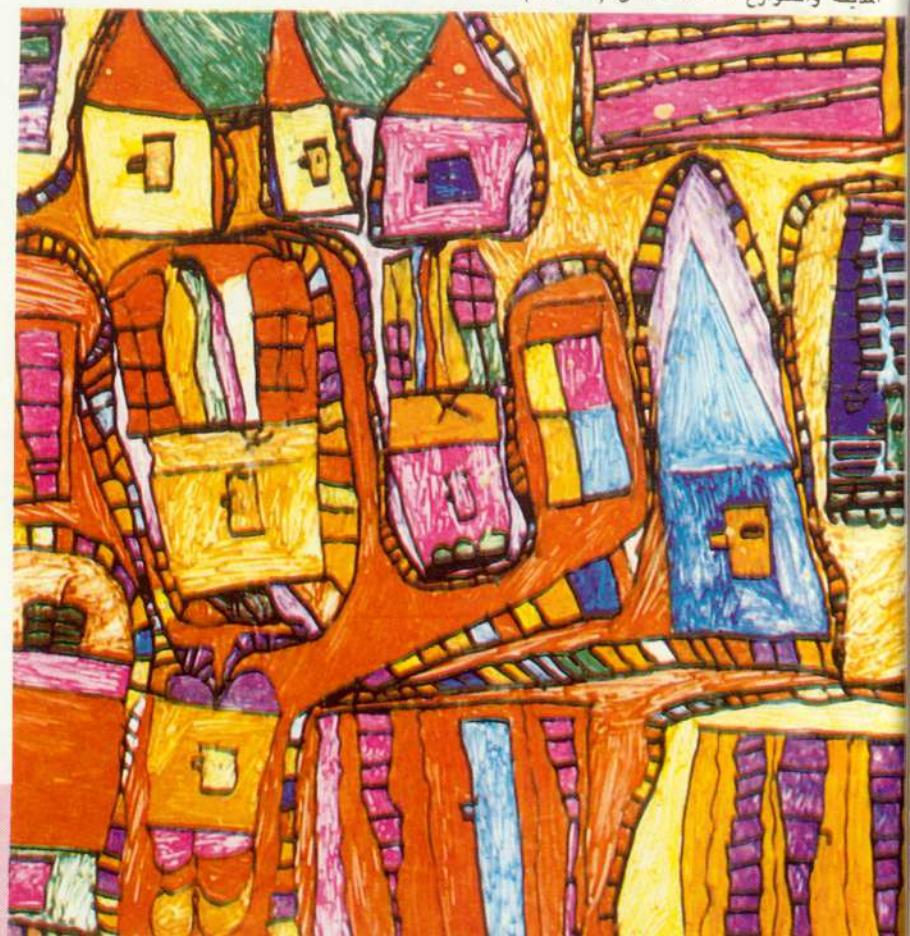
دور نادى الجسرة

.. هذه بعض سمات العمل الابتكارى فى فن الطفل .. والتى نستطيع أن نلمحها بسهولة فى الأعمال المصاحبة لهذا الموضوع من انتاج أطفال الجسرة .. ولعل ادراك القائمين بالأمر فى نادى الجسرة للحقائق السالفة كان وراء احتضانهم وعنايتهم بالأطفال الموهوبين ، وتوفير كل الامكانيات والظروف الملائمة لتفتح مواهبهم تفتحاً صحيحاً يمنحهم كامل الفرصة للنمو الحر والنضج الفعال بعيداً عن سطوة (النموذج) وجمود (المعيار) الذى يحكم الأداء الفنى للطفل عادة فى دروس الفن المدرسية .. وبدون شك فلقد ساعد على توفير هذا المناخ الملائم لابراز شخصيات الأطفال وفعالياتهم وتحقيق هذه النتائج الملفتة وجود رجل تربوى مستنير وذو أفق مفتوح على رأس النادى هو ناصر الدرويش الذى يشغل فى الوقت نفسه منصب مدير التربية الاجتماعية بوزارة التربية والتعليم ..

تحليل اللوحات

.. والآن .. ما هى عناصر التميز الفنى ومؤشرات الموهبة فى لوحات أطفال الجسرة

المدينة والشوارع : محمد حسن (١١ سنة)



الابتكار والأصالة والحس الصادق في لوحات أطفال نادي الجسرة

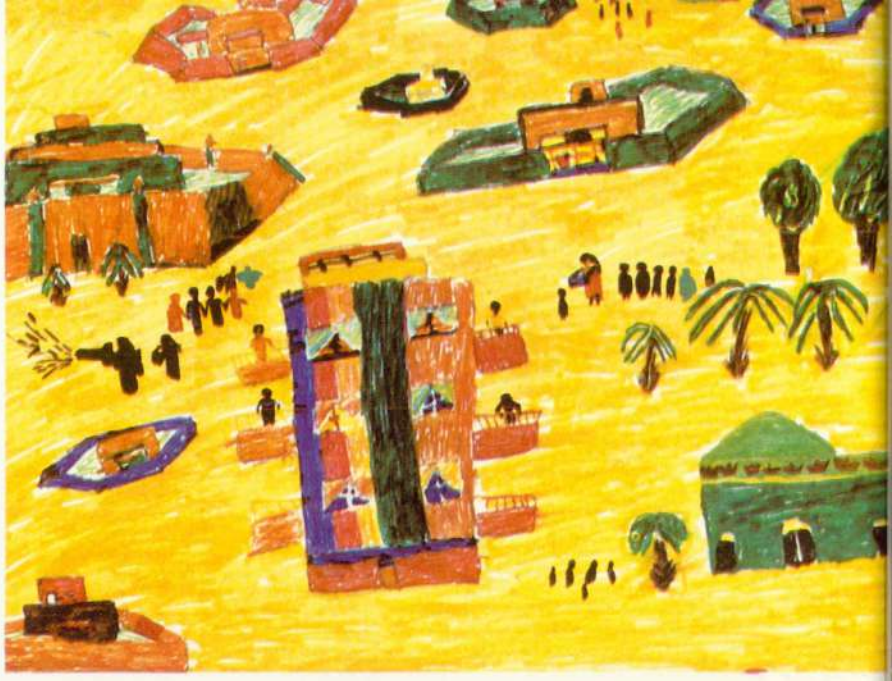


أعماق البحر : محمود شكرى (١٤ سنة)



زخرفة حرة : عبد الرحمن قربان (١٣ سنة)

.. لعل اول ملاحظة تفرض نفسها على الرائى .. هى التنوع اللافت فى اساليب الاداء بما يعكس تفرداً لاشك فيه فى الشخصية الفنية لكل منهم بما يعنيه ذلك من أصالة فى الرؤية وخصوصية فى التعبير وهما مناط الحكم على كل فنان متميز .. ففى موضوع واحد أعطى للاطفال جميعاً (كالقرية مثلا او المدينة) نلحظ التنوع الثرى فى اساليب الأداء لنفس الموضوع عند كل من محمد شكرى وخالد قربان ومحمد حسن وخميس ناصر .. فبينما ينحو محمد شكرى الى زخرفية لا تخفى فى تناوله لموضوعه ، يؤثر خالد قربان تناول نفس الموضوع تناولا هندسياً محكماً لا تغيب عنه ادق التفصيلات الصغيرة مع اهمال جميل لقواعد المنظور كما نالفها نحن الكبار ، فالمهم عنده هو الحضور الواضح لتلك العناصر المكونة للقرية او المدينة من بيوت وعلامات مرور واشجار (محملة بالثمار) .. الخ .. بينما نرى ان محمد شكرى اولى عناية نسبية للمنظور برغم أدائه الزخرفى الواضح .. واذا انتقلنا الى محمد حسن فسيدهشنا عدم التفاته لكلا المسالتين فى رؤيته لقريته أو مدينته ، فلا الزخرفة هى التى استولت على اهتمامه ولا الرؤية الهندسية المنضبطة ولا المنظور كاملا أو نسبياً .. ولكنه نحى منحى مختلفاً تماماً يكاد يكون تعبيرياً صرفاً (بالمعنى المصطلحى للمدرسة التعبيرية فى الفن) .. وإذ ببيوته أو قريته تتملزج وتندمج فى عجينة تشكيلية تنداح فيها الفوارق الواجبة بين ما هو شوارع .. وما هو منازل .. وما هو أسوار أو أبواب او نوافذ .. فى كتلة تشكيلية متضامة ومتداخلة وأسرة فى الوقت نفسه لا مكان فيها لفراغ من اى نوع بينما نلحظ عند خميس ناصر ـ ولازلنا وقوفاً عند نفس موضوع «القرية أو المدينة» ـ تسيد عنصر (الفراغ) فى تناوله .. والفراغ الصحراوى الأصفر بالتحديد .. بما يعكسه من رؤية لصيقة بالبيئة .. حتى ان البيوت لتتناثر على مسافات متباعدة هنا وهناك ، وكذلك الناس .. وكان الفراغ الأصفر الكبير ـ فى رؤية الطفل ـ اقوى حضوراً من كل محاولات البشر لملئه وشغله ببيوتهم أو بانفسهم ولقد اقتضى منه ذلك ـ على عكس رفاقه ـ عناية واضحة بالمنظور .. وبالبعيد والقريب ليؤكد احساسه ذاك بالفراغ الشاسع ويبلوره . وإذا انتقلنا للنظر الى موضوعين زخرفيين وهما لوحتا فهد الدرويش وعبد الرحمن قربان .. فسنلاحظ انه برغم اشتراكهما الواضح فى المنحى الزخرفى .. إلا ان عبد الرحمن قربان آثر ان يتحرر فى زخارفه من اى انضباط هندسى مسبق كما فعل فهد



الواحة : خميس ناصر (١٢ سنة)



طارق حسن



محمد حسن



خميس ناصر



جاسم أسد

الدرويش .. وانطلقت وحداته الزخرفية تجوس على مسطح اللوحة بحرية وتلقائية حتى لا تكاد تتماثل فيها وحدتان زخرفيتان .. بينما فضل فهد الدرويش أن تتالق زخارفه من خلال تصميم منتظم شديد القرب من تراث الزخرفة فى الفن الاسلامى .. وبرغم ذلك ظل لكل منهما حضوره وتميزه وجماله .

وإذا انتقلنا لموضوع (القناع) عند كل من جاسم أسد ومحمد حسن فسنلحظ على الفور عناية جاسم أسد بأن يبقى على العلاقات المنطقية لأجزاء الوجه من عيون .. وأنف .. وفم .. وذقن .. الخ ولا يقوم إلا بتحريفات جزئية لهذه الأجزاء بينما لم يعن محمد حسن بذلك على الاطلاق .. بل انه ليبدو وكانه لا يجد طريقه الى التعبير إلا من خلال تحطيم هذه العلاقات المنطقية عينها بين أجزاء الوجه .. وهو بذلك يواصل منحاه (التعبيرى) كما فعل من قبل فى موضوع (القرية أو المدينة) .. هو غير مهتم بالتفاصيل بالمرة بل بالرؤية الكلية الدالة لموضوعه ولو على حساب التفاصيل.

وتتاكد هذه الملاحظات بالنسبة لمحمد حسن فى موضوع ثالث (فى أعماق البحر) بمقارنته مع زميل له هو محمود شكري تناول نفس الموضـــوع ، فبينما اهتم محمود شكري اهتماماً واضحاً بالعنصر الزخرفى لموضوعه حتى انه لم يمنح اثنتين من سمكاته نفس الزخرفة .. بل حرص تماماً على تنويع شكل هذه الزخرفة من سمكة لاخرى ، نجد ان محمد حسن لم يلتفت الى ذلك إطلاقاً ، ولم يعن البتة بزخرفة اية سمكة أو مخلوق بحري ، بل واصل منهجه فى التعبير الكلي عن موضوعه بلا عناية باية تفصيلات ، وقدم لنا فى النهاية هذه الرؤية التى لا ارى كبير فارق بينها وبين أداء فنان عالمى كبير كبول كلى مثلا .. كل الفارق ان الطفل يصل بمخزونه البكر والتلقائي فى الرؤية المباشرة للعالم ، الى ما يقترب من ذلك الذي يصل اليه الفنان الكبير بكل وعيه وتقنيته ومهارته الحرفية ورؤيته المركبة لنفس العالم .

وفى لوحة حبيب اسماعيل ـ وهو فتى بارع براعة ملحوظة فى كتابة الخط العربي ـ تم لفت نظره ـ وربما لأول مرة ـ الى امكانية التعامل مع خطوطه الحسنة هذه تعاملا فنياً لا يقتصر على النظر الى هذه الخطوط باعتبار ما تؤديه من معنى فى حالة تراصـــفها هذا التراصف الجميل (المكرور) فى نطاق عبارة محددة فحسب .. وانما الى الامكانية المضمرة فى هذه الحروف المكتوبة بخط حسن لصنع تكوين فنى ناجح بغض النظر عن أن يكون ذلك فى نطاق عبارات مفهومة كما تعود طويلا .. وبذلك انتقل من تصوره للحرف فى حدود أدائه لمعنى (ومن ثم تظل قدرته محصورة فى حدود العبارة المطلوب منه صياغتها) .. الى تصور الحرف باعتباره عنصراً تشكيلياً قادراً على خلق تكوين فني ناجح بالمعنى البلاستيكى حتى ولو لم يؤد اي معنى فى النهاية .. وإذ بالفتى بعد وعى هذه الحقيقة الجديدة .. يدهشنا بلوحته تلك التى تضعه على أول طريق أراه جـــديراً بأن يضمه مستقبلا الى فنانينا الكبار الذين تعاملوا مع الخط العربى باعتباره معطى تشكيليا مؤهلا لخلق عوالم فنية بالغة الجدة لا مجرد معطى دلالياً يقبع فى حدود اللغة ، ولعل من الواجب أن نذكر هنـــا فناناً قطرياً قطع شوطاً كبيراً فى هذا المجال هو الفنان يوسف أحمد .

ولا يخلو الأمر فى حالة فنانينا الصغار من واحد أو اكثر ينحو منحى تجريدياً ما كطارق مفتاح .. الذي برغم ما نلحظه فى لوحته من أداء يقترب من الزخرفة الى حد كبير ، الا انه ايضاً يعكس حساً تجريدياً وصل اليه الفتى بتلقائية وعفوية .. ففرق كبير بين أن يدفع الطفل دفعاً الى الأداء التجريدي مجاراة لاتجاهات سائدة أو استسهالا كما يتصور البعض .. وان ينبع هذا الميل نبوعاً أصيلا من حس الطفل ورؤيته ، ولاباس من تنميته بعدئذ فى اتجاه صحيح لا يعتسف شيئاً على حساب خيال الطفل ونزوعه الحر .

كلمة أخيرة

يبقى أن نؤكد على أن هذه التجربة فى نادي الجسرة تدل دلالة قاطعة على أن البلاد مليئة باطفالنا الموهوبين فى المدارس والأندية وكل مكان ، كل ما يحتاجه الأمر هو كشف النقاب عنهم ، واتاحة الفرص الصحيحة والصحية لهم لكي تتفتح مواهبهم فى مناخ موات وملائم ، فهم عدتنا للمستقبل ، وقد تتمخض السنوات القليلة المقبلة عن فنانين كبار يقبعون داخلهم وينتظرون فحسب أن نؤدي واجبنا جميعاً نحوهم ..

ماجد يوسف

بيت العنكبوت

قصة بقلم: نورة آل سعد

بريشة: سلمان المالكي

كان الظلام يغشى صالة المسرح .. ولم يكن للحضور وجوه . وكان الصمت مستبداً .. ولم يكن للحضور وجود . دخل شبحان يتخبطان بين المقاعد.كانا زوجا وزوجة.وعلى ضوء بقعة صغيرة صادرة عن مصباح صغير استدلا على مقعدين فجلسا . حاولت الزوجة ان تتبين المكان من حولها فشعرت انها تسبح في العدم.

على الخشبة كانت الأنوار خافتة جداً وكان هناك شخصان يتخبطان .. زوج وزوجة . بدأت الأضواء تنير المسرح تدريجياً وانعكست الأضواء على الحضور فسرت بلبلة خفيفة .

تركزت انظار الزوجة على الممثلة .. لاحظت في البدء صوتها الرقيق .. اقرب ما يكون للرجفة.ثم لاحظت انها نحيلة تشبه عود القصب وتلبس ثياباً غامقة اللون لكنها لا تخلو من اناقة متحفظة وقد شدت شعرها المتموج الى الخلف ثم قصعته في كومة كبيرة .. وبينما هي تتحرك على الخشبة والأضواء الشاحبة تلتقي على صفحة وجهها المحزون القى في روع مراقبتها شعور فائق بان هذه السيدة ذات الوجه المصوص .. رقيقة وفي غاية الدماثة .

تحركت السيدة نحو رجل في وسط الخشبة كان يجلس على كرسي متحرك ووجهه بادي القسوة ولم يكن ينظر اليها حين تكلمه . قالت له في صوت عصبي :

اهكذا ؟ تعبث بك رياح الشك فتصدق كل ما تقذف به الجوارير النتنة التي تطفح بما تمتلىء به .

اقتربت منه اكثر وبصوت مبحوح قالت : انا ..

وصرخ الرجل متظاهراً بالغضب وقد قبض بكلتا يديه على مقعده لئلا تكتشف ارتعاشتهما :

ـ لا مزيد .. ارحلي عن هذا البيت . وتبعثر نحيبها وهي تهرب راكضة

ارتجفت الزوجة كورقة يابسة تذروها رياح الخريف .. الا ان الوقت كان صيفا .. التصقت بزوجها. ارادت ان تذيب بحرارة جسده الدماء التي تجمدت في عروقها لكنه تململ بعيداً عنها همست :

ـ احمد .. احمد

نظر اليها متسائلا :

ـ ما بالك ؟

ارادت أن تساله شيئاً .. لكن لم تعرف ما هو . أتساله ان يعودا .. لا .. شيء ما يسمرها هاهنا . الى هذا الكرسي .. وامام هذه السيدة ذات الوجه المصوص . مازال هو ينظر اليها نظرة فقدت الصبر . قال :

ـ ماذا يا شيخة ؟ .. اليس هذا ما اردتيه



الم اصرف الرفاق الليلة ؟ واخذنا الأولاد الى بيت جدهم .. وجئنا الى هنا .. اليس هذا ما كنا نتجادل بشانه طوال الاسبوع الماضي

وانبعثت اصوات من خلفهما .. هس .. هس..ثم نظرات غاضبة لا تخلو من وقاحة .. لكن شيخة لم تسمعها فقد غابت في اشياء أخرى .

طرقات عنيفة . انتفضت بقوة . امسكت ساعد زوجها بحركة لاشعورية .. وارتخت عضلاتها حين وجدته بجانبها .. ودت لوتدفن راسها في صدره وتختبىء .

توالت الطرقات ذاتها على الخشبة وراتها .. رات تلك السيدة جالسة قرب امراة اكبر منها وكانت تتحدث بهدوء وتبدو متجلدة لكنها كانت مرهقة فقط، وفي الجانب الآخر للمسرح كان الرجل المقعد يدق الباب بكلتا يديه ويئن كحيوان .

ارادت زوجته أن تهرع اليه لكنها هربت الى الجهة الاخرى والتقطت الدموع من ماقيها قبل أن تهطل،حينئذ نهضت المراة المسنة ومدت يدها نحوه كانها تلفت انتباهه اليها . قالت :

ـ لا أسالك باسم الثقة العمياء بل باسم السنوات التي قضتها ابنتي بجانبك لحظة بلحظة .

وهدأت قليلا ثم تابعت :

ـ الشكوك ياسيدي لا تخلق من الفراغ ولا تخرج كالنباتات الشيطانية فجاة . لا . انها تكمن هنا .. في اقصى القلب وتنمو في الاحشاء ببطء وتتفرع في انحاء الجسد كالسرطان .. وعندما تعلن عن نفسها نعتقد انها البداية .. لكنها تكون النهاية ايضاً .

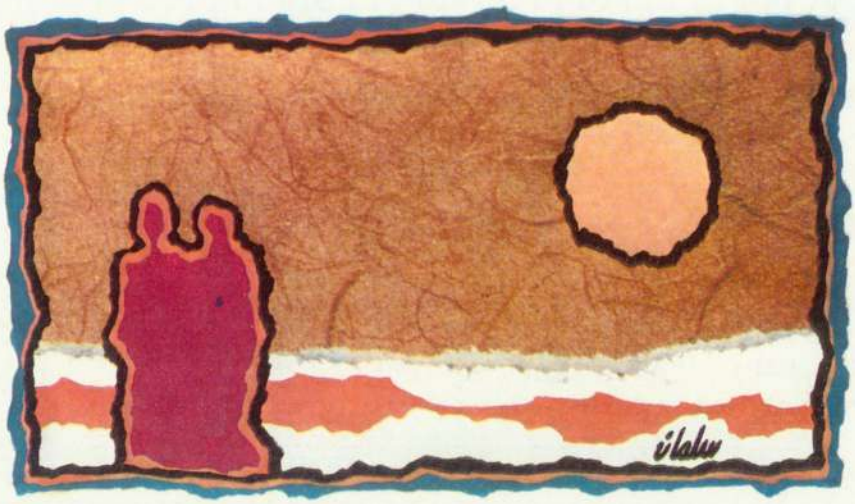
ونظرت الى ابنتها في جهة وصهرها في الجهة الأخرى وقالت :

ـ هذا الذي يخالطه الشك في فضيلة الآخرين هل يكون فاضلا في دخيلة نفسه ؟

وانفجر كل شيء امام شيخة . كانت تنتظر زوجها بقلق .. لقد تاخر عن الغداء ولم تكن تلك المرة الأولى . وبينما اذان العصر يهدهد الأسماع دخل واتجه من فوره الى غرفة النوم . سالته :

ـ لماذا تاخرت ؟ .

نعم انها تتذكر ما حدث في ذلك العصر الكئيب منذ اربع سنوات وكانه الآن ماثل امامها . تذكر أن ثوبه كان متسخاً ومبللا وتفوح منه رائحة ذكرتها برائحة السمك .. هذه الرائحة تكاد تخنقها الآن .. و .. وتذكر انه اخذ المنشفة ودخل دورة المياه ولم



يتفوه بكلمة واحدة . وما ان خرج من دورة المياه حتى ارتمت عليه :

ـ احمد .. مابك ؟ لابد أن اعرف .

وقال لها . قال كل شيء دفعة واحدة .. هكذا .. وهو مبلل .. لزج .. مشعث الشعر زائغ العينين . انها تذكر جيداً ان رائحة السمك الملتصقة به كادت تودي بها الى الاغماء لكنها تمسكت بطرف السرير وقالت بسخرية مرة :

ـ هكذا إذن .. تنطوي على نفسك فجاة .. تتحاشى البيت .. وابنك .. تتحاشاني انا تدخل وتخرج متجهماً .. بلا تفسير .. بلا سبب بلا كلمة واحدة .. فقط هذه النظرات التي تلهبني بسياطها .. والآن تقول لي اذهبي الى أهلك .. خذي حاجياتك .. ابني ستاخذه مني عندما يبلغ السن القانونية .. النفقة ستقذفها في وجهي .. وحقوقي .. اه .. تتكلم عن حقوقي وانت تطردني من بيتي لأن الناس قالوا لك انك لا تعرف زوجتك .

وايقظها من كابوسها صوت زوجها بجانبها . قال في شرود :

ـ مسكينة .. هؤلاء الجارات السليطات تسلقنها بالسنتهن الحادة .. ماذا ستفعل الآن ؟

قالت له في ذهول :

ـ وماذا يمكن ان تفعل ؟

وانتظرت .. لكنه لم يجب . وفكرت (: ـ لا شيء ليس باستطاعتها أن تفعل شيئاً . فقط تستطيع ان تصلي لكي تتغير الرياح فلا تغرق سفينتها . فقط تستطيع أن تسعد بكلمة « آسف » من زوجها و « من اين لي أن أعرف ؟ » وان تحتفظ بالشرخ خبيئاً في داخلها وان تطلق للريح ساقيها)

عندما انيرت الصالة اغمضت عينيها في ضيق .. كانت عيناها متورمتين من البكاء . وتمطى زوجها واقفاً وعلق وهو ينظر الى عينيها :

ـ نعم . انها حقاً قصة مؤثرة .

بعد ان تجاوزا الازدحام اتخذا سبيلهما نحو السيارة التي كانت في آخر الشارع . أحست بنسائم الليل المنعشة تخترق مسامها ، ونظرت الى السماء المرصعة بنجوم تتوهج في صفاء ، والتقطت أسماعها أصواتاً مختلفة .. احاديث . زمامير . صياح السائقين.ولم تتمالك نفسها قالت :

ياالهي .الم اقل لك انها ليلة حلوة ؟ .. يجب أن نسهر معاً مراراً .

ـ نعم .. عندما تسنح الظروف .

ولفتت انتباهه تلك الممثلة ذات الوجه المصوص قال :

ـ هاهي ذي جارتنا . لكثرة ما اسمع منك ومن الجيران عن سيرتها الـ .... اتمنى لو كان بامكاني الا اقول عنها جارتنا . اما زوجها .. فهو .. ماذا اقول عنه .. رجل طيب

قال العبارة الاخيرة وابتسامة ذات مغزى تصافح شفتيه . ونظرت هي بدورها صوبها .. هذه المرة راتها تلبس ثوباً عادياً وشعرها قصير مسدل على كتفها وقد وضعت يدها على خاصرتها واستغرقت في الحديث .. حولت نظراتها عنها الى داخل السيارة . قالت :

ـ بامكانك الا تقول ذلك بعد الآن .

ـ كيف ؟

ـ الم تسمع . لقد طلقها زوجها .

واضافت بعد تثاؤب :

ـ اتظن أن الأولاد قد ناموا الآن ؟ ...

أخطاء لغويّة معاصرة

الدكتور عبدالله العبادي
جامعة قطر

كتبت فى مجلة «الدوحة» العدد ٨٥ عن بعض الأخطاء اللغوية المعاصرة واعود مرة اخرى لانبه القراء ، والكتاب الكرام لبعض الاخطاء اللغوية المعاصرة ، والسارية حالياً على الالسن والاقلام . فمن ذلك :

كفيفون :

ويجمعون كذلك كفيف البصر على «أكْفِياء» ، و «مكافيفُ» و «كَفَيْفُون» فيقولون مثلا : اجتمع كفيفو البصر فى مكانٍ واحد ، والصواب جمع «كفيف» على «أكِفّاء» لانها صيغة مضاعفة اتت على وزن (فعيل) مثل عزيز : اعِزّاء ، وذليل : اذِلّاء ، وعفيف : اعِفّاء ، وخليل : اخِلّاء قال تعالى (الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) الزخرف ٦٧ .

اما «مكفوف» وهو فاقد البصر ايضا فيجمع على «مكافيف» اما «الأكفياء» فهو جمع لكفيّ على وزن «فَعِيْل» اصله كَفِيْيٌ ثم ادغمت الياء فى الياء كنبي : انبياء وصفي : اصفياء : وتقي : اتقياء ..

بواسل :

وكثيراً ما نسمع من الاذاعات ونقرا فى الصحف . وقد قام الجنود «البواسل» بواجبم خير قيام ، ويقصدون بذلك جمع « باسل » وهو الرجل الشجاع ، والصحيح لجمع «باسل» «بسل» و «بسلاء» ذلك ان الجمع على «فواعل» من صفات المذكر العاقل لم تات إلا فى ثلاث كلمات : هى هالك ، وفارس ، وناكس ، فتصبح هوالك وفوارس ونواكس ، اما بواسل فهو جمع لباسلة ، وقد اجاز بعضهم ذلك اى جمع باسل على بواسل ، لانه قد وجد فى العربية غير ما ذكر : كسابق وسوابق ، وسابح وسوابح وحاسر وحواسر ، وعاجز وعواجز . ولكن الافضل كما ذكرنا .

أكْفِياء :

ونجد اكثر الكتاب المعاصرين يجمعون «كفء» بمعنى (متمكن من عمله) على أكْفِياء ، او إكفّاء فيقولون مثلا : رجال أكْفِياء او أكِفّاء فى اعمالهم ، والصواب «أكْفَاء» بسكون الكاف كبرء وابراء ، وجزء واجزاء ، وقرء واقراء ، لان الهمزة ليس اصلها باء حتى تقلب الى ياء .

بؤساء :

ومن الاخطاء الشائعة قولهم «انشات الجمعية داراً تضم «البؤساء» والفقراء والمساكين» ويقصدون مفرده «البائس» اى المحتاج ومنه قوله تعالى (فكلوا منها واطعموا البائس الفقير) ٢٨ الحج .

والصواب لجمع البائس «بُؤْس» على وزن «فُعْل» إذا كان جمع تكسير قال الشاعر :

قد ضقت من حبها ما لا يضيقنى
حتى عددت من البؤس المساكين

او يجمع على جمع مذكر سالم فيقال «بائسون» فى حالة الرفع «وبائسين» فى حالة النصب والجر .

اما «بؤساء» فهو جمع «بئيس» وهو الرجل الشديد القوى ، ماخوذ من الباس ، وهو القوة والشدة ، قال تعالى (قالوا نحن اولوا قوة واولوا باس شديد) النحل ٢٣ وجاء على صيغة «فَعِيْل» فى قوله تعالى (واخذنا الذين ظلموا بعذاب بَئِيْس بما كانوا يفسقون) الاعراف ١٦٥ و «فَعِيْل» إذا جاء وصفا لمذكر عاقل جمع على «فُعَلاء» ككريم وكرماء ولئيم ولؤماء ، وسقيم سقماء.

مُهَاب :

ويقولون كان رجلا مهابا (اى يهابه الناس) والصواب كان رجلا مَهيباً من هابه يهابه من باب (علم يعلم) اصلها «مَهْيوب» على وزن «مَفْعول» تحركت الياء وما قبلها حرف صحيح ساكن ، فنقلت الحركة الى الهاء فالتقى ساكنان الياء والواو ، فحذفت الواو فصارت «مَهُيْب» ثم كسر ما قبل الياء ، لان الياء يناسبها كسر ما قبلها فصار «مَهْيب» على وزن «مَفْعل» وهو هائب وَهُيوب وهَيُوْبَة ، وهَيّاب وهَيّب وهَيْبان وهَيّابه يخاف الناس (جبان) .

اما الذى يخافه الناس ويهابونه فهو مَهُوب ومَهِيب وهَيُوب .



قلق الانتظار

شعر: فتحية عجلان
البحرين



انتظر الموعد ،
قلبى يهذى
ويغنى
ويدندن بالموت القابع خلف ضلوعى
هل تامرنى أن اقصى الناس عن الطرقات لكى تاتى
لاخبىء جلدى طفل عيونى فى عينيك ؟؟
اشياؤك عندى سائلة
هل تدرى موعدك الآتى جاء كصوت الريح ؟
اهتزت اجزاء فؤادى
يا موعده القزحى ترجل خلسه
يا موعده القزحى ترجل
عانق باقة قلبى ،
كان حصانك يكوى بالنار
اتيت ولم تات
اندس هروباً ما بين عيونك والجفن
ارى غابات النور الوردية ،
يكتظ فؤادى عرقاً من وجهك يحلم بالعرس
فادفن فى عافيتى اموات الحب
تهرب من وجهى احلام نارية
فى الليل اداس
تركلنى الخيل هنا وهناك
الليل المجنون الوجنات يخابرنى
انك تنوى الهجر ولن تاتى قسراً
فانا لم انضج كالتفاح
وانا لن اسقط كالتفاح
على عتبات السوق تغربت
ادرت عيونى
من يدخل بؤرة عينى ، يشرينى حلماً
واقفة ابقى
واقفة
اطلع فى نسغ الافراح .

في العدد الماضي ناقش الكاتب بعض قضايا النظام الاقتصادي في الاسلام مثل العدالة الاجتماعية والزكاة ونظام التملك وفي هذا القسم الثاني والأخير من البحث يواصل مناقشة النظام الاقتصادي الاسلامي في عدد آخر من قضاياه :

حقيقة موقف الإسلام من الرِّق والرِّبا

النظام الاقتصادي في الإسلام

بقلم: الدكتور السيد محمد بدوي

ملكية الأرض :

يعتبر الاسلام أن الأرض في الاصل ملك لله ولا يملكها احد إلا بتوريثه تعالى : « ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » (سورة الأعراف : ١٢٧) وفي الحديث الشريف : « الأرض أرض الله ، والعباد عباد الله » .

ان الملكية الخاصة صفة متممة لحرية الفرد ، أو وضع ضروري لتحقيق حريته ، وهي ايضاً عون على الدين . كما أن اتاحة الملكية الخاصة تعليم للانسان لحمل المسئولية واختيار وجوهها . لذلك شجع الاسلام على الملكية الخاصة للأرض عن طريق الاقطاع و الاحياء .

واقطاع الأرض هو اعطاؤها وتمليكها لمن صلح لذلك . أما الاحياء فهو مباشرة موات الأرض ، أي التي لم يجر عليها ملك أحد بتأثير شيء فيها من أحاطة ، أو زرع ، أو عمارة ونحو ذلك . فالاسلام يملكها لمن يحييها ، إذ في الحديث الشريف : « من أعمر أرضاً ليست لأحد فهو أحق بها » .

ومجمل القول أن الاسلام لا يحرم ملكية الأرض ، ولكنه يسمح بها في حدود بواسطة إحياء الأرض الميتة او بواسطة زرع الأرض الزراعية . والشرط الاساسي في جميع تلك الطرق هو «العمل» . فان اهمل المقطوع عليه أرضه المملوكة ، او تغاضى محيي الأرض الميتة عنها بعد إحيائها ، او لم يزرع الأرض مالكها ، تتاح له حينئذ فرصة ثلاث سنين ، فان لم ينتهز الفرصة ، ولم يقم بعمل فيها في تلك المدة ، تؤخذ وتوزع على غيره ممن يستطيع القيام باعمالها من المسلمين .

طرق تنمية الملكية :

يتدخل التشريع الاسلامي ايضاً في طريقة تنمية المال ، والتعامل به . فلكل فرد الحرية في تنمية أمواله ، لكن في الحدود المشروعة ؛ له ان يفلح الأرض ، وان يحول المواد الخام الى مصنوعات ، وله أن يتجر الخ ... ولكن ليس له ان يغش ، او يحتكر ضروريات الناس ، أو أن يعطي أمواله بالربا ، أو أن يظلم في أجور العمال ليزيد من أرباحه . والاسلام يحرم كذلك حبس المال عن التداول والانفاق لأن حبسه تعطيل لوظيفته . والجماعة في حاجة الى تداول أموالها لتنمي الحياة في شتى مظاهرها وتضمن الانتاج في أوسع ميادينه وتهيىء للعاملين وسائل العمل ، وللانسانية طريق النشاط . وحبس المال يعطل هذا كله ، فهو حرام ، في نظر الاسلام لما فيه من تعطيل للصالح العام .

الاسلام ونظام الرق :

كل انسان له في الاسلام قدسية الانسان وللجنس البشري كله كرامته التي لا يجوز أن تستذل إذ يقول القرآن : « ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات ، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » . (سورة الاسراء : ٧٠) . ومعنى هذه الآية الكريمة أن الله قد كرم بني آدم بجنسهم ، لا باشخاصهم ولا بعناصرهم ولا بقبائلهم . فالكرامة للجميع على سبيل المساواة المطلقة . للناس جميعاً كرامتهم التي لا يجوز أن ينال منها أحد ، وللناس جميعاً حرماتهم التي لا يجوز أن ينتهكها الآخرون

هذه الكرامة هي سياج من الحصانة ينشره قانون الاسلام على كل فرد من البشر يصونون به دمه أن يسفك ، وماله أن يغتصب ، وعرضه أن ينتهك ، ومسكنه أن يقتحم ، ونسبه أن يبدل ، ووطنه أن يخرج منه ، وضميره أن يتحكم فيه قسراً ، وتعطل حريته خداعاً ومكراً .

وبهذه الكرامة يحمي الاسلام اعداءه ، كما يحمي أبناءه وأولياءه . نعم انه يحمي أعداءه فيحول دون قتالهم إلا اذا بدأوا بالعدوان ، ويحميهم في ميادين القتال نفسه ، إذ يؤمنهم من النهب والسلب والغدر والاغتيال .. هذه الكرامة التي كرم الله بها الانسانية في كل فرد من أفرادها ، والتي جعلها الاسلام درعاً واقياً يدرأ به عن الانسانية نزوات الطغاة والجبارين ، هل أشعر الاسلام بها الضعفاء والمستضعفين ؟ لقد شكك بعضهم في هذا الأمر حين تساءلوا : لماذا لم يبت الاسلام ، بشكل قاطع في الغاء الرق ؟

ما من شك في أن الاسترقاق اهدار لكرامة الانسانية ،فكيف يوافق عليه ويقره الاسلام الذي أعلن كرامة الانسان ؟

ان الذين يلصقون هذا الاتهام بالاسلام قوم يشهد تاريخهم بأنهم هم الذين أنشأوا الرق أبيضه وأسوده وانهم جاوزوا فيه الحدود ، ولم يكفهم استرقاق الأفراد

فعمدوا الى استرقاق الأمم والشعوب . ومازلنا نشهد حتى اليوم فى بعض البلاد التي تسود فيها التفرقة العنصرية ، أن الزنجي يحرم عليه الزواج بالبيضاء ، بل يحرم عليه ارتياد الأماكن التي يرتادها البيض ، والجلوس بجانبهم في المركبات العامة .

ولقد كانت الشرائع والقوانين القديمة تفتح باب الرق على مصراعيه : فكان جزاء القاتل أن يكون عبداً لولي الدم ، وكان المدين الذي يعجز عن وفاء دينه ينقلب مملوكاً لدائنه . وكان السلطان المطلق المخول لرب الأسرة على أعضائها يبيح له أن يقتل منهم من يشاء ، وكان نير العبودية متى وضع على عنق فلا فكاك لها منه أبد الدهر ، الا أن يتفضل السيد بفكها بمحض ارادته .

هكذا كانت أوضاع المجتمع قبل ظهور الاسلام . فلما جاء الاسلام أعلنها حرباً شعواء على هذه الأوضاع كلها لأنها لا تتفق مع مبادئه في الحرية وارساء قواعد المساواة والعدالة . ولكنه وفقاً لسياسته الحكيمة في تغيير النظم الفاسدة ، لم يشأ أن يبطل الرق بجرة قلم . بل سار في الغائه تدريجياً كما فعل في تحريمه للخمر وتحريمه للربا . ذلك لأن النظم والعادات المتأصلة في بنية المجتمع ، قد يصعب استئصالها دفعة واحدة أو تبديلها من النقيض الى النقيض .

لقد كانت سوق الرقيق رائجة في جميع المجتمعات ، ومنها المجتمع العربى ، وكان الحريق أعظم من أن تطفئه نفخة واحدة ، والداء أوسع من أن يعالج بجرعة واحدة من الدواء .

فما كان من الاسلام الا أن ضرب نطاقاً حول النار حتى لا يتسع لهيبها ، وفتح أبواباً لينطلق منها كل من استطاع النجاة من داخل هذا النطاق .

فأما النطاق الذى ضربه الاسلام حول الرق ، فهو ذلك القانون الذي منع به استرقاق الاحرار وأمنهم منه بعد أن كانوا مهددين به من كل جانب . ولم يعد البيع ولا الشراء ، ولا التغلب في المشاجرات والغارات ، ولا تحكم رب الأسرة ولا العجز عن وفاء الدين ، ولا السرقة ولا القتل ، لم يعد شيء من ذلك كله ، منذ ظهر الاسلام ، يصلح مبرراً لاستعباد الانسان .

وقد يقال ان الاسلام قد ترك باباً للاسترقاق لم يغلقه ، ونعنى به أسرى الحرب كأرقاء فى الحرب الاسلامية المشروعة ، وهى التى يعتدى فيها الكفار على بلاد الاسلام . ولكن حتى فى مثل هذه الحالات فان الاسلام لم يلجأ الى استرقاق الاسرى الا نزولا على حكم الضرورة ، واتقاء لخطرهم ، وكسراً لشوكتهم وشوكة قومهم . ولم يجعل هذا الاسترقاق مصيرهم النهائى ، بل اتخذه اجراء مؤقتاً حتى تتاح الفرصة لتحريرهم .

أما عن الوسائل التى أعدها الاسلام لمكافحة الرق ، وأعنى بها تلك الأبواب الواسعة الكثيرة التى فتحها الاسلام لاخراج الأرقاء الى فضاء الحرية ، فأولها حث المؤمنين على عتق الرقاب وترغيبهم فيه بمختلف الوسائل « فلا اقتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة » .

وثانى هذه الأبواب جعل مقدار من الصدقات لافتداء الأسرى ، وتحرير المستعبدين : « انما الصدقات للفقراء والمساكين ... وفى الرقاب » .

وثالثها قانون الكفارات ، وهو القانون الذى يجعل عتق الرقاب فريضة لازمة لمحو خطيئة من الخطايا ، وغير ذلك . بل ان الاساءة التى تقع من السيد فى حق العبد نفسه تكون كفارتها عتقه ، وفى ذلك يقول الرسول : «من لطم مملوكه أو ضربه فكفارته أن يعتقه . »

أما الأرقاء الذين ظلوا على حالهم لسبب أو آخر ، فقد عاملهم الاسلام معاملة انسانية وكان يحاول ادماجهم فى مجتمع الأحرار بكل وسيلة ممكنة . فزوج الرسول ابنة عمته « زينب بنت جحش » ، سليلة قريش الهاشمية من مولاه « زيد » والزواج مسالة حساسة ترتفع فيها قضية المساواة الى افق دونه كل أفق .

ويروى عن عمر بن الخطاب انه مر يوماً بمكة فرأى الخدم وقوفاً لا يأكلون مع سادتهم ، فغضب وقال لسادتهم مستنكراً : ما لقوم يستأثرون على خدامهم ؟ ثم دعا الخدم للأكل مع السادة فى وعاء واحد .

وكان المجال مفتوحاً أمام الموالى ليبلغوا أقصى مراتب المجد فى كل اتجاه : فبعث الرسول « زيداً » مولاه قائداً فى غزوة من الغزوات ، ثم بابنه « أسامة » قائداً لغزو الروم فى جيش يضم كثرة من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وفيهم عمر. وبعد ذلك نرى عمر بن الخطاب يولى عمار بن ياسر على الكوفة ، وهو أحد الموالى .وفى مصر تولى الفتى « يزيد بن أبى حبيب » فى أيام عمر بن عبد العزيز ، وهو مولى أسود من دنقلة .

وهكذا نرى أن الاسلام قد عمل بكل الوسائل على تصفية نظام الرق ، وشمل الأرقاء بعطف سابغ ، ورعاية كاملة حتى يتم تحريرهم ، وحث المؤمنين على عتق الرقاب اكتساباً للثواب والمغفرة .

موقف الاسلام من التعامل بالربا :

كان العرب فى الجاهلية يتبعون أهواءهم ونزعاتهم المادية فى أكثر عباداتهم ومعاملاتهم . وكان من ذلك تعاملهم بالربا بدون قيد ولا عرف ولا تشريع . ولعل مرد هذا أولا : الى نزعة الاستكثار ، وحب الكسب التى تنمو عادة فى البيئات التى تزدهر فيها التجارة ، كما هو الحال فى مكة وثانياً : الى علاقتهم المستمرة باليهود ، الذين هم جيرانهم وابناء عمومتهم .

ولعلنا نعجب أن تكون مجاورتهم لشعب ذى شريعة سماوية تحرم الربا سبباً فى تشجيعهم على التعامل به . ولكن الذى يزيل هذا العجب ، أن هذه الديانة نفسها ـ حسبما ورد فى كتب أهلها ـ تبيح الربا كما تحرمه ـ فنقرأ فى العهد القديم أو التوراة « اذا أقرضت مالا لأحد من ابناء شعبى ... فلا تقف منه موقف الدائن لا تطلب منه ربحاً لمالك » (الآية ٢٥ من الفصل ٢٢ من سفر الخروج) وفى موضع آخر : « اذا أفتقر أخوك فأحمله ، لا تطلب منه ربحاً ولا منفعة » (الآية ٣٥ من الفصل ٢٥ من سفر اللاويين) . ولكننا بكل أسف ، نجد فيها نصاً آخر يقيد فيها هذا التحريم ، ويجعله خاصاً بالشعب العبرانى ، بحيث يسوغ لليهودى أن يأخذ الربا من غير اليهودى . ففى (الآية ٢٠ من الفصل ٢٣ من سفر التثنية) « الأجنبى تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكى يباركك الرب ») . ولما لم يكن فى هذا النص تحديد قانوني لقدر الربا الماذون فيه كان ذلك فتحاً لباب الاستغلال المالي على مصراعيه بحيث يدخله أشد أنواع الربا فداحة وافراطا .

وهكذا كان هذا النص المنسوب للقانون الموسوي سبباً فيما نرى ـ أو جزءاً كبيراً من السبب ـ لا فى بقاء التعامل بالربا فى العالم اليوم فحسب بل فى تهوين أمره على كثير من النفوس ، واتخاذهم اياه أمراً مشروعاً فى بعض الأحوال .

فنجد أن العرب فى الجاهلية قد اعتادوا أن يقترضوا بالربا من اليهود ، وأن يتقارضوا به فيما بينهم دون أن يجدوا فيه حرجاً ولا غضاضة . وقد عرفت لهم فى ذلك أنواع مختلفة من العقود الربوية . وأكثرها انتشاراً فيما بينهم كانت تبدأ المحاسبة فيه ـ على ما ظهر ـ من السنة الثانية ، بمعنى أن الدائن لا يطلب من مدينه شيئاً وراء رأس المال اذا وافاه دينه فى أجله المعلوم . فان لم يستطع أداءه فى ذلك الأجل اتفقا على تأجيله سنة ثانية فى مقابل زيادة

النظام الاقتصادي في الإسلام

يختلف مقدارها حسب التراضي بينهم . وكان عندهم نوع آخر من هذه العقود الربوية ، وهو ان ياخذ منه فائدة معينة كل شهر ، فاذا جاء آخر السنة ولم يرد رأس المال اتفقا على فوائد اخرى للتاخير .

التعامل بالربا في العصر الحاضر :

عندما تازمت الامور في بعض البلاد الاسلامية ، وجد الشعب نفسه امام محظورين لا مخرج له منهما : اما ان يلجا الى المرابين الذين ليس في قلوبهم رحمة يقترض منهم بافدح الربا ، واما ان ينشىء شركة مالية برؤوس اموال وطنية يقترض منها المحتاجون بشروط غير مجحفة .

ومالت بعض النفوس الى اختيار الحل الثاني ، غير انه وقفت امامها اعتبارات دينية قوية ، اذ كيف تقوم في بلد اسلامي مؤسسة مالية مخالفة لقواعد القرآن ؟

وعرضت مختلف الآراء في الموضوع من حيث تحقيق المبدأ الاسلامي ، فالتقت آراء اكثر المفكرين على رفض المشروع من الوجهة الدينية . غير أن فريقا آخر ايد الفكرة معتمداً على نص الآية الكريمة : « يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة » (آل عمران ١٣٠) . وفسر هذا الفريق هذه الآية بان الربا المحظور في الاسلام انما هو الربا الذي يصل الى مثل رأس المال فهو محل بحث واختلاف في نظرهم . وسوف نبين ، فيما يلي فساد هذا الرأي .

حكم الربا مستمداً من القرآن الكريم:

ما حقيقة الامر في نظر الشريعة الاسلامية ؟ وهل يبيح الاسلام ، حقا ، التعامل بالربا اليسير ؟ ان القرآن الكريم ، في معالجته لامراض المجتمع ، لا ياخذها بالعنف والمفاجاة ، بل يتلطف في السير بها الى الاصلاح على مراحل مترتبة ، متصاعدة ، حتى يصل بها الى الغاية المنشودة .

كان هذا هو منهجه في شان الخمر ، فلم يبطله بجرة قلم ، بل لم يحرمه تحريما كليا الا في المرحلة الرابعة من الوحي . اما المرحلة الاولى (التي نزلت في مكة) فانها رسمت الوجهة التي سيسير فيها التشريع واما المراحل الثلاث (التي نزلت بالمدينة) فيتضح فيها التدرج نحو التحريم النهائي : اذ بدأت المرحلة الثانية ببيان مجرد لآثار الخمر ، وأن اثمه أكبر من نفعه ، وفي المرحلة الثالثة نجد تحريماً جزئياً له . اما في المرحلة الرابعة والأخيرة فان التشريع القرآني يحرمه تحريماً كلياً قاطعاً .

هذا المنهج التدريجي هو الذي سلكه القرآن الكريم في تحريم الربا : فقد تناول القرآن حديث الربا في أربعة مواضع ايضاً وكان اول موضع منها وحياً مكياً ، والثلاثة الباقية مدنية . وكان كل واحد من هذه التشريعات الأربعة متشابها تمام المشابهة لمقابله في موضوع الخمر .

ففي الآية المكية يقول الله تعالى : « وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله ، وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون » (سورة الروم ٣٩) .

معنى هذه الآية ان الربا لا ثواب له عند الله ، ولكنها لا تشير الى ان الله ادخر لآكله عقابا . وهذا بالضبط نظير ما جاء في اية الخمر المكية الأولى : « ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ، ورزقا حسنا ، ان في ذلك لآية لقوم يعقلون » (النحل آية ٦٧) . اذ تشير هذه الآية برفق الى ان ما يتخذ سكرا ليس من الرزق الحسن ، دون ان تقول انه رجس واجب الاجتناب .

اما الموضع الثاني فكان درسا وعبرة قصها علينا القرآن من سيرة اليهود ، الذين حرم عليهم الربا فاكلوه وعاقبهم الله بمعصيتهم . « واكلهم الربا ، وأكلهم اموال الناس بالباطل ، واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما » . (النساء آية ١٦١) .

وواضح أن هذه العبرة لا تقع موقعها إلا إذا كان من ورائها اتجاه نحو تحريم الربا على المسلمين . ولكنه حتى الآن تحريم بالتلويح لا بالنص الصريح . هذا الاسلوب كان من شانه ان يدع المسلمين في موقف ترقب وانتظار لنهي يوجه اليهم قصداً في هذا الشان . وهو نظير ما وقع بعد المرحلة الثانية في الخمر : « يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ، ومنافع للناس ، واثمهما اكبر من نفعهما » . (البقرة ٢١٩) . فمن هذه الآية استشعرت النفوس ما جاء في المرحلة الثالثة من نهي عن الخمر ، ولكنه لم يكن إلا نهياً جزئيا ، في أوقات الصلاة : « يا ايها الذين آمنو لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى » (النساء ٤٣)

وكذلك لم يات النهي الصريح عن الربا الا في المرحلة الثالثة ، ولم يكن ايضا إلا نهيا جزئيا عن الربا الفاحش ، الربا الذي يتزايد حتى يصير اضعافا مضاعفة : « يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا الربا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون » . (آل عمران ١٣٠) .

وكما جاءت الحلقة الاخيرة في تحريم الخمر بقوله تعالى : « انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه » ، وردت الحلقة التي ختم بها التشريع في الربا ، وفيها النهي الحاسم عن كل ما يزيد عن رأس مال الدين ، حيث يقول تعالى ، « يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ، وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين . فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله . وان تبتم فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة ، وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ، ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » (البقرة ٢٧٨ ـ ٢٨١) .

هذه هي نصوص التشريع القرآني في الربا مرتبة على تسلسلها التاريخي .

ومنها نرى بوضوح ان الفئة التي تزعم أن الاسلام يفرق بين الربا الفاحش وغيره ، لم تكتف بانها خالفت اجماع علماء المسلمين في كل العصور ، بل انها قلبت الوضع التاريخي ، إذ اعتبرت النص الثالث مرحلة نهائية . بينما هو لم يكن إلا خطوة انتقالية في التشريع : لم يختلف في ذلك محدث ، ولا مفسر ولا فقيه .

حكمة التشريع القرآني :

بعد أن وضحنا موقف القرآن الكريم من التعامل بالربا ، نجد انفسنا الآن امام سؤالين هامين :

- ما هي الأسباب المعقولة لهذا التحريم الصارم للمعاملة الربوية ؟
- هل الحياة الاقتصادية في حالتها الحاضرة تعد طرفا استثنائيا يترخص فيه بمخالفة هذا القانون ؟

أما من حيث معقولية التحريم أو عدم معقوليته فانها قد اثيرت في عهد النبوة على لسان العرب انفسهم . فقد استنكروا التفرقة بين (البيع) و (الربا) ، فنزل القرآن بان البيع ليس مثل الربا « فقد احل الله البيع وحرم الربا » (سورة البقرة ٢٧٥) .

يجب إذن أن يكون لهذا النهي عن التعامل بالربا دعائم قوية معقولة . فما تلك الأسباب ؟

- أولا : من الناحية الخلقية ، يستنكر الضمير الانساني أن يطالب بتعويض مالي عن شيء يعيره الانسان لمن يحتاج اليه ، أو مساعدة يقدمها لغيره .

● ثانياً: من الناحية الاجتماعية، تصبح حياة المجتمع جحيما لا يطاق إذا لم نفسح فيها مجالا لفكرة البر والتعاون والتضامن والتراحم . كما أن تقرير الربح لصاحب المال فيه محاباة للمال ، وايثار له على العمل . فتحريم الربا كتشريع اجتماعي يمنع هذه المحاباة لرأس المال على حساب الجمهور الكادح ، ويؤدي الى تحقيق نوع من التجانس والمساواة بين افراد الأمة . والقرآن الكريم يرسم دستور هذه السياسة حيث يقول : « كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم . »

ثالثاً: من الناحية الاقتصادية ، إذا أشركنا المقرض في الربح الناشيء من تشغيل المال المقترض ، وجب علينا أن نشركه أيضاً في الخسارة النازلة . وهذا ما لا يحدث في حالة الربا . إذ يحصل صاحب المال وحده على الفائدة ويتحمل المقترض وحده الخسارة .

وتحريم الربا معناه ـ قانوناً ـ أن المقترض يصبح المالك الوحيد للمال ، وهو حر التصرف فيه ، واذن فهو ليس ملزماً بتعويض منافعه لأحد من الناس .

أما عن حكم التعامل بالربا في وقتنا الحاضر ، وفي ظروفنا الراهنة ، ليست قضية (مبدأ) ولكنها قضية (تطبيق) . وقد وضع الاسلام الى جانب كل قانون ، بل فوق كل قانون ، قانوناً أعلى يقوم على الضرورة التي تبيح كل محظور . يقول الله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم الا ما اضطررتم اليه » (الانعام ، ١١٩) . ولكن قبل أن تلجأ الى قانون الضرورة يجب أن نبدأ باستنفاد كل الحلول الممكنة المشروعة في الاسلام .

رأينا مما تقدم أن النظام الاقتصادي الاساسي يشتمل على العناصر الصالحة في أكثر المذاهب الاقتصادية الحديثة . وينقسم العالم اليوم على أساس هذه المذاهب الى معسكرين كبيرين : الرأسمالي والشيوعي .

وتسعى الرأسمالية كما تسعى الشيوعية لكسب العالم الاسلامي واحتوائه . ومن البديهي أن هذا السعي لا ينظر لمصلحة الاسلام ، وانما يتم بغرض المصلحة الذاتية لكل من النظامين .

وليس مما يجوز أن نقارن بين الاسلام والرأسمالية والشيوعية ، لأن الشيوعية والرأسمالية مذهبان ، والاسلام دين . ولا يجوز المقارنة الا بين متساويات . وكل ما نستطيعه أن نتحدث عن موقف الاسلام من الرأسمالية والشيوعية .

والحقيقة الأساسية التي نحب أن نقررها هي أن النظام الاقتصادي الذي شرعه الاسلام ، يختلف عن أي نظام آخر . ولقد سبق الاسلام هذين النظامين ، فهو ليس واحداً منهما ، وهو ليس خليطاً منهما ، وهو ليس مستمداً من مجموعيهما . انما هو نظام قائم مستقل بذاته .

تضع الرأسمالية الفرد في بؤرة اهتماماتها ، وتضع الشيوعية الدولة في بؤرة الاهتمام ـ والاقتصاد « حر » في النظام الرأسمالي ، وهو « موجه » في النظام الشيوعي . والحكم في النظام الرأسمالي ديمقراطي الواجهة ، وان حكمت المؤسسات ورؤوس الأموال ، بينما الحكم في النظم الشيوعية يقوم على ديكتاتورية الطبقة العاملة .

وعلى حين يضحي النظام الرأسمالي بالعدالة الاجتماعية من أجل الفرد ، فان الشيوعية تضحي بالفرد من أجل عظمة الدولة . وهكذا يتنازل كل نظام من النظامين عن شيء في مقابل شيء آخر . وقد نشأ كل نظام منهما كرد فعل للظروف السائدة في مجتمعه وعصره .

أما النظام الاسلامي فهو ، كما قلنا ، نظام الهي ، وضعه خالق الانسان ليحقق به التوازن الذي تصلح به حياة الانسان . والفرق الرئيسي بين النظام الاسلامي ، وغيره من الأنظمة ، أن الاسلام يربط الفرد بالله . فالولاء لله تعالى يسبق ولاء الانسان لنفسه ، أو أهله أو ماله ـ يقول تعالى : « قل ان كان اباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها ، أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره . والله لا يهدي القوم الفاسقين . »

ان هذا النص يجعل الصلة بالله والرسول ، والجهاد في سبيل الله معيار التقوى . وهذا النص يميز نظام الاسلام عن غيره من الأنظمة : فهو نظام يرتبط فيه الفرد بالله ، ويتلقى منه التشريع والقواعد العامة في السلوك . ويتدخل الاسلام في كل شيء : فهو ينظم قواعد العبادة ، وينظم علاقة الزوج بزوجته ، وينظم المواريث والوصية ، كما يضع القواعد العامة للحكم

فيقوم الحكم في الاسلام على الشورى لقوله تعالى : « وشاورهم في الأمر » . وهذه الشورى تختلف عن ديمقراطية الغرب .. كما تختلف عن حكم الطبقة العاملة .

ويقوم النظام الاقتصادي في الاسلام على مبدأين أساسيين هما : أن المال مال الله « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » (سورة النور) ، ثم أنه ، والأمر كذلك ، فان المسلمين خلفاء لا أصلاء في ادارة هذا المال واستثماره ، « آمنوا بالله ورسوله ، وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » (سورة الحديد) .

وفي ضوء هذين الاعتبارين يقر الاسلام الملكية الفردية في مظهريها التصرف والانتفاع . ولكن شرط بقاء هذه الوظيفة هي الصلاحية للتصرف

وعندما يكون هناك ظرف استثنائي يواجه المجتمع ، فان للاسلام موقفاً آخر . والحديث يقول « اذا جاع المسلمون فلا مال لأحد » . ولقد أوقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حد السرقة ، المقرر بنصوص واضحة في القرآن ، عندما حلت المجاعة بالمسلمين ، اجتهاداً منه ، وايماناً بأن الحدود حكمة ينتفي التطبيق لو انتفت .

وفي القرآن نص يهدد الذين يكنزون الذهب والفضة بعذاب جهنم ، وهذا العقاب الأخروي يعني أن هناك جريمة ارتكبت في الدنيا . ومن حق الحاكم أن يمنع الجرائم على الأرض ، وأن يصادر الكنوز المعطلة . ويقوم النظام الاسلامي أيضاً ضد الربا الذي ينهض عليه النظام الاقتصادي الرأسمالي ، كما يقف مع العدالة الاجتماعية التي تقف معها النظم الاشتراكية .

ورغم هذا فان الخطأ أن نتصور أن الاسلام مع الاشتراكية ضد الرأسمالية ، أو مع الرأسمالية ضد الاشتراكية ـ فالاسلام كنظام يقف أصلا مع نفسه . هو نظام خاص له خلفيته الفكرية التي تصل الانسان بالله ، وله أسلوبه في الحكم والسياسة والاقتصاد ، وله طابعه المميز الذي قد تتشابه معه بعض المذاهب والأنظمة أو لا تتشابه ، ومن قبيل الهزيمة الروحية أمام الغرب والشرق ، أن ننسب الاسلام لأي من أنظمة الشرق والغرب .

وليس يعني انفراد الاسلام بانظمته الحكم عليه بالاغتراب في دنيا ليس فيها غير هذين النظامين . انما يعني ذلك اعتقادنا بأهمية ما بأيدينا من جوهر نهدره حين ننتسب الى الشرق مرة ، والى الغرب مرة .

فالأجدر بنا أن ننتسب الى النظام الذي يتفق مع عقيدتنا وتقاليدنا ومثلنا العليا . وأن نبحث ، وسط عالم لا يحترم غير القوة عن أسلوب نسترد به للاسلام قوته ، فنظهر به القلوب ونحكم به الحياة ، ولن يكون ذلك بالاستسلام لأي مذهب أو نظام ، اذ مرونة الاسلام وعظمته قد استوعبت جميع الثقافات والأنظمة في نشأته الأولى ، وتمت حركة التأليف والترجمة والعلوم تحت راية التفتح العقلي للمسلمين الأوائل .

د . السيد محمد بدوي

النهايات

لعبد الرحمن منيف

بقلم: أبو المعاطي أبو النجا

توشك هذه الرواية ـ في حدود علمي ـ أن تكون أول قصيدة في الأدب العربي الحديث تقترب من عالم الصحراء، فهي تجمع على نحو فريد بين سمات الشعر الوصفي الشجي الذي تمتزج فيه حدة البصر بنفاذ البصيرة، وبين سمات الرواية الواقعية الفنية الراقية التي تجسد روح الجماعة في بطل فرد، وتستكنه روح المكان في سلوك من يعيش فيه وما يضمه من بشر وحيوانات وطيور في لحظات يكون فيها المكان جنة مرة وجحيما مرة أخرى.

ولا تقف هذه الرواية التي كتبها عبد الرحمن منيف عند حد هذا الطموح، فبناؤها الفذ الذي يقوم على احياء مجد الحكاية يتيح من خلال تطور الاحداث في هذه الرواية لأن تلعب الحكايات دوراً مزدوجاً، فهي من ناحية تقوم بمهمة التطهير والتكفير والاستبصار عند اهل القرية وهي مهمة درامية يستدعيها تطور الحديث وهي من ناحية اخرى تمد ساحة الرواية في زمان ليتحقق نوع من التقابل الرائع بين مكان الرواية في قرية عند حدود الصحراء الممتدة، وبين زمانها الذي يبدأ في الحاضر ليترامى عند النهاية بنفس امتداد الصحراء الى اغوار الماضي، دون أن ينسى في لحظة الختام استشراف وجه المستقبل

لماذا لا نقترب من عالم الرواية بنفس الخطى التي يقترب بها المؤلف من قرية «الطيبة»، التي تقع على الحدود بين الأرض التي تنبت العيون والحب والفاكهة والطيور، وبين الصحراء التي تنبت الجراد، والرياح المحملة بالاتربة الناعمة، والطيور والوعول والأرانب البرية والغزلان وتجود بعد المطر بمرعى هنا ومرعى هناك؟

ايقاع الحياة في الطيبة

لماذا لا نصغي الى المؤلف وهو «يحكي» عن الطيبة، (واهلها الذين برعوا في الحكايات)، بصوت منفرد، تتنوع فيه النبرة وتتعدد مستوياتها بتعدد طرقات القرية وناسها وازمانها واحوالها وفئاتها حيث يبدأ بالحديث عن «القحط» الذي يتغلغل في تاريخ الطيبة، وكانه جزء من قدرها، يتوارث الأبناء عن الآباء والأجداد حكاياته، يراه بعيون اهل الطيبة الذين يقرءون رموزه في الطبيعة وقبل مقدمه بشهور طويلة في الهواء القارس البرودة الذي يهب في الشتاء دون أن يسوق سحاباً في الطيور المهاجرة التي تمرق في سماء الطيبة جماعات عالية محلقة، لانها تحس قبل غيرها بالنذر.

وحين تمضي شهور الشتاء كلها دون امطار فان اشياء كثيرة تتغير في سلوك الناس، فالمخاوف القديمة تتحرك في قلوب العجائز وتظهر في عيونهم حزنا دفينا

صامتاً ، اما الآباء فتضيق صدورهم باسئلة الاطفال عن التغير الذي تراه عيونهم دون أن يفهموا له سبباً متى نذهب للحصول على الفقع ؟ وهل سنجد من الفقع في هذه السنة كما وجدنا في السنة الماضية ؟

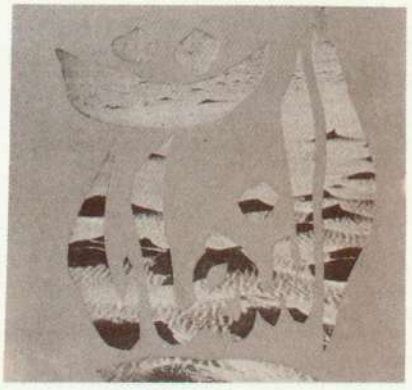
ويمتد التغير الى ابعد مما تستطيع عيون الاطفال أن تبصر او تدرك ، فالرعاة والزراع الذين كانوا يتجولون في طرقات القرية يبيعون الشياه والفاكهة والبيض والدجاج ويبالغون فيما يطلبون من ثمن يختفون فجاة ، واذا ظهروا في اسمالهم البالية وقد سحبوا خلفهم شياها هزيلة فانهم يبدون وكانهم يريدون التخلص منها لا لبيعها ، وتصبح السكين هي الوسيلة لانقاذ الماشية من الموت جوعا او مرضاً ، وتنتشر الامراض الغامضة ، ويرفض التجار اقراض المزارعين اي نقود بالاجل مالم ياخذوا فى المقابل وثيقة برهن الارض او الدار حتى يستوفوا حقوقهم ويعتذرون بالآية الكريمة « واذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه » .

عودة الأبناء

ويعود ابناء قرية الطيبة الذين يعملون او يتعلمون في المدينة الى قريتهم وقد حملوا معهم كل ما قدروا عليه من الدقيق والسكر والعدس ليكونوا مع اهلهم في محنتهم فقد طالما منحتهم « الطيبة » في ايام رخائها الطيور واللبن والفاكهة ، طالما منحتهم ما هو اعظم ، الحب والانتماء واوقات الصيد الممتعة حين كان ياتى هؤلاء الابناء مع اصحابهم ليخرجوا في رحلات لصيد الطيور والارانب والغزلان ، تصبح زاداً للحديث طول العام ، ان رحلات الصيد التي كانت في الماضي لهواً ولعباً يدركها التغير هي الاخرى ، فمع ان الصيد في «الطيبة» وفي الظروف الطبيعية ليس مهنة إلا لاولئك الذين لا مهنة لهم من الكسالى والمخبولين ـ وهو لهو ولعب للتلاميذ واصدقائهم من سكان المدن ـ فان العقلاء من ابناء الطيبة يزرعون ويرعون ويتاجرون ، لكن حين يجيء القحط او ينذر بالمجيء ، حيث لا زرع ولا رعي ولا تجارة الا في اضيق الحدود فان نظرة القرية الى الصيد تبدا في التغير ، ونظرتها الى مجانينها تبدا في التحول فيقلون من الزراية بهم والاعتراض عليهم ، ثم يصبح هؤلاء المجانين حكماء القرية وعقلاءها على نحو ما ، وفي انقلاب صامت يتقدم هؤلاء المجانين لقيادة سفينة القرية الغارقة حين تهب العاصفة ،



عبد الرحمن منيف



غلاف رواية النهايات

ويتراجع الزراع والتجار والرعاة ، واذا كان لابد ان يكون هناك زعيم حتى للمجانين فانه حان الوقت ليدير المؤلف حكاية عن المجنون الاكبر «عساف» بطل هذه الرواية ، الذي يعرف اكثر من غيره مكامن الصيد في التلال القريبة والصحاري الممتدة ، ويعرف ابرع طرق الصيد ووسائله ، واذا كان عساف وكلبه في اوقات الرخاء هما مثار الفكاهة والتندر والعبث ، من الصغار والكبار ، واذا كانت القرية تنسب اليه كل المصائب التي تحل بها ، واذا كان عساف وكلبه هما اعظم معروفين ومجهولين في حياة الطيبة فان الامور تختلف تماماً في ايام القحط ، فعساف الذي ينتمي الى القرية ولا ينتمي اليها يدرك على نحو هاديء ان هذا وقته ودوره ، وبلا ادنى موجدة او طموح ، ودون حساب او عتاب او مساءلة يبدأ يمارس دوره ، يذهب الى الصيد في الجبال والصحاري ، ويعود محملا ـ لاول مرة ـ بما يزيد كثيراً عن حاجته من الصيد ، ويبدا في طرق ابواب يعرفها جيداً ، ابواب يغلقها الخجل والخوف والحاجة ، ولانه يدرك ان الخوف اكثر ترويعاً من الجوع فانه يعلن عن وجوده بصوت مسموع قبل ان يطرق الابواب المغلقة :

ـ عساف يمسي عليكم .

ويفتح عجوز او يتيم او ارملة ، ويلقي من فتحة الباب بعض الصيد ، ويمضي بلا توقف .

عالم الصيد

ومع عساف نتعرف اكثر على عالم الصيد ، على قوانينه ومراسيمه الخاصة التي لا يدركها الا المجانين الكبار من امثال «عساف» فهو حتى في ايام القحط يميز بين الطيور التي يجب ان تصاد وبين تلك التي يجب ان تترك لتعيش مثل انثى الحجل «فهي رزقنا الباقي» هكذا يقول عساف لمن يكونون معه في رحلة صيد وحين يشك في انهم فهموا اشياء يوضح لهم :

ـ « انثى الحجل صغيرة ... اما ديك الحجل فالوانه زاهية ويطير قبلها ، فهو جبان مثل بعض الرجال»

واذا كان تلاميذ الطيبة وضيوفهم يلهون بالصيد فان الصيد عند «عساف» ضرورة حياة ، مع انه لا يخلو من متعة من نوع خاص ، فالصيد اختيار واقتدار وقرار ، وحين تلتقي هذه الكفايات كلها في لحظة الضرورة ـ التي تجعل من نهاية حياة الصيد شرطاً لاستمرار حياة الانسان ـ فان هذا اللقاء في هذه اللحظة يهب انبل صور القتل واكثرها رحمة ، فالطلقة لابد ان تكون محكمة ، وفي مقتل ، وعساف يعرف مقتل كل حيوان ، ولا يسمح للرصاص ان تنطلق الا وهي تعرف طريقها جيداً ، لا يستخفه الزهو او الرغبة في الفوز ، المباراة بينه وبين الصيد هي صراع من اجل الحياة ، وهو صراع له شرفه وقوانينه التي يعرفها الحيوان وعساف كذلك ويثمر القتل نوعاً من الرضا المتالم :

ـ اذا لم اقتلها انا فسوف تقتلها بنات أوى .

هكذا يقول عساف لنفسه حين يكون وحده اما حين يكون مع مرافقيه من التلاميذ فانه يقول لهم :

ـ « لا تنظروا الي كوحش ، انا انسان وليس بيني وبين اي مخلوق عداء من اي نوع » .

ولكن كيف يفهم هؤلاء الاغرار معنى كلماته ؟ او المعنى الحقيقي للصيد ؟ وهم يندفعون بكل حماقة وراء غرائزهم التي تنتشي بالقتل وبالفوز لا بالصيد ؟ وكيف يمكنهم وهم في سورة النشوة ان يبصروا دموع الغزلان الجريحة قبل ان تموت وكيف لا يشعرون بالعار حين لا تفعل طلقاتهم

النهايات

الطائشة شيئاً اكثر من اعاقة الطريدة او ترويعها ، وتكون النتيجة لما لا لزوم له او خوفا يدفع الطيور والحيوانات الى قلب الصحراء فتصبح الحياة اقسى على اهل الطيبة .

وكانت لعساف طريقته الماكرة في ترويض هؤلاء الاغرار حين لا تجدي كلماته .

فلم يكن يدلهم على مكامن الصيد الحقيقية الا بعد ان ينهك قواهم في التجوال لانه يعلم ان التعب والعناء يجعلان الانسان اكثر رحمة ورقة .

الحدث المحوري

الى هنا ويبدا الحدث المحوري في الرواية بعد ان نكون قد عرفنا عن الطيبة وعن عساف اهم ما ينبغي ان نعرف ، وبالاخص عن احلامها الممتدة ببناء سد يحجز خلفه مياه الامطار لينقذها من القحط وعن وعود الحكام سنة بعد سنة ، ووعود ابنائها في المدينة بان يبذلوا جهودهم لدى الحكام لتحقيق هذا الحلم عاما بعد عام ، الى هنا وندرك على نحو ما ان قرية الطيبة قد تكون قريتي او قريتك وطني او وطنك وان المشكلات والعلاقات فيها مثلما هي في كل البلاد متداخلة ومتشابكة ومع اي اختلاف في التفاصيل فانه حين يحدث خطر ما او خير ما ، فان سلوك الناس بمختلف طبقاتهم وفئاتهم يسفر عن ذات القوانين وقد نكشف ان قرية الطيبة مثل اي قرية اخرى تملك نفس القدر الهائل من الكبرياء والخجل والاعتقاد بانها لابد ان تعطى حتى في اقسى سنوات القحط حين يكون هناك ضيوف ، ففي ذلك اليوم هبط الى الطيبة بعض ابنائها ومعهم الى جوار الهدايا بعض الضيوف ، وبعض الوعود ببناء السد ومع ان اهل الطيبة في هذه المرة كانوا قد قرروا ان يكون لهم موقف مختلف من مثل هذه الوعود ، الا ان وجود الضيوف اجل كل شيء ، واذا كان الضيوف يريدون ان يخرجوا في رحلة صيد فليكن لهم ما يريدون ، وبعد ذلك يكون لهم مع اولادهم كلام آخر .

من هذه الثغرة او من هذا الضعف في اهل الطيبة بدا القدر ينسج خيوط هذه القصة التي بدات برحلةصيد تضم بعضاً من تلاميذ الطيبة وضيوفهم واهل القرية بقيادة عساف .

●●●

لم يكن عساف هذه المرة في مثل اية مرة سابقة . كانت في روحه نقطة سوداء تترك آثارها على وجهه ، وعلى كلماته التي انطلقت لاول مرة لتقول للضيوف ولاهل الطيبة مالم يسمعوه منه من قبل بمثل هذا الوضوح القاسي ، ولكن شيئاً ماكان يمكن ان يمنع الرحلة التي ينسج خيوطها القدر .

قصيدة الرحلة

الى هنا ويبدا المؤلف يبدع قصيدته الرائعة في عدة مشاهد تنتظم الرحلة ، ولكن كل مشهد يوشك ان يكون في حد ذاته لوحة فريدة متميزة .

فبعد ان يتجاوز موكب الصيد المكون من عربة جيب وعربة فولكس واجن حدود الطيبة ، وما يحيط بها من تلال ووديان «تبدا الصحراء بخجل وكانها تكونت في التو واللحظة ، لكن تدريجيا تتغير الارض لتصبح نسيجاً واحداً متشابهاً ، واقرب ما تكون الى راحة اليد من حيث الاستقامة مع التواءات صغيرة متفرقة » .

كانت اضواء الفجر تاتي من المشرق ، وكان عليهم ان يوغلوا هذه المرة في قلب الصحراء الى حيث الطيور التي لم تروعها بعد طلقات البنادق المجنونة .

وبدا الامر كما لو كانت الصحراء التي ضاقت ذرعاً بجنون هؤلاء الافندية تستدرجهم الى لقاء طال شوقها اليه !

وفي مكان يعرفه عساف جيداً اوقف القافلة وبدا يشرح لهم خطة الصيد ، ستتحرك السيارتان في شكل دائرة ، بحيث تكون كل واحدة في الجزء المقابل للاخرى من الدائرة ، اما هو وكلبه فسيكونان في قلب الدائرة وحين تصادف كل سيارة في حركتها الدائرية رفاً من «الكدري» المجتمع على الارض فانه سوف يبدا في الطيران حين تقترب منه السيارة ، وانذاك يبدا الصيادون باطلاق النيران ، ما يفلت من الرف الطائر الى داخل الدائرة سيكون عساف في انتظاره وما يفلت من عساف فقد يكون من نصيب السيارة الثانية . وهكذا تطير كل سيارة للاخرى ولعساف .

ولم يتلق الضيوف خطة عساف بارتياح ، كانوا طوال الوقت معاً ،وكان عساف معهم ، وكانت الخطة تعني ان يحسبوا وحدهم لاول مرة في هذه الصحراء المترامية ولو لبعض الوقت وكانهم لم يبصروا هذه الصحراء قبل هذه اللحظة ، ولم ينتظر عساف رداً من احد ، وراح امام اعينهم يوغل فيما كان يسميه منتصف الدائرة ، متحولا الى نقطة سوداء ، حبة رمل بين الرمال ، وغمرهم شعور صاعق بالضالة والوحدة امام هذا الامتداد اللانهائي ، شعور لم يخفف منه كونهم لا يزالون جماعة في داخل كل سيارة .

ماذا لو ضلوا في هذه الصحراء ؟ ثم ينفد الماء والطعام و ... كان عساف وحده هو الذى كان يحبس هذه المشاعر في داخلهم وها هى تنفجر على نحو لم يتوقعه واحد منهم . كانوا طوال الوقت ودون ان يشعروا لائذين به ، والآن تتحرك كل سيارة في طريقها وكانها تبحث عن شيء تلوذ به في ذلك الفراغ الماحق ، ولا ينقذهم من ذلك الشعور المزلزل سوى اصطدامهم باول رف من طيور الكدرى وكانهم قد تعثروا به في غمرة ذهولهم ، وانذاك نسوا كل شيء ، انطلقت الرصاصات في كل اتجاه وكانها لم تصب سوى خوفهم ، حين لم يسقط طائر واحد استبد بهم الغيظ والرغبة في إثبات الكفاءة ، وتتكرر المطاردة مرة ومرتين ومرات ، ويرتفع قرص الشمس اكثر فاكثر ، دون ان يصطادوا سوى طائرين او ثلاثة ويزدادون جنوناً وفشلا ، ماذا يقولون لعساف حين يعودون اليه ؟ لكن اين هو عساف ؟ وينفجر الخوف الذى توهموا لبعض الوقت انهم اصابوه برصاصهم الطائش ، مرة اخرى يتلاشى خجلهم من الخيبة امام الرغبة في اللحاق بعساف واللياذ به ليقودهم في طريق العودة ... ويتجهون الى حيث النقطة التى كانها عساف ، وتكبر النقطة يصبح لها راس وقدمان ويدان وامامها بندقية ملقاة بلا

عناية وكلب ، وكومة من الطيور تقابلت مناقيرها في نظام بديع .

كان عساف هو الذى يبادرهم بالاعتذار لهم وعنهم فالسيارة ليست انسب وسائل الصيد ، وما صاده هو للجميع ولأهل القرية وبفضلهم جاءت الطيور الى ناحيته . ودعاهم الى مكان فى ظل بعض الصخور ليصيبوا بعض الطعام والشراب والراحة قبل أن يبدأوا رحلة العودة .

حين شعروا ببعض الراحة بعد الطعام والشراب ، داعبهم أمل جديد فى أن يكرروا محاولة الصيد فى مكان آخر ، لعل حظهم يكون أوفر وأجدى .

كيف يواجهون أهل القرية بخيبتهم فى الصيد ؟ ومع أن عساف كان واضحا وحاسما فى رفضه وتاكيده على عدم جدوى المحاولة إلا أن نقطة الحزن السوداء الغامضة التى كانت تنغرس فى روحه منذ بداية الرحلة ، والتى دفعته لأن يقول للتلاميذ ولأهل الطيبة كلماته الأخيرة فى مأساة الصيد أو مهزلته ، هذه النقطة كانت قد بدأت لأسباب مجهولة لديه تتسع وتفرش ظلا من العجز واللامبالاة جعله لا يصمد أمام إلحاحهم ورجائهم بتكرار المحاولة ، كانت روحه تمتلىء باليأس أمام الحماقة ، وربما زاده الشراب ضعفا فترك حماقة الضيوف تقود حنكته هذه المرة .

● ● ●

الى هنا ولا شيء يغنى عن قراءة النص فالقصيدة العظيمة الذى بدأت تتنامى نحو ذروتها ـ مع بداية الرحلة تكاد أن تصل الى قمتها الآن .

لعبة الصحراء القاسية

بعد أن بدأ كل شيء على ذات النحو فى مكان آخر ، الدائرة ، عساف وكلبه فى قلبها وفى مشاهد مركزة مقطرة يصور الكاتب كيف جنت الصحراء على نحو مفاجىء ، وكأنها كانت تنتظر أن يأخذوا مواقعهم لتبدأ لعبتها القاسية ومع أن الطبيعة في أى مكان تبعث بالنذر قبل أن تعلن غضبها فانها فى الصحراء وحدها يمكن أن تمارس هذا الجنون بلا مقدمات يمكن أن تلفت رجلا حزينا يائسا مثل عساف .

لا شيء فى الصحراء يؤذن بقدوم الريح قبل قدومها لا شجرة ، ولا حائط ، ولا مكان .. لا شيء سوى الرمال الناعمة ... وحين تستيقظ هذه الرمال من سباتها الخادع ، حين تطير فجاة وفى كل مكان ، تكون الرياح قد تجاوزت كل الحدود ، كل الدوائر والمسطحات ، ويختفى قرص الشمس وقبله تختفى السماء ، ويختفى الصمت ، ويختفى المكان ، وحين يختفى المكان فان غريزة الهرب تصاب بالشلل ، فالهرب الى اين ؟ ومن ماذا ؟ والعدو يحاصرك يحيط بك ، يصيب بالشلل قدرتك على التفكير وتسقط الارادة ، ويجف الحلق ، وتعجز حتى العيون عن الابصار ، ويصبح الانجاز الوحيد للسيارة انها تتيح للمختبئين فيها ولأول مرة أن يروا الموت ، موتهم وقبل أن يكون ، أن يروه مجنونا عابثا مهاجما متربثا ، يتسلل مع حبات الرمال الناعمة الساخنة الى الفم والأنف والأذن ، ولأول مرة يتفتت الزمن الى أجزاء أقل من الثانية، يصبح فى حجم الرمال الناعمة ، وتدور الأفكار فى الرءوس بسرعة حبات الرمال فلا تستقر على أمل أو يأس ، كأن الصحراء أرادت أن تعاقب أولئك الذين عبثوا بقوانينها وانتهكوا قدس اقداسها ، ولكن ممن كانت تنتقم ؟

ـ الله يعينك يا عساف ..

قالها أحد أبناء الطيبة اللائذين بالسيارة .. وكانت الكلمة الوحيدة العاقلة التي قيلت في قلب ذلك الجنون الكوني ..

ولم يقو أحد على الرد ..

ومرة أخيرة لا شيء يغني عن قراءة النص ، قراءة القصيدة العظيمة ...

متى انتهت العاصفة ؟

كيف عثروا على عساف ؟ وأين ؟

كيف قادهم اليه نسر جاء من الأعالي ووقف على رأسه المدفون في الرمال ؟

كيف وجدوا كلبه الذي ظل يدافع عنه النسور ممزقا بمناقيرها معانقا له ، بينما كان رفاق الرحلة لائذين بسياراتهم ، كيف باتوا حول الجثمان في بيت المختار في طقس احتفالي عجيب ؟

بعد العاصفة والجنون

كيف استعادت الطيبة تاريخها كله ، واستلهمت في تلك الليلة عبقريتها في قص الحكايات لتروى حول جثمان الشهيد كل حكاياتها القديمة عن الصيد والحيوانات والطيور ؟

كيف تراءت الحكايات في تلك الليلة في ضوء جديد وكان الطيبة تحكيها لأول مرة ، وتفهم عنها لأول مرة ؟؟

كيف كشفت هذه الحكايات عن قوانين الطبيعة العظمى كما يترجمها سلوك الحيوانات والطيور التي بدت في تلك الليلة أكثر نبلا وشرفا وشجاعة من الانسان في حبها ، في دفاعها عن مواطنها ، عن أولادها ، في صداقتها للانسان ، في اعترافها بالجميل ، وفي احترامها لقواعد الحياة ، حتى في عبثها ومجونها ؟؟

وتختلط قصص الطيبة بقصص الحيوان عند الجاحظ ، ينثرها الكاتب ليمزج بين تاريخ الطيبة وتاريخ الأمة في منظومة واحدة .

كيف خرجت قرية الطيبة فى مشهد أسطورى لتدفن عساف ، لتودعه الوداع الأخير ، وكأنها تقدم اعتذاراً للرجل الذى عاش ومات من أجلها ؟

إن هذه الرواية التى تصور الانسان والحيوان فى مواجهة الطبيعة وفى مواجهة الموت ، فى مواجهة النهايات ، تردنا فى كل لحظة من لحظات هذه المواجهة الى قوانين الحياة الأولى الى قواعدها البسيطة التى تنسى دائماً فى غمرة الحماقة والغرور التى تنتاب الانسان عبر تلك المسافة الطويلة القصيرة بين البدايات والنهايات .

وحين يعود أهل الطيبة بعد دفن عساف الى قريتهم فان موقفهم من قضية السد يتغير تماماً ، إنهم يتولون أمرهم بانفسهم ويواجهون المسئولين بمطالبهم دون انتظار لعون أحد ولو كان أبناءهم . فموت البطل أضاء لهم طريقا جديداً .

وهكذا لا تكون هذه الرواية التى تمزج بين روح الشعر العربى وبين روح التراجيديا اليونانية فى قالب رواية واقعية عصرية تكاد فى بعض جوانبها أن تكون تسجيلية ووثائقية ، هكذا لا تكون هذه الرواية للنهايات فقط بل للبدايات وللمستقبل .

أبو المعاطي أبو النجا ـ الكويت



المخرج الفرنسى ولفرام مهرنج

"الدوحـــة" في لقـــاء خـــاص:

٣٠ سؤالا لمخرج عالمي

أجرى اللقاء: يـاسـر السـباعي

فى لقاء خاص مع المخرج الفرنسى الشهير « ولفرام مهرنج» الذى شاهد له الجمهور القطرى خلال شهر مايو الماضى عرضين مسرحيين من عروض المسرح الصامت «البانتوميم» وهما «نهاية المطاف» و «الطريق الى الموت» ، وجهنا اليه ثلاثين سؤالا حول أعماله ، ورؤيته المسرحية ، وآرائه فى المسرح العالمى والعربى ، وكتابه الأخير الذى صدر هذا العام تحت عنوان «الأقنعة المحترقة» .. وكانت اجاباته على تلك الأسئلة تمثل حصيلة تجربة هذا الفنان العالمى الذى يعتبر المسرح هو أهم طريق للوصول الى عالم الانسان !

● نحن نعرف أنك بدأت العمل فى المسرح كممثل ، وأنك بقيت وفياً لهذه البداية عندما تحولت الى الاخراج ، هل يمكننا بعد رحلتك المسرحية الطويلة أن نتعرف على ما واجهك فيها من مصاعب ؟

ـ المصاعب التى واجهتنى كانت ثقافية .. فقد كان علي أن أعيد العثور على الانسانية فى مركز الكائن الحي ، وهذا صعب جداً على من يعيش فى نهاية التطور الثقافى ـ كما هو الحال فى الثقافة الغربية ـ لاننا لو بحثنا فى الانسان لقدمنا ثقافة أكثر صدقا وأعظم عمقا ولتحررنا من قيود الالتزامات المسرحية كالتوزيع والتنفيذ والتمثيل لما هو مكتوب وكل ما يدفع المسرحى نحو عبودية الثقافة التقليدية !

● هل يمكننا التعرف على الأصول التاريخية للمسرح ؟

ـ قام المسرح فى بدايته على طقوس الكهنة ثم أصبح شيئاً فشيئاً مسرحاً دنيوياً ، وكانت هناك دائما فرق للتسلية ، وهناك عدة مصادر حول هذا الجانب التاريخى ، إلا أن هذه المصادر لا تملك البراهين على أى شىء !

● هل المسرح ضرورة اجتماعية .. وما هى أهميته ؟

ـ بالنسبة لي المسرح ضرورة اجتماعية

لانى اخترته كامكانية لتحريض نفسى على نفسى .. وانا أرى فى المسرح حياتى وتطورى ، فمن خلاله استطيع أن أجد طريقى فى الوصول الى الانسان !

● إذن ما هو تعريف المسرح فى رأيك ؟

ـ المسرح هو فن البحث عن الذات وتحريضها خاصة فى المجتمعات المادية كالمجتمع الغربى الذى لم يعد بامكاننا فيه أن نعايش الأشياء نوعياً بعد أن أصبحنا غارقين فى الأرقام والأحجام والكميات .. إن المسرح دائماً هو الفن القادر على اعطائنا الأبعاد الهامة التى ترفضها الحياة الحديثة والاتجاهات المادية ..

● ما هو العامل المشترك فى مفهوم المسرح العالمى ؟

ـ العامل المشترك فى المسرح العالمى هم البشر بكل ما لديهم من معاناة وفهم ومتعة ومفهوم المسرح فى العالم واحد تقريباً من ناحية الأسس ، وهناك بالطبع ثلاثة أشكال نراها فى هذا المسرح وهى المسرح السياسى والمسرح الثقافى ومسرح الوعى ، ومن ضمن هذه الأشكال اخترت مسرح الوعى لتقديم أعمالى ، لاننى أحاول دائما البحث فى أعماق الانسان ككل ، لأن الوعى فى نظرى لا يمكن حصره عاطفيـــاً فقط أو مجرداً منطقياً !

● هل يمكننا التعرف على تصورك لمستقبل المسرح الاوربى ؟

ـ من الصعب الاجابة على هذا السؤال لاننا لا نعرف ماذا سيجلب لنا المستقبل ، إلا اننى أرى الوضع الحالى يتراجع بشكل مخيف ، ففى الوقت الذى أصبح فيه المسرح الأوربى علمياً وجمالياً ، اختفت منه قضية العلاقة مع الحقيقة ، أى أن المسرح أصبح مثيراً دون تاثير فعال فى الأعماق ، فهو يسعى الى شد الجمهور ويقدم له أشياء جديدة تدهشه دون الاهتمام بالمضمون .. وفى ظل السباق المحموم للبحث عن الجديد أصبح المسرح الأوربى متوارياً داخل ذاته !

● المسرح أقدم من السينما والتليفزيون وهما يمثلان منافساً خطيراً له ، ترى من الرابح فى النهاية ؟

ـ لا أعتقد أنه يوجد تنافس حقيقى بينهم ، فالتنافس الفعلى موجود بين المسرح السيىء والتليفزيون ، واعتقد أن المسرح الجيد لا منافس له ، لانه ينطلق من وعي ومن ضمير صادق ، فالمسرح الجيد ياخذ من الجمهور مشاركة أكبر من السينما والتليفزيون كوسائل توصيل تقدم أشياء جاهزة ، ويمكن أن نقول ان وسائل الاعلام فى الغرب وخاصة التليفزيون تساهم فى تشويه الانسان الحديث ، أما المسرح فانه يعالج بصدق ، وهو أوسع ثقافة ، ويضـع الانسان دائماً فى حركة ، ويهتم بوعي الجميع !



إحدى مسرحياته التى تعكس اتجاهه المسرحى ورؤيته الفكرية للعالم والاشياء

- أعود إلى النصوص القديمة لأن الحقيقة فيها مازالت مستمرة بقوة
- وسائل الإعلام الغربي وخاصة التليفزيون تساهم في تشويه الإنسان الحديث
- لامنافس للمسرح الجيد ، التنافس الفعلي موجود بين المسرح السيء والتليفزيون
- الجمهور الغربي يحب عملاً يتملقه ولا يثير الأسئلة في نفسه ، ويتحمس كثيراً للعمل الذي يمنعه من التفكير ويؤكد له قناعاته
- المسرح هو فن البحث عن الذات وتحريضها .. خاصة في مجتمعات مادية كالمجتمع الغربي

● لماذا التوجه الى النصوص المسرحية القديمة لشكسبير وسفوكليس مثلا ، اهي ازمة نص ؟

ـ لا أعتقد أنها أزمة نص فقط ، فهى أزمة فى كل شىء ، وإذا كنا نعود الى النصوص القديمة فذلك لأن الحقيقة فيها لازالت مستمرة بقوة ، أما النصوص الحديثة فالحقيقة فيها مثل الشظايا متناثرة ، ففى كل عمل تجد جزءاً صغيراً من الحقيقة بينما تحتوى النصوص القديمة على الحقيقة الكلية لظروف الانسان .

● المسرح بالنسبة لك هو المكان الذى يخلع فيه الانسان اقنعته . كيف ؟

ـ إنها ردة فعل منى ضد مسرح يتوارى فيه الانسان خلف ثقافته كما هو عليه المسرح الغربى حيث أصبحوا لا يعترفون بحقيقة الأدب ، وكل عملى منصب الآن على خلع الاقنعة التى يضعها الانسان وذلك لكي أكتشفه على حقيقته !

● ما هى معايير النجاح فى اى عمل فني ؟

ـ أنا لا أفكر أبداً فى النجاح ، واعتقد انه يوجد نوعان من النجاح : نجاح حسابى مخصص للجمهور ، وهذا سهل على المحترفين ، فباستطاعتى أن أعمل مسرحية ناجحة من هذا النوع بدون أدنى جهد ، لانى أعرف رغبات الجمهور ، فالجمهور يحب عملا يتملقه ولا يثير الأسئلة فى نفسه ، وهو متحمس للعمل الذى يمنعه من التفكير كثيراً أو يؤكد ما يعرفه ويفكر به مسبقاً .. أما النجاح الذى أطمح اليه فهو نجاح أعمق .. نجاح ياتى عن طريق نفسى مع الآخرين لانى كاى رسام أو موسيقى أفعل بالتأكيد ما يجب أن أفعله دون تقديم تنازلات للجمهور ، وبهذا يكون للجمهور الخيار فى الاختيار !

● وبماذا تنصح الممثلين المسرحيين المبتدئين ؟

ـ أنصحهم أن يكتشفوا ذاتهم لا أن تكتشفهم تقنيات المسرح أو الأدب .

● الديكور لديك بسيط جداً فهل هذا ردة فعل ضد تعثر الحياة الحديثة ؟

ـ انا أحاول أن أعرى المشهد لأظهر

الانسان بشكل أوضح ، فكل تركيزى منصب على العنصر البشرى فى المشهد !

● أنت ممثل ومخرج وكاتب مسرحى ، فاية صفة تلازمك اكثر ؟

ـ أعتقد أن القضية قضية تنفس متبادل فعندما أكتب أكون ممثلا فى نفس الوقت ، اى أحاول أن أكتب بكل كيانى ، ومن صميم قلبى ، وبكل شخصى ، وعندما أخرج أعمل مع الممثل واتنفس برئتيه ، وعندما أمثل أقوم بذلك كما أكتب . أعتقد ان الصفة الكلية تعمل على استحالة اعطائى هوية ثابتة أو سجنى فى هوية ثابتة ، لانى فى حركة دائمة ، وكل شىء لدى يتحرك ولذا فانا أرفض الهوية الثابتة !

● هناك مسرح صامت (بانتوميم) ومسرح ناطق ، ايهما أصل الآخر ؟

ـ تكمن خصوصية مسرحنا المرئى فى انه مسرح الصمت المعروف ـ الذى لا يمكن أن يحل محل الكلمة ـ تكمن هذه الخصوصية فى أن مسرحنا مسرح لغة اى عندما يجب أن أتكلم اتكلم ولا امتنع عن الكلام فى مشهد مرئى . إنى أريد فقط إحياء الصمت وإحياء الفراغ ، اما فى المسرح الموجود حاليا فالكلمة هى التى تملأ وتحطم الصمت والفراغ . ولذا فانا أحاول العثور على استقطاب بين الكلمة والصمت بين ملء المساحة والفراغ ، لذا وجب إحياء الفراغ لانه أصلا مليء على المستوى الحيـــاتى والحضـارى .. ومعنى ذلك باختصار أن المسرح الصامت سبق ما نسميه جزافا بالمسرح الناطق !

● يقول المخرج السينمائى الايطالى الشهير فريدريكو فلينى (إن الابداع الرائع لا ينتج إلا من المعاناة والمكابدة) فما هو الابداع الفنى بالنسبة لك ؟

ـ إن الجملة التى استشهدت بها جملة رائعة وهامة جداً : المعاناة والمكابدة . فالانسان الذى يعانى ويكابد هو الذى يفهم فقط لأنه متلقى ، ولا يكفى أن يستمر أمام المعاناة والمكابدة بل يجب أن يفعل شيئاً ما .. إن الابداع الفنى بالنسبة لي هو أزمة الوعي الحاضر وهى أزمة متجددة دائمة مثل جريان الماء فى النهر .

● اسم فرقتك (ماندراغور) فماذا يعنى هذا الاسم ؟

ـ المندراغور (لفاح ـ يبروح) نبات عشبى من الفصيلة الباذنجانية يؤخذ منه جذر كيماوى بموجبه يعطى كيانه للتفاعل الكيماوى ولا يبقى شيء منه بعد التفاعل فهو رمز كيماوى للتحويل . والتحويل لدرجة التغيير هو الأساس الدائم لعملنا .

● كيف ومتى شكلت فرقتك المسرحية ؟

ـ شكلت فرقتى المسرحية عام ١٩٥٨ وكانت فرقة ذات ردة فعل ضد المسرح الأدبي فى أوربا ، أى كانت تطالب بالانسان أمام الأدب المكتوب ، وهى لا ترفض المسرح الأدبى فقط بل ترفض أوربا المتحجرة الهرمة بالأدب حيث يكون الممثل خادماً ، أما فى مسرحى فالممثل هو الملك !

● كل أعضاء فرقتك من آسيا وأفريقيا وأوربا أى (العالم القديم) فهل حدث هذا من قبيل الصدفة أم ماذا ؟

ـ أنا لا أعتمد على الصدفة بل أعتمد على الأصول ومصدر الأشياء وعندما نكتشف أصولنا ومن أين اتينا نستطيع الاستمرار بالحياة أما إذا اقتلعنا من جذورنا نكون قد ضعنا والآسيويون والافارقة والاوربيون ذوو أصول قديمة وكل واحد متعلق بها وبالماضى فهناك الكثير ممن ابتعدوا عن جذورهم أما أنا فأريد العمل مع المتعلقين بجذورهم

● هل تستفيد من الخبرات الحضارية الخارجية لدى أعضاء فرقتك ؟

ـ كلا لا أستفيد منها ولا أستفيد من خصوصياتهم الثقافية لانى أقدم عملا ذا ثقافة عالمية . وبالتاكيد كل منهم لديه ما لديه من إرث ثقافى ويحترمه الآخرون وهذا ليس ذا فائدة للعمل بل نوع من التنفس المتبادل .

● ما هى الجنسيات الموجودة بين أفراد فرقتك المسرحية ؟

ـ ليس لهذا أهمية ولكن هناك الفرنسى والسودانى والكورية والألمانية واليابانى والفرنسية ذكوراً أو إناثاً .

● لقد رأيت العرض الصامت لمسرح (الأضواء) فهل أجادوا برأيك أصول المسرح الصامت .

ـ إن المسرح الصامت نتاج ثقافى وليس مسرحاً أصيلا ، وقد وجدت الممثلين فى هذا العرض رائعين وقدموا عملا جيداً وحيوياً ولكنى كنت أود أن أرى عملا أكثر انسانية حتى ولو كان عملا حركياً اى أن لا يكون عملهم أجنبياً ، لأن المسرح الصامت ذو وجه أجنبى عليهم، ولكن الممثلين انفسهم كانوا جيدين .

● المعروف أن هناك دائما جداراً يفصل الممثل عن الجمهور فهل استطاع ممثلو مسرح (الأضواء) تحطيم هذا الجدار والوصول الى الجمهور ؟

ـ بالتاكيد حطموا هذا الجدار ولكن كان باستطاعتهم تحطيمه بوسائل أخرى لأنهم حطموه بتوجههم المباشر الى الجمهور ولكن الوصول الى الجمهور لا يتطلب التوجه المباشر اليهم بغرض تحريك الممثلين على خشبة المسرح دون التوجه الى قاعة الحضور .

● هل عندك بعض الملاحظات السلبية على العرض القطرى ؟

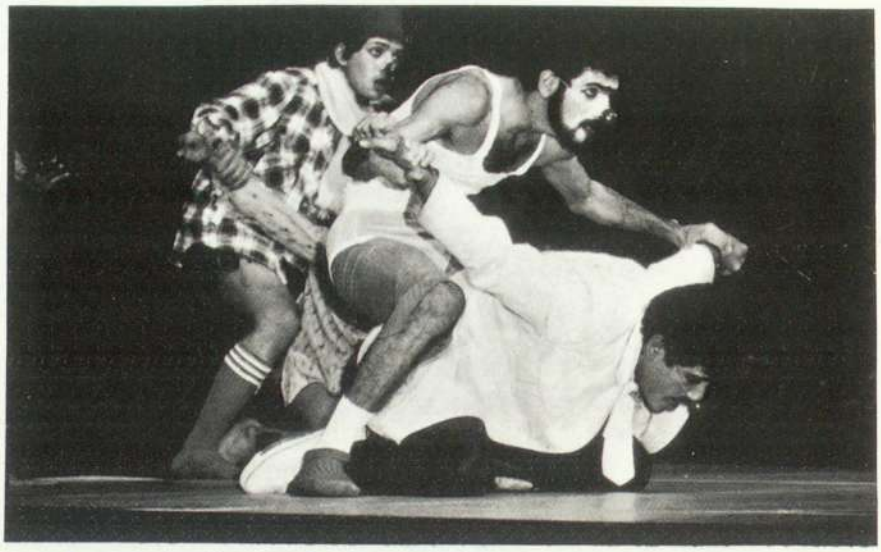
ـ أجل . يجب أن يكونوا هم انفسهم وليبحثوا عن شخصيتهم المميزة عن

من هو ولفرام مهرنج ؟

ترك ولفرام مهرنج المانيا الاتحادية سنة ١٩٥٤ بعد دراســـته للمسرح التقليدى ليعمل فى باريس مع استاذ التمثيل الصامت الذائع الصـــيت « ايتين دكرو » ، ولينهى فى الوقت نفسه دراساته الأدبية والفلســفية بالسربون .

وقد اتخذ مهرنج لنفسه موقفاً متحفظاً من الموجات الفكرية التى كانت متفشية آنذاك فى المسرح الغربى ، ليعمل على انماء وتطـوير مفهومه الخاص لمسرح عالمى يرتكز على تعبير الجسـم والصوت .. واستطاع ـ مع تاسيســـه لمسرح الماندراغور سنة ١٩٥٨ ـ أن يقـود حركة فنية مستوعبة لمختلف تراكيب التفتح على الطاقة الابداعية للممثل ، فاقام أيضاً مركزاً دولياً لفن الممثل ، ومضى بفرقته الخاصة وبالـدورات الدراسية التى يقيمها يحمل لواء الدعوة لتكوين « الممثل الشامل » ، ولما يمكن تسميته «مسرح ما وراء الثقافة» .

واشتهر بصفة خاصة باخراجـه لمسرحيات بوشنر ، وشكســـبير ، ولوركا ، وسوفكليس ، وبلوتس ، وفى باريس قدمت فرقته مواسمها الفنيـة على مسارح « الفيه كولومبيـــه » ، و«لوتيس » ، و« الحديث » ، و« جيتيه موبنارناس » وغيرهـــا ، كما قامت الفرقة بجولات فنية متعددة بأوروبا ، والشرق الأقصى ، وافريقيا ، والدول العربية ، وامريكا .. ممـــا اعطى للعروض التى تولى اخراجها مجالا للاحتكاك والمضاهاة باكثر النظريات تعارضاً مع اتجاهه .



احد عروض المسرح الصامت «البانتوميم» من اخراج المخرج الفرنسى ، وقدم العرض شباب فرقة مسرح الاضواء القطرى

شخصية الآخرين .

● هل تعتقد أن العامل المشترك فى (نهاية المطاف) بين اجزائها الثلاثة هو المصير أو أن الانسان هو الذى يقود نفسه أم ماذا ؟

ـ أعتقد أن الانسان راضخ للحتمية . فالعمل من خلال أصوليات المسرح الغربى يؤكد هذا لأنى عملت كثيراً بالتراجيديا الاغريقية وأعتقد اننا يجب أن نعمل كل شىء لكى نتقدم بقوتنا الخاصة

● كان اللون الغالب على مسرحيتك هو الأسود . ألا يوجد أية نقطة ضوء أو أية نقطة أمل فى الحياة الانسانية ؟

ـ اخرجت المسرحيتين عن الحياة والموت ولكنهما عن الموت خصوصاً لأن الموت فى الحياة الحديثة أصبح سرياً وخفياً وعندما يكون الموت خفياً لا نفهم الحياة وهذا ما لا نقبله فى الحياة والموت وهنا أيضاً استقطاب ورؤية العالم اختفيا فالانسان يخاف من الموت والشيخوخة ويحاول التهرب منها أما أنا فأحاول اظهار الموت ، وحب أو تقبل الموت ، فالموت ليس عنفاً ولا حماقة ولا مذابح ، تأتى هى بالنسبة لي حماقة الانسانية لأنه يمكن التفاهم حول المعنى الانسانى المقدس ويمكن إيجاد الحلول ولكن الموت كحتمية هو ما أحاول العثور عليه فى حياتى ولذا أخرجت المسرحية

● يقال ابحث عن السياسة . فى مسرحية (نهاية المطاف) عرضت مأساة الانسان ولكن من تعتقد أنه وراء هذه المأساة .

ـ المأساة الانسانية فى (نهاية المطاف) هى أن جزءاً من سبب هذه المأساة هو الانسان والمجتمع نفسه فالموت مختبىء بالشيخوخة وإذا كنا نخشى اليوم من الشيخوخة فهذا بسبب الانسان لأن الانسان نفسه يصاب بالشيخوخة ، وهى موجودة والموت موجود بحد ذاته ، أما الانسان فهو الذى يحطم كل القيم ويصبح المساعد للحياة الكمية التى لا يمكن أن يتحملها حيث يحافظ على الأشياء الكمية ويفرغها من مضمونها . إذاً وراء المأساة الانسانية هناك هذا الموقف الأحمق أى العيش فى حياة كمية يصر الانسان على العيش بها ولا يهجرها .

● ما رأيك فى المسرحى الالمانى جورج بوشنر الذى عاصر انتفاضة باريس فى الثلاثينات من القرن الماضى ؟

ـ هناك شىء لم أعد أقبله من بوشنر ، وهو طريقة رضائه عن نوع ما من حياة الليل ، لقد عانى الكثير بالتأكيد ووصل أخيراً الى موقف المخدوع تجاه المجتمع ، وهو على حق لأنه لم يجد انطلاقة أخرى فى حياته ، واعتقد أن هذا الموقف ليس بسبب المجتمع ولكن بسبب حياته الخاصة !

● ولكن هل تعتقد أن بوشنر تحول للأدب بعد فشله فى السياسة ؟

ـ كلا .. لا أعتقد ذلك مطلقاً .. فهو بالنسبة لي الأديب الأكثر نزاهة فى الأدب الالماني ، فهو لم يكتب أية كلمة لم يعايشها وعندما فشل فى العمل السياسى تألم كثيراً ولكنه فكر فى الاستمرار ، وأدى تفكيره هذا الى اعطاء معنى لعمله الأدبى ، ولم يكن ذلك هجرة من عمل لعمل آخر ، ففى عمله الأدبى كانت هناك قضية سياسية عايشها ، وفى عمله العلمى وجد أنه لم ينجح بمعايشته للمجتمع ، وهذه هى الثغرة الكبرى فى حياة بوشنر الذى عايش أفكاره وقررت ألا أعيش الآن إلا للحاضر !

● هل تعتقد ان المسرح سيخرج للأبد مستقبلا من قاعة ذات أربعة جدران الى الهواء الطلق كما كان فى الماضى ؟

ـ لقد خرج فعلا . ولكن كأى شىء نفعله فى أوربا ، فقد أغفلنا نصف ما يجب دائماً .. فالمسرح الايطالى الذى تلتزم أوربا حالياً به لم تكتشف قوانينه ولم تستغل كما يجب فنحن نقول انه يمكننا إلغاء هذه الجدران ولكننا لا نستطيع استغلال هذه الفكرة لأننا مازلنا نعمل من منطلقات فردية !

● رغم أنك ألمانى الأصل .. لماذا تركت وطنك وجئت الى باريس ؟

ـ تركته لأنى أبحث عن مسرح عالمى ، فالمسرح فى ألمانيا ألمانى وليس عالمياً .. وقد ذهبت الى باريس وقابلت عناصر مختلفة وأناساً من كل أنحاء العالم ، وهذا فى حد ذاته هام بالنسبة لي من ناحية الالتقاء بالثقافة العالمية !

ياسر السباعي

منهج مهرنج يتبلور فى ممارساته الابداعية ، كما يبدو واضحاً كذلك فى كتاباته التى ينشرها عن فن الممثل ، وقد صدر له أخيراً بباريس بتاريخ ١٠ مارس ١٩٨٣ م كتابه : « أقنعة محترقة » ، الذى يعتبر انعكاساً أميناً لاتجاهه المسرحى ورؤيته الفكرية للعالم وللاشياء .

انه يقول مثلا فى كتابه هذا :

« بخلاف المألوف فى المسرح التقليدى ، ينبغى ان تتحول منصة الاداء الى « المكان » الذى ينزع فيه الانسان أقنعته » .

ولم يوضح مهرنج على اى نحو يريد ذلك ان يتحقق ، وان كان من الواضح مع ذلك ان منهجه يرفض « الفكر الانتقائى » الذى يستجيب للاختيار من بين المدارس والاتجاهات الفنية المختلفة . فهو منهج لا يستلهم الفنون المسرحية التى سبق استهلاكها وهضمها ، وانما يعود بالأخرى الى الأصول الأولى للمسرح والى واقع « الانسان » ، ويتخذ من الحقيقة الذاتية للتركيز ، مع المطالبة بالحق الشخصى فى التعبير ، وفى المجازفة المستمرة .

ليس كل الفن جميلاً وليس كل الأدب جميلاً

شكوك حول قيمة الأدب والفن

بقلم : نعمان عاشور

من المركبات التى يستحيل تبسيطها القول الشائع الذى دخل فى مجال ما نسميه الحقائق البديهية .. وهى ان العلم الحديث استطاع ان يمكن الانسان أو هو فى سبيله أن يمكن الانسان من أن يسيطر سيطرة تكاد أن تكون تامة على الطبيعة والقوى الطبيعية . وأن العلم فى هذا التطور الساحق بطفراته المذهلة أصبح يعد سابقاً على الآداب والفنون بل ومتفوقاً عليها تفوقاً نهائياً فى عجزها الواضح من أن تمكن الانسان من السيطرة على مجتمعه الانسانى . ولذلك يسود الزعم المتصل القائل بان الآداب والفنون قد تخلفت عن اللحاق بركب العلم الظافر فى مضمار الحضارة المعاصرة وبحيث بات على أى انسان وخاصة الانسان العادى الذى تتشكل منه الاغلبية الساحقة من البشر .. بات من السهل عليه أن ينظر الى الآداب والفنون بمختلف ألوانها واتجاهاتها ومدارسها على أنها تحولت الى مجرد أدوات تطريز يوشى بها الانسان حياته وكأنها الحلى البراقة .. وأصبحت مجرد بهرج اجتماعى يزين بها حياته وحضارته .

ومع ما لهذه النظرة السلبية من دلالة ساذجة ومبسطة فى تقدير أهمية الادب وقيمة الفن والفكر فى حياة الانسان المعاصر .. فان فى تبسيطها او بالاحرى تقنينها على هذه الصورة الساذجة ما يزيغ عقول واحكام الكثيرين من اصحاب البصائر الثاقبة الذين لا يمكن لافهامهم ومداركهم ان تنظر الى الاداب والفنون بمثل هذه النظرة التى لا تختلف فى كثير عن النظرة الأرستقراطية المترفة فى غابر العصور وهى ان الادب لا يعدو ان يكون مصدراً للتسلية ومجلبة للسلوى والعزاء والتسرية الخالصة البحتة ، التى لا تفترق عن مصارعة الاسود فى عصر الرومان ومصارعة الثيران عند الاسبان ولعبة كرة القدم فى كافة البلدان هى وبقية تملأ ساحات عصرنا من مباهج عابرة وتسليات خاطفة .. بحيث باتت مشاهدة مباراة فى الكرة أهم من قراءة كتاب او مشاهدة مسرحية او الاستماع الى سيمفونية موسيقية او ارتياد متحف من متاحف الفن ..

شكسبير والأسطول البريطانى

والحقيقة انه لا يمكن انكار ان العلم بنتائجه المادية الكاسحة يعتبر متفوقاً ولكن تفوقه المادى الملموس انما هو مظهر من مظاهر الارتقاء الحضارى الذى يرتكن فى صميم جوهره على تقدم الاداب والفنون وهى ارقى واسمى نتاج للفكر الانسانى .. واخذاً بالتبسيط فى مثل هذا اللون من الجدل .. تحضرنا مقارنة ذائعة اجريت بين ادب شكسبير والاسطول البريطانى حاول فيها جيمس كالهان وهو ناقد شاب من اكسفورد ان يدلل على ان الاسطول الانجليزى الذى كسب لبريطانيا سيادة البحار ثلاثة قرون متتابعة او اكثر ..

يستحيل امام التطور الحربى الذى اكسبه العلم للطائرات والنفاثات ان يصمد مثلما صمد شكسبير زمناً طويلا فى تثبيت دعائم المجد البريطانى . فان ادب شكسبير يفوقه فيما اسداه من فوائد عظمى للشعب الانجليزى و لشعوب الأرض قاطبة فائدة تفوق أيام ماضيه فى ظل سطوة الأسطول وبالتالى فى الحاضر بعد انزوائه داخل شواطىء جزرها وفى المستقبل حين لن تكون هناك اساطيل على وجه الاطلاق ..

وتصبح القوة الحربية فى الفضاء وليست الارض ولا فى الماء ..

التبسيط المخل

على ان ادانة الادب والفن فى عصرنا الراهن لا تبعد باصحابها الى مثل هذه النظرة العميقة الكاشفة . وانما هى ترتد كليلة الطرف الى ما تحت القدم .. واعنى بذلك نتائج العلم وتاثيرها المباشر على الانسان الفرد .. وفى هذا المجال قد تجدى المقارنة مثلا بين محاولات العلم اليائسة لاكتشاف علاج السرطان واى نتاج ادبى او فنى اخر يمكن ان يفيد منه الانسان ما يعادل انقاذ حياته من هلاك محقق .. وهذا المنطق يستحيل مقارعته باى حجة كانت ولكن .. هل مثل هذه القضية على هذا القدر من البساطة ؟! الواقع انه يستحيل الفصل او المفاضلة . والقضية على هذه الصور تصبح نوعاً من التلاعب اللفظى بالمعانى .. كقضية البيضة والكتكوت وايهما يسبق الاخر او على اقرب تقدير كقضية المادة والروح وامكان الفصل بينهما .. وهل يعيش الانسان على الخبز وحده ؟!!

مكانة الأديب

والاولى بنا مادام هذا هو الشان الذى اوصلنا إليه التطور العلمى ان نعيد النظر والا نطعن فى قيمة انتاجنا من الادب والفن وفائدته وجدواه لان مثل هذا الطعن لن يؤخر ولن يقدم وانما يتطلب الظـــرف المراجعة المتانية لاهمية انتاجنا من الادب وقيمة انتاجنا الفنى بالنسبة لحياتنـــا ومعيشتنا ـ ولعل هذا ما دفع حكوماتنا ودولنا المعاصرة استجابة لرغبات الشعوب لان تحاول ما وسعها الجهـــد مساندة الكتاب والادباء والفنانين على انهم مواطنون غير عاديين لهم صفة التمايز وحق الرعاية من جانب المجتمع كله . وهذا ما جعل المأساة التى تتلبـــد غيومها فى سماء حياتنا الأدبية والفنية .. وهى مأساة ادانة الادب والفن تتراجع كثيراً عن ان ترتد بالاديب او الفنان الى وضعه القديم كبهلوان او مهرج او مضحك



بيتهوفن



اميل زولا



تشارلز ديكنز

او مداح يقف على اعتاب القصور ليستجدى القوت من اصحابها . كما كان الحال بالنسبة للشعراء فى ظل الملوك والاباطرة والادباء والمفكرين والفنانين فى ظل السلاطين والامراء . واجدر ما يمكن الاستشهاد به فى هذا المجال مقال رائع للكاتب المسرحى الايرلندى العريق شين اوكيزى اذ يقول فى احدى فقراته .. « لقد اصبحت القراءة ضروريةً للانسان المعاصر ضرورة الطعام والشراب . ولكنها كالطعام والشراب ايضاً يجب ان تكـــون قابلة للاستهلاك المباشر .. ولهذا تحتم الا يعيش من انتاج الادب والفن الا القليل النادر وذلك لابعد من ساعات التناول .. ولا مكان قطعاً للاديب الحق الذى ينشد لادبه الخلود والبقاء الا اذا كان صاحب قامة تمتد به الى افاق مترامية الابعاد .. ومن اجل ذلك وجب ان يلتزم طريقه فى الحياة فى نفس المسار الذى يشق به الخباز او الجزار او حتى صانع الحلى طريقهم .. وبالعكس فقد تكون لثلاثتهم القدرة او مبررات القدرة على الحياة وكسب القوت بما يفوق قدرة الاديب والحاجة اليه » .

الأصالة والمعاصرة

ولسنا نسلم بان الشك او مراحل الايمان حتم .. ولكن هذه النظرية التى تحاول ان تقوض قيمة الادب واهمية الفن فى عصرنا المادى القائم تجعلنا اكثر حرصاً من اى وقت مضى لاعادة النظر فى قيمة الادب وجدوى الفن وتقييم حقيقة وجودهمـــا واهميتهما بالنسبة لحياتنا المعاصرة اذ الواقع ان ظهور مثل هذا التيار المناقض للنتاج الادبى والفنى والفكرى انما يحمل بين طياته اخطر ما يمكن ان يتعرض له كياننا الادبى من عبث وازدراء .. لان مثل هذه الظاهرة لا يمكن ان تكون مجرد ظاهرة عابرة .. وانما مصدرها واصلها كامن بوضوح تام فى هزال النتاج الادبى والفنى نفسه وقصوره عن سد حاجتنا الحيويـــة منه .

والى هذا الوضع المتازم فى القيمة الحقيقية الفعلية لنتاجنا الراهن من الادب يرد القلق الواضح الذى يدفعنا لان نولى وجهنا شطر ما يعتمل فى باطن الحياة الادبية المعاصرة لنا فنحاول ان نتبين مدى تخلفنا عن ملاحقة التيارات العصرية المختلفة التى يتبلور حولها النتاج الادبى فى المجتمعات المعاصرة .. وان نعرض للمشكلة من جانب اخر هو جانب الكلف بما فى التراث القديم من مكونات اصيلة وقيم ثابتة .. وهو ما اصبح يفجر قضية الساعة .. قضية الاصالة والمعاصرة .. فان ذلك انما يدل على تنبه اكيد للحقيقة الصارخة .. وهى ان نتاجنا الادبى والفنى فى حاجة الى المراجعة الصحيحة والتقييم الشامل الذى يقيسه على اعمق وادق الاضواء وابرزها واقواها تلك التى تشع من الواقع الحي المتطور الذى ينظر الى نتاج الادب

شكوك حول قيمة الأدب والفن

كقوة مادية دافعة للحياة الانسانية قبل ان يكون تراثاً محفوظاً تتعاقب الاجيال على اقتناء رصيده .

ظاهرة عالميـــة

والحقيقة بعد ذلك كله ان هذه الظاهرة ليست قاصرة على ادبنا وحده . فالنتاج الادبى والفنى فى العالم اجمع يتعرض لنفس موجات التشكيك التى تطيف بانتاجنا ايضاً وان يكن على درجات متفاوتة .. والسبب كامن فى طبيعة عصرنا وظروف عالمنا الحديث وما اصبح يطرا عليه من تغييرات ومنها ميادين التعبير الادبى واساليب التعبير الفنى المتطورة التى تسرع بالعالم الى تغييرات ساحقة وجذرية . وهناك بحث طريف مقارن ظهر اخيراً فى انجلترا اشترك فيه عدة اساتذة من جامعاتها مع بعض زملاء لهم من الجامعات الامريكية والفرنسية . وقام البحث على اختيار مقال من شواطح الادب فى كل دولة من الدول الكبرى ذات المكانة السياسية حالياً .. فاختير مارك توين ليعبر عن الروح الامريكية وشارلز ديكنز ليعبر عن الانجليز واميل زولا ممثلا لفرنســـا وتولستوى عن عمالقة الروس .. وانصب البحث على قياس انتاج الاربعة العظام على ضوء الفهم الواقعى لما يمكن ان تحمله ادابهم وفنونهم التى ثبتت اصالتها على الزمن من مدركات فنية وموضوعية تتناسب مع حياتنا الراهنة . ان فى ادب كل منهم معالم التعبير العميق عن روح الشعب الذى نبع منه وكتب له .. ولكن .. هـــل لا يزال فى كتاباتهم ما يـــدل على ان استلهامهم للروح الشعبية قد خفت حد معالمه بفضل ما تطورت اليه الحياة عند الاغلبية الساحقة من ابناء هذه الشعوب بعد مرور اكثر من قرن على انتاجهم ودار البحث مستطرداً حول هذا السؤال فكانت النتيجة الاجمالية التى وصـــل إليها الدارسون ان خوالد الاربعة العظام قد شابها الاهتزاز الواضح فى التعبير عن روح هذه الشعوب بعد انقضاء قرن من الزمان .



احمد شوقى



عباس العقاد



طه حسين

القياس المقارن

والى جانب مثل هذه الدراســـات الجماعية فهناك مثلا كثرة لا يستهان بها من النقاد الانجليز تؤكد النضـــوب فى الانتاج المسرحى بعد برناردشو . وتقيس الانتاج الراهن من الرواية والقصة قياس القزم للمارد العملاق فى مقارنة بما انتج حتى بداية الربع الاول من القرن .. ونفس الشىء يتعرض له الادب الهندى .. فليس هناك من قامة تطاول قامة طاغور وكذلك يعانى الادب الامريكى حتى فى قاعة كتابة الاحياء المبرزين .. فلا قياس بينهم وبين ايوجين اونيل او ارنست همنجواى او غيرهما . اما فى مجال الادب السوفيتى فلن تجد ناقداً يمكن ان يناقش شيئاً من رصيده الراهن الضخم ويقارن بشىء مما ابدعه تشيكوف او جوركى اخر العمالقة على حد ما يوصفون .. ونفس الظاهرة عندنا .. فلا قياس بين شوقى وحافظ وطه حسين والعقاد والحكيم وما تبعهم من ادباء .. وهكذا ..

والقضية بعد يجب ان يراعى فيها تبدل الاجيال وحاجة كل جيل من الادب والفن ونوعية ما يمكن انتاجه .. وليست مجرد قضية ان ما فات لا يمكن تعويضه لان الانتاج الادبى والفنى .. انتـــاج متفـرد لا يخضع للتطور الذى تخضع له منتجات العلم ولا يقبل الزيادة او النقصان .. والا فكيف يمكن ان يضاف الى او يحذف من سيمفونية بيتهوفن اقل لحن او ابسط إيقاع .. الاصل كامن فى امكانية ملاءمة تغيرات العصر وظروفه مع طبيعة الانتاج الادبى والفنى الحقيقى الذى لابد وان يصمد مع تعاقب الاجيال وتغير المجتمعات وتبدل ظروف الحياة .. ثم مابات يتعرض له الانتاج الادبى الفنى فى مواجهة هذا التقدم العلمى الساحق فى وسائل التعبير الادبى والفنى الذى جعل من خلود الادب كما نراه .. ما يكاد يشبه الاسطورة البعيدة المنـــال .

نعمان عاشور

البوّابة الأولى

قصة بقلم : حمـــدي الكحلوت

غبش الصبح .. ونسائم ندية توشوش الوجه .. تتوقد يقظة ونشاطاً .. تبحث عن مكان لك وسط سطور من الفولاذ .. تقفز فى خفة فراشة .. وقوة نسر جريح .. الى اين ؟ الحقيبة في يد .. وقفص في اليد الاخرى .. الى اين ؟ ! .. وتقترب من البـــاب الرئيسي يطرق سمعك صوت ازيز مثير .. دوي حياة من نوع آخر .. يثير فيك الخوف والفرح .. يعد بعالم مختلف .. فيه مغامرة وغموض وانطلاق وسكينة .

وتبتلعك خلية النحل المثيرة .. تصبح احد افرادها .. ويفصلك الباب الزجاجي عن عالمك التعس .. الحبيب .. عنها وعنهم .. عن كل شيء وعن لا شيء .. والى اين ؟ .. يلاحقك السؤال .. والمشاعر الغريبة واسئلة اكثر غرابة ولكنها تعلو على ضجيج المكان وسحره :

ـ هل انت الآن سعيد ؟ ! .. ارجوك .. لا تسخر من سؤالي واجبني بصراحة ..

ـ نعم .. لبعض الوقت .. لا .. لا.. قليل فقط من أطياف فرح عابرة ومبهمة .

ـ إذن انت خائف ومرتبك ؟

ـ ومم اخاف ؟ لم يعد ما يخيفني .. تستطيع ان تقول توتر ينتج عن خليط من مشاعر وهواجس المقبل على المجهول .. بعد رحلة طويلة ومضنية .

ـ هل السبب انك ستكون بعد لحظات فى علبة صفيح على ارتفاع السحب تهتز بك بين حفر الريح ودورات محرك ملتهب ؟ !

ـ آخر ما كنت افكر فيه .. وان كان ليس مستبعداً .. لكن صوتها يطغى على كل شيء وهي تنوح .. عاجزة .. ذليلة .. مستباحة وتطلب ان نبقى عندها ومعها مثلما كانت هي دائماً .. آه .. هل يمكن ان تمحى هذه الصورة ؟ ! هل يمكن ان يطغى عليها صوت آخر ؟ ! ..

ـ نعم صوت السؤال الذي سيظل يلاحقك من أجلها .. إلى اين ؟ ..

يد من الخلف تنقر على كتفك برقة .. جاء دورك .. قدم اوراقك .. لا وقت للتامل هنا .. الابتسامة سريعة .. والاسئلة مثل الطلقات .. والاصابع المدربة تدور على صفحات وثيقة السفر .. تبحث فيها عن شيء خاطيء .. لابد ان يكون فيها شيء خاطيء .. والعينان تنتقلان في لحظ خاطف بين وجهك واوراقك وقفصك الغريب تعرف انك غير مرغوب .. تعرف انك موضع شك دائماً .. ولكنك تتصنع البراءة والغباء .. تبحلق في شرائطه الملونة على كتفيه وتمسح بعينيك غطاء راسه الانيق .. وتهبط بعفوية الى يده اليمنى المرتجفة فى رشاقة بالقلم الانيق فوق دفاتره وسجلاته وقوائمه الطويلة المتشابهة فى كل مكان .. يطول حبل الوقوف والضياع فتبدأ المحاكمة من جديد :

اسمع السؤال .. ولا تتهرب من الاجابة .. لا تحاول فلسفة الكلمات وكن واضحاً وصادقاً بقدر الامكان .. هل تعتقد انه بامكانك .....

لا تكمل .. اعرف ان الامر سيكون صعباً في البداية .. وستظل تلاحقني الاسئلة والاصوات والهواجس .. اعرف ، ولكن الزمن كفيل بتذويب كل شيء .. كل شيء .. وبعدها اتعايش مع المكان مثل سائر الناس .. وكذلك هذا القفص وعصفوري الجميل .. قليل من الحب والماء .. وقفص ذهبي اعلقه في مدخل البيت .. ويغرد باحلى الالحان ..

انت تحلم .. لن تتعايش ولن يغرد لك عصفور .. وسيظل الكابوس وراءك والسؤال يطاردك .

تتناول اوراقك .. تترك النافذة الاولى .. ونظرات الرجل الانيق تنفذ داخل جمجمتك ..تتحرك الى النافذة الثانية .. هنا تفتيش من نوع آخر .. يمكنك ان تصفه بانه دقيق .. ليس بمعنى الدقة المتعارف عليه .. بل الدقة المرتبطة بالظرف . منذ نصف قرن وما تزال ولا احد يدري متى يخرج هذا الظرف من تلك الدقة .. المهم الاجراءات هنا ضرورية ودقيقة .. من يدري .. ربما كنت تخبيء اشياء غير مرغوبة فى ثيابك .. ربما .. واذن ضع كل ما تحمله من اشياء هنا .. قف هناك داخل الجهاز .. الآلات لا تكذب .. ولا تعرف المجاملة .. اتسمع .. انها تصرخ .. هذا ينذر بانك تحمل شيئاً .. اسمع .. لماذا انت مزعج .. عد ثانية .. لنبدأ من جديد .. الاحسن هذه المرة ان تتخلص من ملابسك .

هل انتم جادون ؟ ! .. ولماذا ؟ ! وكيف تسمحون للجميع الا انا ؟ ..

اسمع للمرة الاخيرة .. انت غير مرغوب .. ويجب أن لا تمر بسلام .. ولابد ان يكون دائماً ما تخفيه .. وانت لا يعجبك شيء .. قل لنا اذن ماذا وراءك ؟ ! ولآخر مرة ..

اقسم لكم انني لا احمل سوى جلدي وثيابي وحفنة افكار يائسة لا تؤذي احداً ..

هاها .. هاانت تعترف إذن .. اخلع وإلا .

لا .. لا .. لا داع .. مهلا .. مهلا .. تكفيني ورقة توت .. ودثار من الخـــوف .. وبصيص امل ..

ها أنت بدأت تفهم .. ولا سبيل امامك سوى ان تصارحنا بكل شيء .. وإلا .. انت تعرف الباقي جيداً ..

نعم .. نعم .. ساقول كل شيء .. ما دامت هذه رغبتكم .

وتجلس وحيداً .. بعد ان مضى الجميع .. وصمت الدوي .. وتفتح القفص .. يخرج عصفور اخضر .. لا يلتفت يميناً او يساراً .. يصفق بجناحيه وينطلق في لمح البصر .. تتعالى ضحكات غبية .

أهذا كل ما تخبيء ؟ ! ..

ويتعالى الضجيج .. ويتحول الازيز إلى نعيق ونحيب .. وينفضون من حولك .. أخيراً لم تعد مطلوباً .. تخطو إلى الخلف .. تبحث عن العصفور .. تحمل الحقائب والأوراق .. ومن نفس الباب الذى جاهدت لتدخل منه تبحث الآن عن مخرج .. وتنسل خارجاً .. تشيعك القهقهات والسخرية .. والنظرات الشامتة ليتك لم تات هنا .. ليتك ..ليتك ...

لم يتغير شيء في خلية النحل ... تركتها كما دخلتها .. كان صوت مميز لمكبر صوت هادىء يطلب في اناقة من حضرات المسافرين .. أن يستعدوا للمحطة التالية .. وأن يتوجهوا إلى البوابة الثالثة .. وكنت انت وحدك المتوجه إلى البوابة الاولى بعد أن وجدت الاجابة على سؤالك .. إلى اين ؟

أضواء جديدة على أكبر مغامرة في تاريخ الإنسان

كريستوفر كولومبوس

ماذا بقي منه بعد خمسمائة عام على اكتشافه المثير؟

بقلم: عبد العزيز السيد المصري



لوحة زيتية نادرة للمكتشف الايطالى كريستوفر كولومبوس



طيور جزر الكاريبى التى وقعت عليها عيون البحارة اثناء رحلتهم الشهيرة ..

فى تاريخ الانسانية أحداث تمثل تحولات جذرية فى مسيرة الحضارة .. وقد كانت روح المغامرة هى التى جعلت الانسان الطموح يقتحم المجهول ويعرض نفسه للمخاطر فى سبيل اكتشاف العالم من حوله ، كما كان هناك رجال أفذاذ لعبوا دوراً هاماً فى مجال الاكتشافات الجغرافية التى كانت بمثابة هزات كهربية امتدت موجات وراء موجات من الاكتشافات ، بداية من عصور الحضارات القديمة ـ المصرية والفينيقية والرومانية والعربية ـ حتى عصر الاكتشافات الحديثة التى بدأها المستكشف الايطالى الشهير كريستوفر كولومبوس..
وإذا كان كريستوفر كولومبوس قد مات وهو يظن أن العالم الجديد الذى اكتشفه ليس إلا



السفينة «نينا» فى قبضة العاصفة ، اثناء عودتها من الرحلة الاولى التى قام بها كريستوفر كولومبوس

جزءاً مجهولا من بلاد الهند ، فان ذلك لم يسقط حقه فى أنه كان أول من وطئت قدماه أرض العالم الجديد (الأمريكتين) ..

وإننا إذ نقدم أول دراسة شاملة لرحلات كريستوفر كولومبوس الأربع ، إنما نلقى الضوء على واحدة من أخطر لحظات التحول التاريخى فى العالم ، فقد ترتب على تلك الرحلات امتداد حركات الكشف حتى شملت مناطق متعددة فى كافة انحاء الدنيا ، بل وركبت الاطماع الاستعمارية موجات هذه الاكتشافات فى كل مكان ، وهى التى لم يفق منها العالم إلا منذ سنوات !

الرحلة الأولى

كان كريستوفر كولومبوس ، كغيره من مثقفى عصره ، يعلم أن الأرض كروية ، ولئن كانت معلوماتهم عن حجم الأرض وطول محيطها غير دقيقة ، فقد كانت معلومات كريستوفر أشد بعداً عن الصواب .. فقد انتهى من دراسته للخليط المشوش من آراء السابقين بما فيهم الجغرافى الاغريقى بطليموس و « بيير دى إيللى » والرحالة «ماركو بولو» الى اقتناع راسخ بأن محيط الأرض عند خط الاستواء يبلغ ١٦٢٠٠ ميل بحرى فقط ، وأن المسافة بين جزر كناري واليابان شاملة كلا من أوروبا وآسيا تشغل وحدها ١٣٥٠٠ ميل من هذا المحيط !

وقد سيطر عليه هذا الاقتناع وانتهى به إلى مشروع الوصول إلى الشرق عن طريق الغرب فى رحلة لن تطول عن ٢٧٠٠ ميل أو ٢٤٠٠ ميل فقط إذا سلك الطريق الأقصر على طول خط عرض ٢٨ شمالا لنصل الى سيبانجو « اليابان » .

ترى ماذا كان يجرى به التاريخ لو أن مستشارى الملك البرتغالى الذى حاول كولومبوس أن يبيعه مشروعه قد اقنعوه بخطئه ؟

لم يكن كريستوفر كولومبوس ليتحول عن هدفه ، أو يثنيه عنه شىء ، وإذا لم يستطع البرتغاليون أن يقتنعوا بمشروعه ويعاونوه عليه فماذا عن منافسيهم الأسبان الذين أخذ نجمهم فى الصعود ؟

رحل كولومبوس ذو الثلاثة والثلاثين عاماً إلى بلاط فرديناند وايزابيللا .. سبع سنوات وكولومبوس يلاحق الملك والملكة بالتماساته وتوسلاته ويحشد من استطاع من أصدقائه من ذوى النفوذ والسلطة لعل الملك يسمح له بالمثول بين يديه .. ولكن الثمن الذى كان يعرضه لمشروعه باهظ بالنسبة لمملكة تخوض حرباً ضد القوات العربية فى اسبانيا .. ليس سفينة واحدة بل ثلاث سفن ، وليس مجرد جائزة تعطى له إذا نجح ووصل إلى الهند ، ولكنه يطلب وثيقة وغطاء من الاسلحة وعشر الثروة التى سيجنيها الأسبان اذا وجد هذا الطريق القصير الى الشرق ..

كانت الملكة تصغى متعاطفة مع كريستوفر . يبدو انه كانت لديه طريقته فى إقناع السيدات حتى الملكات منهن – ولكن مستشاريها واجهوا كولومبوس ، ربما بنفس الآراء التى عارضه بها البرتغاليون .. وقبل أن يرفض مشروع كولومبوس للمرة الثالثة شارك فى حدث انتهى بحظه إلى مفترق الطرق .. سار كولومبوس خلف قوات فرديناند وإيزابيللا عندما دخلت الحمراء بغرناطة آخر المعاقل الحصينة لمسلمى أسبانيا .. وعلى ملأ من الناس مثل بين يدى الملك والملكة .. واستمع الملك إلى مشروعه بلا اهتمام أو مبالاة وشيعه بفتور أوهن عزمه وأطفأ وهج الحماسة فى نفسه .. وامتطى كولومبوس جواده كسير النفس ضائع الأمل منسحباً من الميدان .. فهل كانت هذه النهاية لأحلامه ؟ لقد أسرع أمين خزانة الدولة « لويس دى سانتانجيل » الى الملكة يعرب عن دهشته من أن الملكة الجسور لم تشجع كولومبوس ولم تمد له يداً فى هذه المخاطرة الصغيرة .

لابد أن محركاً غرزياً مفاجئاً جعل الملكة تدرك أن « سانتا نجيل » على صواب فى نظرته الى المشروع وتقديره لهمة هذا الايطالى الوسيم .. واقتناعه بمشروعه المجنون عن الهند .. لعله ينجح فيكون نجاحه حينئذ بشيراً بفجر جديد لأسبانيا .

وفى واحد من المواقف المدهشة التى صنعت التاريخ الانسانى رفضت إيزابيللا عرض سانتا نجيل وأبدت استعدادها بأن تقدم مجوهراتها الخاصة كضمان لهذا المشروع .. وأرسلت الملكة رسولا ليعود بكولومبوس ..

● رفض البرتغاليون إعطاءه سفينة فاستغاث بالأسبان

● الثروة كانت أهم أهدافه أثناء رحلاته لاكتشاف الطريق القصير إلى الشرق

ثم .. بدأت رحلة المغامر العنيد إلى الشرق عن طريق الغرب ..

وفى يوم الأحد بعد ٢٤ يوماً من بدء الرحلة رأوا مجموعات من الأعشاب البحرية تبدو كأنما اقتلعت حديثاً ، وفى يوم الأثنين ظهر طائر أبيض من الأنواع التى لا تنام على سطح البحر .. وسقط المطر يوم الأربعاء ولم تكن هناك ريح .. واعتبر الملاحون هذه الظواهر دلائل تشير إلى وجود أرض قريبة .. وبعد ستة أيام أخرى غربت الشمس ولاحت على طرف الأفق جزيرة .. لكنها كانت مجرد سحابة .. وشكا الرجال من طول الرحلة وهددوا بالعودة سواء أمر القبطان أو لم يأمر .. ومرت ستة عشر يوماً أخرى وحينئذ رأى بحارة احدى السفن لوحاً صغيراً وعصا مصنوعة على شكل أداة .. والتقط الجميع انفاسهم مرة أخرى حين رأوا هاتين العلامتين ، واستخفهم المرح بعد طول الحيرة والضجر واليأس وظهرت اليابسة بعد منتصف ليل اليوم الواحد والسبعين بساعتين ..

كانت جوانب الجبال ابريق قمر متوهج ،

كان المواطنون يتميزون بالجمال والدماثة .. لهم لون سكان جزر الكناري ، ليسوا سودا ولا بيضاً ، يدفعون بقواربهم المنحوتة من جذوع الأشجار نحو المراكب بهدايا من الببغاوات والرماح وحزم القطن .. كانوا يسمون جزيرتهم جواناهانى .

عندما غادر كريستوفر « جوانا هانى » كان على ثقة من أن الجزيرة التالية لن تكون فقط مقر ملك اليابان الذى يحمل إليه رسالة من الملكين الاسبانيين ، وفيها ترك مكان اسم الملك خالياً ليملأه كريستوفر حين يعرف اسمه ، بل إنها أيضاً مصدر الذهب الذى كان يتحرق شوقاً للعثور عليه فعندما كان الهنود يسألون عن حليهم الذهبية القليلة من أين حصلوا عليها كانوا يشيرون دائماً إلى الأمام .. الجزيرة التالية .. سلسلة الجبال التالية .. وهكذا . وظلت نينا وبينتا وسانتا ماريا تنتقل بين جزر بهاما الوسطى من واحدة إلى أخرى محاولة جهدها تجنب حدوث كارثة فى هذا التيه المجهول المليء بالمفاجآت .. واتجه كولومبوس جنوباً إلى كوبا ثقة منه أنها جزء من أملاك الخان الأعظم .. وأساء كولومبوس بسبب لهفته فهم محاولات الهنود

إخباره من أين جاءوا بذهبهم ، وأرسل بعثة بعيداً إلى داخل الأرض .. إلى أعظم الموانىء المسمى « زيتون » فقد كان يعتقد أن امبراطور الصين يقيم هناك ، وعاد المبعوثون ليقرروا أنه لا شيء هناك سوى حفنة بيوت من القش وبضع مئات من الهنود ولكنهم رأوا عجباً !! رأوا الناس ينفثون دخاناً لاذعاً يجذبونه من لفائف من أوراق النبات .. وكان ذلك أول لقاء بين أوروبا وبين الطباق .

قفل كولومبوس راجعاً بسانتا ماريا ونينا تجاه الشرق قانطاً حزيناً لأنه لم يجد ذهباً ولا توابل فى كوبا (وكانت السفينة بينتا قد أقلعت إلى أقصى مناطق بهاما الجنوبية بحثاً عن الذهب) وابحر عابراً ممر الرياح .. كانت الأراضى الجبلية التى ترتفع أمامه تذكره باسبانيا فى شهر مايو ، وكان يشعر أيضاً بالخيبة لأنه لم ير أفيالا

ومن هنا جاء ظنه أن الأفيال كانت هناك مختبئة فى الغابات ، لأنه سمى موقعاً على الشاطىء الشمالى لهاياتى « راس الفيلة » .

وعلى خليج « أكيول » كان الساحل مزدحماً بالهنود المشوقين لرؤية الأغراب وسفنهم المجنحة

اليوم هو الثالث والعشرون من ديسمبر وربما قد اقتنع الرجال أن يقضوا « الكريسماس » عيد الميلاد على السفن الراسية لأن هنديا ذكر أن الذهب قد أتى من مكان يسمى كيباو – وهو الذى مازال اسم هيسبانيولا الوسطى – فقفز ذهن كولومبوس إلى استنتاج خاطىء وصاح : كباو هو طريقة الهنود فى نطق كلمة سيبانجو .

وقبيل فجر عيد الميلاد وبينما نسيم الليل يهب من الأرض هيناً رقيقاً نشر كولومبوس أشرعته على أمل أن يقضى عيد الميلاد مع ملك اليابان فى قصره الممهد بصفائح الذهب التى يبلغ سمكها قدر إصبعين . وعلى عكس ما كان يتوقع حبستهم الرياح طول ذلك اليوم .. وكانت سانتا ماريا لساعة قبل منتصف الليل ترقد على بعد أميال قليلة خلف الرأس الثانى ، و « لينا » تقود الطريق ، وسقط كولومبوس متعباً فاقد الحركة فى مؤخرة « كابينة » مقصورته ، وجمد البحارة المكدودون حيثما كانوا وبقى صبى مستيقظاً يراقب ذراع الدفة .. ماذا يقلق هناك ؟ الماء ساكن

● بعد سقوط غرناطة الأندلسية ضاعت كل أحلام المغامر العنيد

● أصيب بالخيبة عندما لم يشاهد أفيالاً فوق الأرض التي اكتشفها

هادىء كأنما هو فى كوب ، وفى منتصف الليل .. وبخفة لم يكد يشعر بها إلا ذلك الصبى المستيقظ من بين ٤٠ ملاحاً انفلتت سانتا ماريا سفينة القيادة .. وانزلقت فوق الصخور المرجانية .. لقد أسلم كولومبوس نفسه لفخ يقف له شعر كل بحار .. ورقدت السفينة على أرض صلبة على كف المد الساقط .. وكلما هبت رياح الليل دفعتها مع كل هبة إلى مسافة أبعد فوق صخور المرجان حتى انفتح خط اللحام فى قاعها وامتلأت بالماء .

لابد أن كولومبوس قد قضى عيد ميلاد تعس وهو يلوم نفسه ويلوم الآخرين ويحاول أن يجد كل أنواع الأعذار والمبررات . وأبدى الزعيم الهندى جواكنجارى أسفه العظيم وأرسل إلى السفينة شعبه كله فى عدد كبير من القوارب الواسعة للمساعدة فى استنقاذ أى شيء يمكن الانتفاع به .

وفى الرابع من يناير قاد كولومبوس سفينته بين الشعاب منطلقاً إلى عرض البحر مطمئن القلب واثقاً من أنه سيعود من أسبانيا ليجد « لا نافيداد » مفعمة بالذهب .. وبينما هو متجه نحو الشرق رأى ثلاث عرائس ماء برزن من البحر لم يكن على هذا القدر الفاتن من الجمال كما صورتهن الأساطير ، فقد كانت عرائسه التى رآها بعض خراف الماء ..

هنا ، فيما يسمى الآن جمهورية الدومينيكان حدثت أولى المناوشات العدائية بين الأسبان والهنود .. فقد أمر الأدميرال بانزال قارب صغير ليحاول الرجال شراء كمية من البطاطا الحلوة .. فلما وصل البحارة إلى الساحل وجدوا حوالى خمسين مقاتلا شرس الهيئة يكمنون لهم بين الأشجار .. وتحرك الهنود نحوهم باسلحتهم من الاقواس والسهام والرماح والهراوات المصنوعة من خشب النخيل .. وبرغم أن البحارة لم يكن عددهم يزيد عن سبعة فقد استجمعوا الجراة الأسبانية التى جعلت من الممكن خلال القرن التالى هزيمة قارتين عظيمتين بحفنة من الأوروبيين ، وهاجموا الهنود بهذه الروح فلاذوا بالفرار تاركين معظم أسلحتهم ، فسمى كولومبوس الخليج خليج السهام ، وأعلن الأدميرال سروره بما حدث .. فلو سمع به بقية سكان الجزر الأخرى سيفكرون مرتين قبل إثارة المتاعب لمعسكر « نافيداد » .. فكرة مريحة ومواسية أنسته وهو يحول سفينتيه المكدودتين .. فقد ، انضمت إليه « بنتا » نحو الشرق لرحلة طويلة أشد خطورة وأكثر افتقاداً إلى الأمان .. رحلة العودة إلى أسبانيا .

لم تكن رحلة العودة نزهة كما كانت رحلة الخروج بالرغم من أن السفينتين الشراعيتين الصغيرتين كانتا تطيران أمام رياح معتدلة كطائرين يستحثهما الشوق إلى العش .. كانت الرياح لينة حلوة كما وصفها الأدميرال ، ولكنها أخذت ترتفع وتشتد يوماً بعد يوم .. وأوشكت « نينا » بسبب عدم توازنها أن تنقلب فأمر كولومبوس بملء جميع البراميل الفارغة بماء البحر لتحتفظ السفينة المتارجحة بتوازنها وثباتها .

وفى يوم الخميس ١٤ فبراير – بعد أكثر من شهر من ترك كولومبوس لنافيداد – فقدت السفينتان الصغيرتان الاتصال احداهما بالأخرى .. وفى غبش الفجر المخنوق بالعاصفة ظنت كل منهما أن الأخرى قد دمرت وغرقت ..

وفى اليوم نفسه انسحبت العاصفة القوية وسكنت

الأمواج وهدأت الريح فلمح البحارة أرضاً .. وحدس كولومبوس أنه قد وصل إلى احدى جزر الأزور التى تبعد حوالى ٩٠٠ ميل عن الوطن .. والواقع أنه لم يكن يعرف يقيناً أين هو .. وكان همه أن يفلت بسفينته بعيداً عن الصخور والشعاب المهلكة الكامنة تحت سطح الماء وأن يظل بعيداً حتى ينجلى الأمر .. كان ذلك فى صباح يوم الأثنين قبل أن تتمكن سفينته من الوصول إلى أية أرض وتلقى بمرساة .. ولما تأكد للأدميرال صدق حدسه رسا





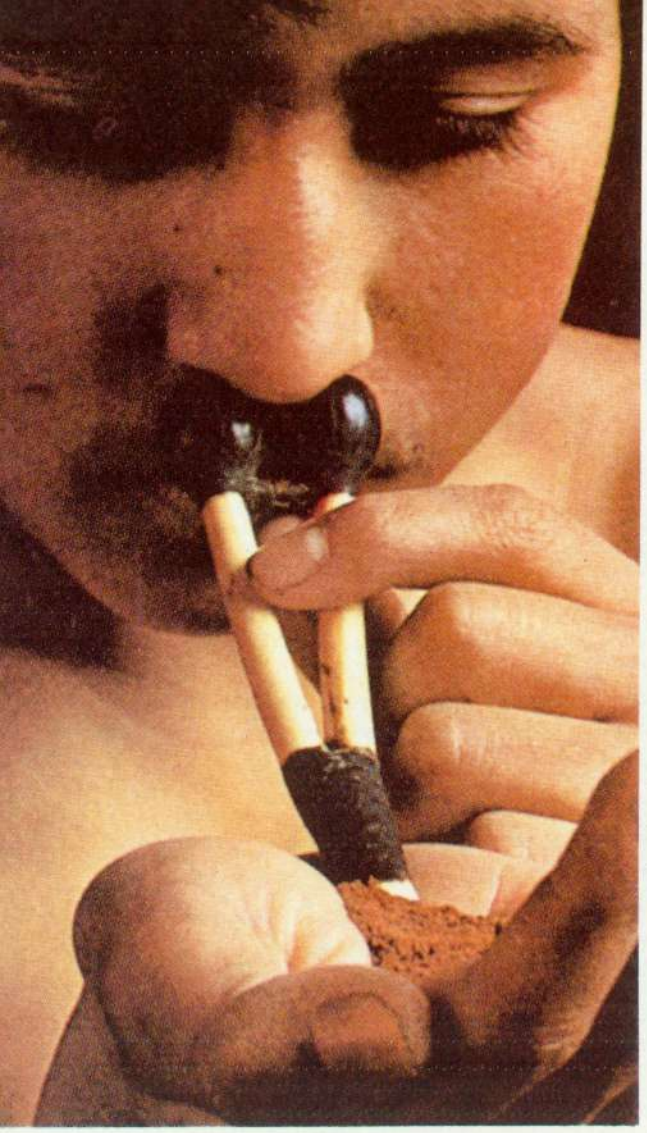
صقر علق الهنود فى مخالبه اجراس ذهبية .. ثم اخذ هذه الاجراس هندية من بنما ، تزين انفها بقرط من الذهب !

بسفينته قبالة قرية صغيرة ..
واقلعت نينا ثم وصلت إلى برشلونة فى ٤ مارس ١٤٩٣ م بعد نجاتها من عاصفة مروعة جعلت الرجال يعتقدون انه لا منجاة لهم منها

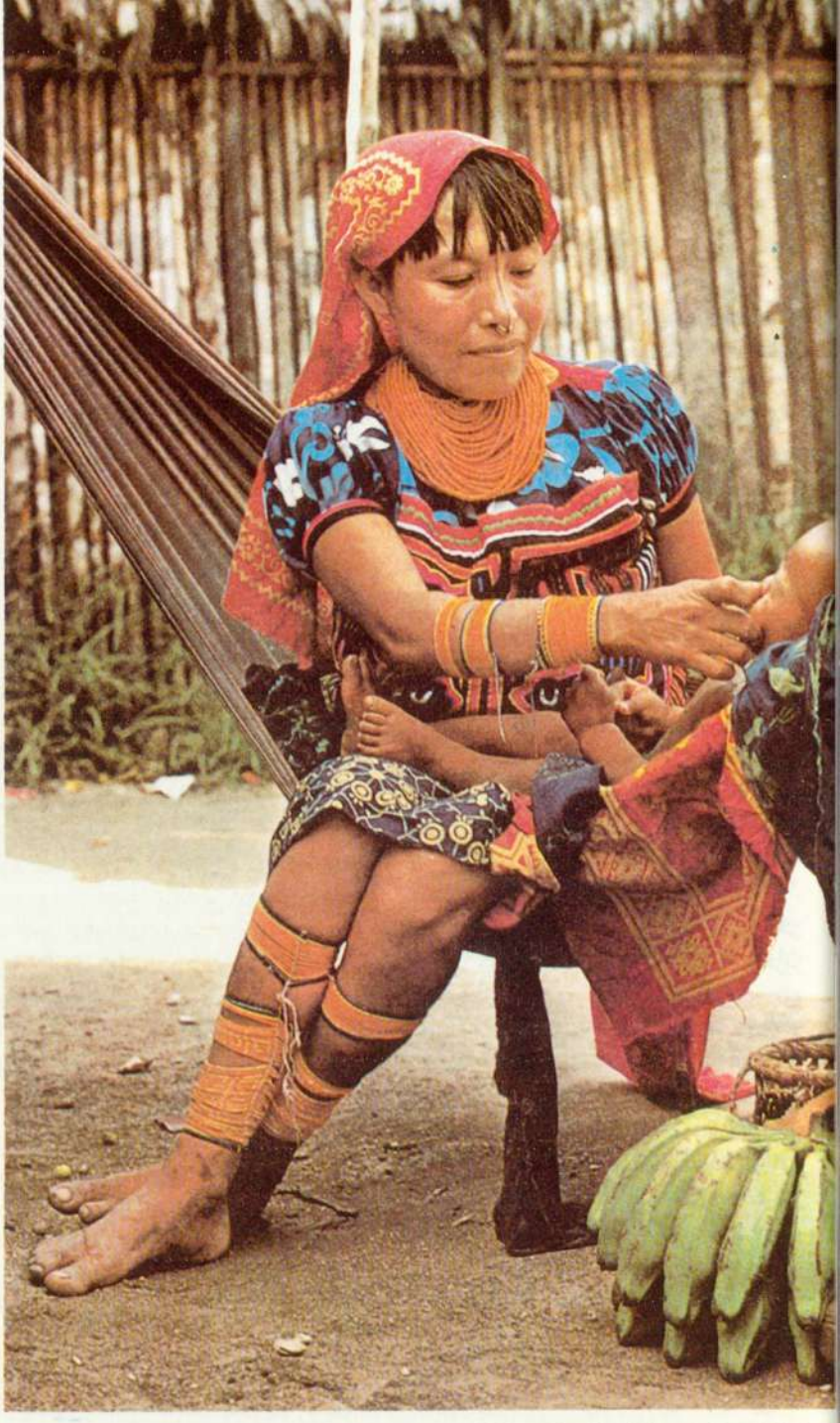
لابد أن قلق كولومبوس وهمومه تبددت جميعاً على أصوات وهتافات البرتغاليين الذين هرعوا للترحيب بالمستكشف المنتصر حين علموا انه وصل عائداً من بلاد الهند « كان الناس الذين ذهبوا إلى المركب الشراعى من الكثرة بحيث كان من الصعب رؤية البحر فقد امتلأت صفحته بجميع أنواع وأحجام قوارب البرتغاليين » .

وفى الثالث من مارس رفع كولومبوس مرساته وانطلق باشرعة جديدة نحو أسبانيا .. والقت « نينا » مراسيها بسكينة وطمانينة بعد يومين امام « بالوسى » فى « ريو تينتو » بعد نصف سنة تقريباً من تاريخ إقلاعها برجالها الشجعان المشوقين إلى المجهول مقتحمة ظلمات المحيط .. وحدثت المفاجاة الثانية حين اطلت السفينة المفقودة « بينتا » من وراء الأفق بعد ساعات قليلة من وصول « نينا » راكبة نفس المد المرتفع الذى حمل « نينا » .. لقد اخطات جزر الأزور .. وربما كان ذلك سبب إفلاتها من قبضة العاصفة الثانية المخيفة

كان معظم البحارة من « بالوسى » والمدن المجاورة .. ومن المؤكد أن كل فرد من الاقليم قد هرع إلى النهر ليرى الهنود الذين جاء بهم كريستوفر ، وليرحب بالأبناء والأزواج العائدين وليطاطىء الراس حسداً عندما يعلم أن بعض الرجال قد بقوا فى بلاد الهند .. توقعاً منه أنهم سوف يكدسون من



لقطة نرى فيها طريقة الكاريبيين فى التدخين
ففى هذه الرحلات تم اول لقاء بين اوربا والطباق



فتاة كاريبية ترتدي ازياء تقليدية مزركشة ..

الذهب ما يغنى اسرهم مدى الحياة .

بعث كولومبوس برسالة إلى فرديناند وإيزابيللا من لشبونة ولم يكن هناك ما يؤكد وصولها إليهما لأن الحكام البرتغاليين لم يكونوا جد سعداء بفوز الأسبان وإحرازهم هذه الجائزة العظمى .. لذلك اسرع بارسال رسالة أخرى من « بالوسى » وبعد ثلاثة اسابيع تسلم رداً من لشـــــبونة وهو فى « اشبيليه » على بعد ٢٠٠ ميل كان مجرد قراءته للتحية يكفى ليجعله يطير من الفرح .. فقد خاطبه العرش بلقب كولونيل وأنه أدميرال البحر المحيط ونائب الملك وحاكم الجزر الهندية المكتشفة ..وناشده الا يتاخر فى العودة .

وكم كان موكب الأدميرال رائعاً وهو يرتدى ثياباً موشاة تليق بالمرتبة والألقاب الجديدة .. يمتطى جواده يتبعه احد ضباطه ، ثم حاشية من خدمه ثم ستة من الهنود .. وعلى طول الطريق فى الريف الأسبانى احتشد الفلاحون وتجمهر سكان المـــدن ليروا الرجـــل المغامر ولينظروا بدهشة إلى أسراه الوثنيين وإلى الببغاوات فى الأقفاص ، وإلى الأقنعة الذهبية .. وغير ذلك من الأشياء العجيبة التى لم يسبق لأحد فى أسبانيا أن شاهدها أو سمع بها .

الرحلة الثانية

ربمـــا احتفـل فرديناند وإيزابيـللا باستقبال كولومبوس فى قاعـة تينيل التى

يملؤها صدى خطوات السائحين الآن ، وعندما اقبل ليقبل أيديهما نهضا ليستقبلاه كما يستقبلان سيداً عظيماً .. وأذنا له بالجلوس فوراً .. ووضعت فى هذا اليوم خطة الرحلة الثانية .

اتخذ كولومبوس سبيله عائداً عبر أسبانيا .. ليأخذ الطريق إلى مدريد ثم إلى دير « جواد يلوب » ليوفى بنذره الذى نذره فى أثناء العاصفة العاتية التى أودت بسانتا ماريا .. !

تجمع الأسطول العظيم المكون من ١٧ سفينة بما فيه « نينا » للمرة الثانية عند « كاديز » الميناء المزدحم الذي لا يزال حتى اليوم يعطي الشعور بعبق الأيام الماضية وروحها . وحشد للعمل في الأسطول فلاحون عديمو الخبرة ..لابد انه فغر فاه دهشة وقلب كفيه عجباً أمام هذا المنظر الهزلي ..

وفى خلال رحلة ثلاثة أسابيع هادئة من جزر كناري .. ارتاد كولومبوس طريقاً لا يزال يستعمله بحارة اليخوت الحديثة اليوم .. كان المرشدون الهنود قد أخبروه عن جزر عجيبة تمتد على شكل قوس وعر الى ناحية الجنوب من « هيسبا نيولا » .. وفى فجر الاحد ٣ نوفمبر سنة ١٤٩٣ رأى مراقب سفينة القيادة « نوتى مارى » أرضا تغطيها غابات كثيفة .. ما زالت تحمل اسم دومينيكا الذي سماها به كولومبوس حتى اليوم .. وذلك نسبة الى اليوم التى اكتشفت فيه ..

لم يقرر الأدميرال الرسو بها فقد كانت تغص بالكاريبيين .. المحاربين آكلي البشر .. الذين يشنون غاراتهم على القبائل الاخرى لاغتنام الرقيق .. وقد حذره مرشدوه الهنود المرتعبون منهم فى رحلته الأولى .. ومن اسمهم « كاريبي » جاءت كلمة « كانيبال » أي آكلي لحم البشر .. وعندما توقفت عند « جواديلوب » اكتشف رجال كولومبوس الدليل الكافي على وحشية هؤلاء الكاريبيين .. فقد وجد الرجال فى بعض المنازل المنعزلة لحماً بشرياً مشوياً ومسبكاً ، وأسرى يرثى لحالهم فى انتظار الذبح ، وأولاداً صغاراً ومسمنين للطبخ ، اما البنات فقد احتفظ بهن أحياء لينتجن مزيداً من الأولاد الذين يستطيب الكاريبيون لحومهم .

وفى « لاجراند إنى » احتمت سفن الأدميرال السبع عشرة وراء صخرة ضخمة من شلال متدفق تنصب مياهه من وراء القمة السامقة ، وتيارات الماء الهائجة تتفجر عبر مدخل يضطرب بالموج والزبد بينما القوارب الصغيرة التى يركبها الأوربيون المتحرقون شوقاً لأول اتصال بينهم وبين العالم الجديد تروح وتغدو .. لابد أن جمال الأرض الخلاب قد بهر أولئك الرجال القادمين من جبال أسبانيا الجنوبية الجرداء .. وكانت نضارة «جواد يلوب» أول شرك يقع فيه الملاحون .. فقد اضاعت مجموعة من البحارة نفسها فى الغابة .. وأرسل كولومبوس وراءها أربع مجموعات بحث أخرى تتالف كل منها من خمسين رجلا .. ولم يعد أحد .. وظلت الأيام تتسرب ولم يظهر أثر لهم .. فتعجل كولومبوس السير إلى « هيسبا نيولا » .. كان يتوقع أن يجد براميل المياه وجرار الزيت التي تركها وراءه فى « نافيداد » قد امتلأت وفاضت بالذهب .. وفى جزيرة يسميها الوطنيون « أياي » وسماها كريستوفر سانتا كروز وتسمى الآن « كرويكى » حدث صدام آخر مع الهنود جرح فيه أوروبي وهندي جرحا مميتا ..

أسرع الأدميرال تحثه الأخيلة السعيدة بصور الذهب يملأ أرجاء الحصن .. وبعد رحلة يوم واحد وصل المرفأ الذي ترك فيه الرجال .. ووقعت عيون الجماعة التى نزلت الشاطىء على منظر مشئوم .. جثتين يلتف حول عنق إحداهما حبل غليظ .. وفى اليوم التالي عثروا على جثتين أخريين قد سحلتا بوحشية وقسوة .. وأمام « نافيداد » أطلقت السفن بضع طلقات فلم يرد عليها أي موقع على الشاطىء .. وفى اليوم التالى نزل الأدميرال إلى الساحل وصدمه الشعور بالألم والفجيعة حين رأى الحصن والمنازل قد تحولت إلى رماد .. ولا أحد هناك ليساله عما حدث !!

استطاع كولومبوس أن يكون أجزاء القصة من مجموعة الأخبار والشواهد .. فالمتاعب لا تبرز دائماً إلا من مصدرين شديدي الانفجار : النساء والذهب ، فبعض قبائل الهنود الذين يستولون على المعادن النفيسة من غيرهم ولا يكلفون أنفسهم جهد البحث عنها واستخراجها ، واولئك الأسبان الذين ضلوا فى منطقة « كونابو » احد زعماء الهنود .. أثاروا غضب ذلك الزعيم فقضي كونابو على النهابين المغتصبين ، وانحدر الى « نافيداد » فأحرق الحصن والمنازل وسوى بها الأرض وصاد الأحياء من المقيمين الواحد بعد الآخر .

قرر كولومبوس إعادة بناء « نافيداد » التى كان فقدها نقطة تحول فى حياته كمكتشف : فقد رأى أن تعزيز الوجود الأسبانى بانتصارات تلو انتصارات قد صار أمراً حتمياً حتى لا تتوالى عليه وعلى رجاله تلك الكوارث والنكبات . وفشلت المحاولة الثانية لبناء مستعمرة فشلا مؤسفاً كسابقتها فقد كان كولومبوس مكتشفاً ومغامراً .. مشوقاً الى الرحيل ثانية فى طلب الذهب وإلى اكتشاف أرض أخرى جديدة لكنه وهو يحاول البحث هنا عن موقع جديد لنافيداد ويخطط لاقامة مدينة تحمل اسم الملكة إيزابيللا قادرة على الصمود والبقاء كان أشبه بمستعمر .. وبينما كان بعض الرجال يبنون بيوتاً أشبه بالكبائن الصغيرة ، خصص الأدميرال آخرين لبناء سوق فسيح وفى مقدمته كنيسة وحصن وابنية أخرى من الحجر الجيري .. وشغل نفسه بتجريد حملات إلى الداخل بحثاً عن مناجم الذهب ثم ترك بعدئذ القيادة لأخيه دييجو منطقاً فى رحلة إلى البر الأصلى للهنود ، الساحل الجنوبي لكوبا .

وعاد كولومبوس بعد خمسة أشهر بكمية ضخمة من الذهب وأرض جديدة مضافة الى مكتشفاته .. جزيرة يسميها الهنود جامايكا وفى مدينة « إيزابيللا » الجديدة وجد أخاه بورتولوميو قد وصل حديثاً من أسبانيا . وقضي الأخوة عاماً ونصف فى جهود ضائعة لانقاذ إيزابيللا .. فقد فجر الهنود الثورة .. وشاعت الأمراض

● كان يتحرق شوقاً إلى الذهب ويسأل عن مصدره فيقولون له: ارحل إلى الأمام

● أول لقاء بين أوروبا وبين التبغ كان أمام حفنة بيوت من القش!

فى الموقع الذي أسىء اختياره وانتشرت فيه الحشرات وقل الطعام .. فاختار الأدميرال اخاه بارتولوميو حاكماً قبل إقلاعه الى أسبانيا فى مارس سنة ١٤٩٦ وامر بنقل عاصمة العالم الجديد فى أثناء غياب الى موقع آخر . وبدأ بناء مدينة سانتو دمينجو التي مازالت قائمة حتى الآن كواحدة من أبرز آثار المغامرة الاستعمارية الأسبانية .

الرحلة الثالثة

مرت سنتان تقريباً قبل أن يتمكن كولومبوس من الاقلاع ثانية .. ثلاث سفن يجب أن تتقدم مباشرة بالمؤونة والمستعمرين الى هيسبانيولا .. وقد حشد جميع بحارتها من نزلاء السجن الأسباني ، وثلاث سفن أخرى سوف تأخذ طريقاً أميل الى الجنوب على أمل أن تسبق البرتغاليين الى أرض عظيمة يعتقد كثير من علماء وصف الأرض انها تقع بعرض خط الاستواء . قضت السفن ثمانية أيام قاسية فى حر يوليو بالمنطقة الاستوائية فانفجرت أطواق براميل المياه ، وفسدت اللحوم .

وبعد تسعة أيام أخرى وشهرين منذ أن ترك كولومبوس شواطىء أسبانيا رأى أحد المراقبين « ترينداد » .

أخيراً ..!! قد تكون هذه الأرض مقر ممثلى الخان الأعظم ، هكذا حدث الأدميرال نفسه ، ولك أن تتصور كيف كان غمه وكدره حين رأى فى انتظاره على الشاطىء هنوداً أكثر عرياً ؛ فقرر أن يتاجر للحصول على الذهب .. وأخذ رجاله يعرضون أوانى من النحاس المصقول وأشياء أخرى ذات بريق أخاذ على الهنود .. فلما بدا لهم أن الهنود لم يعجبهم ما عرضوه عليهم حاول الأدميرال وسيلة أخرى .. أمر قارع الطبول فى السفينة أن يقرع الطبل وصبية السفينة أن يرقصوا . كان ذلك الضجيج فوق احتمال الهنود المسكين فكان ردهم أن أمطروهم بسيل من النبال والرماح .. واستطاع الأدميرال أن يرى تجاه الشمال ساحلا جبلياً هو ساحل فنزويلا الآن وبعد بضعة أيام وضع الأوربيون اقدامهم على شبه جزيرة «باريا» إصبع الأرض الذي يمتد الى الشرق نحو

● نزل بحّارته إلى البرّ بعد العاصفة فوضعهم ضابط الجزيرة في السجن

● في الرحلة الثالثة نفد طعامه وعاد يجرّ أذيال الفشل

« ترينداد» وكانت هذه هى أولى خطواتهم على اليابسة الأصلية منذ أن اكتشفها الفايكنج قبل ٥٠٠ سنة .

وهناك لم يجدوا فى استقبالهم سوى ثرثرة القرود وضجيجها .. كان احساس كولومبوس الدرامى عميقاً للغاية .. وما كان يجب أن يفسد العرض بسبب عدم وجود مشاهدين . ؛ ولذا تأجل الاحتفال الرسمي بملكية أرض « لاندباريا » الى يوم آخر وتقرر الرسو فى مكان آخر حيث يجد المكتشفون عدداً لا بأس به من الهنود يكسب العرض قيمته ويعطيه بهاءه ، وأدرك كولومبوس أنه لم يكتشف هذه المرة جزيرة أخرى بل إنه اكتشف أرضاً شاسعة كبيرة كما كتب فى جرنالة : « أعتقد أن هذه قارة واسعة » « لا نعلم شيئاً عنها قبل الآن »، ولكنه ظل متمسكاً بعقيدته بأن هذا العالم الجديد ـ كما سمى هذه الأرض ـ يقع فى مكان ما جنوب شرق آسيا . ولو أن كولومبوس تلكأ قليلا هناك لاكتشف نهر أورينكو العظيم ؛ لأن نضارة خليج «باريا» وخصبه لم يكونا إلا عطاء نهر كبير ولكن الطعام نفذ والمخزون الجاف منه الذي حمله معه كولومبوس أوشك أن يتلف فاضطر أن يتحول تجاه الشمال مخترقاً الكاريبي الى هيسبانيولا .. وجعل مرساه على الطرف الآخر على بعد ٧٠٠ ميل وظل طيلة شهر ونصف يخترق المياه الخطرة فى طريق متعرج على طول سواحل لم يرها أوروبي من قبل . وعندما وصل الى هيسبانيولا لم يجد كولومبوس المرهق المتعب الذي أثقل كاهله اليأس الراحة التى كان ينشدها بل وجد جزيرة تغلى بالضيق والتذمر كان المقيمون جميعهم يشكون والبعض وصل به الأمر الى التمرد والثورة .. فقد تبددت أحلامهم بالثروات التى يسهل جمعها من الأرض أو نهبها من الهنود .. ولم يتبق معهم الا القليل مما يؤكل من طعام الوطنيين : خبز الكسافا ، والبطاطا الحلوة ، والذرة . وزاد الأمر سوءاً أن عدة مئات من أولئك الساخطين قد نجحوا فى العودة الى أسبانيا وأخذوا ينشرون شتى الروايات عن عجز كولومبوس وأخويه وعدم أهليتهم لرعاية شئون أسبانيا والأسبانيين فى هذه المنطقة من العالم .

ويذكر فرديناند كولومبوس كيف أنه هو وأخوه الأكبر حينئذ سيقا للمثول أمام المحكمة فى غرناطة (جرانادا) وتبعهما فى أبهاء وساحات القصر زبانية العذاب وهم يصيحون باستخفاف : امضوا يا أبناء أدميرال البعوض .. الذي اكتشف أرض الخداع والغش وأهلك فيها ودفن السادة الكاستيليين » وكان للملك والملكة دورهما فى هذه الأزمة فقد طلب منهما كولومبوس أن يبعثا جليس الملك وثقته فرانسيسكو دي بوباديللا .. ليتقصى الحقائق ويبحث الاتهامات التى اتهم بها أخوة كولومبوس : خونة .. أعداء قساة .. سفاكون لدماء الأسبانيين ، ـ كان طبيعياً ألا ينسى الساخطون أن كولومبوس وأخوته إيطاليون ـ ويبدو أن بوباديللا لم يتحرك بسرعة .. فكان أن وصل الى « سانتو دومينجو » بعد أن استفحلت الثورة واشتد الحال ، ليشهد منظراً نادراً لما حدث ، وكان مفجعاً ودليلا دامغاً يشهد بقسوة الأدميرال وعنفه .. سبع جثث أسبانية تتأرجح معلقة فى المشانق وخمسة آخرون محتجزون فى السجن ليلقوا نفس المصير غداً .. أمر بونا ديللو فى الحال بتكبيل دييجو بالأغلال ثم ما لبث أن أمر بتكبيل الأدميرال نفسه ومعه بارتولوميو .. وأمر باعادة الجميع الى أسبانيا .. عاد كولومبوس على هذا النحو المخزي الى الوطن .. رافضاً فى أثناء الرحلة عرض قبطان السفينة أن يفك عنه أغلاله .. مصراً على أن يبقى فى الحديد الى أن يأمر صاحب الجلالة باطلاقه .. وقد ظل كولومبوس محتفظاً بهذه الأغلال حتى أنه أوصى أن تدفن معه بعد موته ـ . وذهب كولومبوس والقيود فى يديه الى دير مضياف فى « لاس كويفاس » عبر النهر من « شيفيل » ليلعق جراحه ويكتب خطاباً عاطفياً مؤثراً الى البلاط الملكى .. وهو يتساءل كيف يحدث هذا لرجل اكتشف لأسبانيا أرضاً أوسع من أفريقيا وأوروبا



صورة متخيلة لكولومبوس عائداً بالقيود

كريستوفر كولومبوس

ماذا بقي منه بعد خمسمائة عام على اكتشافه المثير؟

وأكثر من سبع عشرة جزيرة !! .

مرت ستة اسابيع تقريباً قبل أن يأتي الأمر باطلاق سراحه .. ومع رسالة الافراج الفان من الدوكات بعث بهما فرديناندو وإيزابيللا لتخفيف وطأة الفقر الذي كان يعاني منه اخواه .

وجرى استقبال دييجو وبارتولوميو والأدميرال في الحمراء بغرناطة في ١٧ ديسمبر سنة ١٥٠٠ وأمر الملك والملكة باعادة حقوق وامتيازات الأدميرال .. ولكنهما لم يذكرا شيئاً عن عودته حاكماً لهيسبانيولا .. !! وقضى الأدميرال ستة أشهر حزينة موهوناً فاتر الهمة في « لاس كويفاس » وهو يرتدي حلة بنية سادة من حلل الفرير .. ولم يفتر عن كتابة الرسائل يتوسل فيها الى البلاط والبابا وكل من يستطيع أن يقول كلمة طيبة من أجله .

الرحلة الرابعة

كولومبوس الآن في الخمسين من عمره رجل عجوز بمقاييس هذه الأيام . وها هو ذا يعطى فرصة أخرى فقد أراد فرديناند وإيزابيللا أن يتخلصا من ذلك الرجل المتعب الملحاح الذي يزعجهما بشكاواه الدائمة والتماساته على كل لسان فأمرا سنة ١٥٠٢ بأن يعطى أربع سفن ليبحث عن الممر الذي كان يؤكد مراراً وتكراراً أنه موجود وأنه سوف يعثر عليه وينفذ خلاله من الأرض التي اكتشفها الى المحيط الهندي .. ربما يستطيع أن يجد بلاد الهند الحقيقية بدلا من أن يزحم الخرائط بمزيد من الجزر التي لا نفع منها .. حينئذ .. حينئذ فقط تكون لمعاونته قيمة .

وشق الأسطول طريقه في أوائل إبريل من جانب النهر صباحاً في سيفيل وبعد مسيرة يوم أو يومين أسفل « جودا لكويفير » مالت السفن نحو شاطىء صغير مازال ظاهراً تحت الجرف فسقط الزفت الذي طليت به السفن وصارت « الفوفياجي » أو الرحلة العظمى كما سماها كولومبوس معرضة للغرق منذ أولى خطواتها بسبب ديدان السفن .

وبالرغم من أن البلاط الملكي قد ترك له لقبه الفارغ ! « الأدميرال ونائب الملك » فقد حل مكانه دون نيكولاس دي أوفاندو « حاكماً في هيسبانيولا ، وخوفاً من حدوث مواجهة بين كولومبوس وأوفاندو منع الملك والملكة كولومبوس من أن يستنجد بهما في أثناء ارتحاله الى الخارج .. ولكن كيف يتوقعان أن كولومبوس لن يبحر على الأقل الى ما وراء هذه الجزيرة التي « بفضل الله كسبها لأسبانيا ، والتي أحبها أكثر من أي شيء آخر ؟ ! . وصل كولومبوس الى المدينة التي كان قد أمر ببنائها ووقف على مرأى منها .. لقد صارت سانتو دومينجو بالفعل تجمعاً مؤثراً من أبنية مقامة من الخشب والقش .. ولكن انتباه كولومبوس في هذه الأونة كان مركزاً على الطقس .. فقد كانت الزوبعة تغلي وهو يعلم أن أوفاندو يوشك أن يرسل إلى أسبانيا أسطولا من ثلاثين سفينة محملة بالكنوز المسلوبة من الهنود ، بعضها هو نصيب كولومبوس في ثروة هيسبانيولا . بعث كولومبوس بأحد ضباطه الى الشاطىء ليحذرهم من العاصفة .. فقرأ أوفاندو رسالة كولومبوس على ملأ من ضباطه ساخراً وهو يقول بصوت عال : ما الذي جعل هذا الأدميرال المغفل يظن أن في استطاعته التنبؤ بالطقس وأحواله على هذه الصورة ؟ .. كانت سفن أوفاندو راسية منذ يومين وعندما انفجرت فيها العاصفة طوحت بها .. أما كولومبوس فقد مضى بسفنه القليلة نحو الاتجاه المعاكس وساس الأمر بمهارة حتى انقذ أسطوله الصغير ولم يفقد سوى قارب من سفينة ومرساتين أو أكثر ولكن خمساً وعشرين سفينة لأوفاندو قد غرقت بكل ما فيها من كنوز ومن عليها من الرجال . والغريب أن السفينة الوحيدة التي واصلت رحلتها الى أسبانيا هي التي كانت تحمل نصيب الأدميرال في ذهب الهنود .. ولعل ذلك أحد الأسباب التي جعلت كارهي كريستوفر يتهمونه بأنه استخدم تعويذة سحرية ليدمر السفن ويثأر من أوفاندو .

بعد أن هدأت العاصفة حملت التيارات أسطول كولومبوس نحو الغرب إلى ما بعد جامايكا ومن هناك اتجه شمالا نحو كوبا وأخيراً سمحت له الريح أن يضرب جنوباً عبر الكاريبي بحثاً عن الممر المائي المنشود .

وكابدت السفن الأربع وحدها أهوال رحلة مروعة على طول ساحل أمريكا الوسطى من أواخر يوليه حتى نهاية سنة ١٥٠٢ حتى رست أخيراً أمام واحدة من جزر الخليج خارج هندوراس .. وفي أحد التقارير المرعبة التي كتبها كولومبوس يتحدث عن عاصفة ظلت ٨٨ يوماً حتى ظن هو ورفاقه أن نهاية العالم قد جاءت ، فقد كان البحر يغلي كما يغلي الماء في قزان على نار هائلة .

كف كولومبوس عن البحث عن الممر المائي الذي لا وجود له .. وانصرف الأدميرال للبحث عن مزيد من الذهب الذي وجد قدراً لا بأس به منه في خليج كبير شمال غربي بنما .. ونازل الهنود الذين قاتلوه بشجاعة .. ووجد كولومبوس ملجأ لسفنه يحتمي به من العاصفة داخل فم نهر « ريوبيلين » في بنما وقرر أن يقيم مركزاً تجارياً ولكن رغبة الهنود وشغفهم بالتجارة سرعان ما حلت محلهما عداوة ضارية فافلح كولومبوس في سحب ثلاث من مراكبه إلى خارج النهر . فقد صارت المياه ضحلة بعد العاصفة واضطر إلى أن يهجر السفينة « جالليجا » هناك « لقد طرت أنا والقبطان جيم توملين على نهر ريوبيلين وفي مكان

ما هناك من مستنقعات هذا النهر الهادىء ترقد جثة سفينة « جالليجا »

نحن الآن فى منتصف ابريل سنة ١٥٠٣ وقد مضى اكثر من سنة على اقلاع كولومبوس من سيفيل .. قضى معظمها فى المياه الاستوائية .. وكان الملاحون ينفقون معظم اوقاتهم فى إدارة المضخات .. وضجرهم يشتد يوماً بعد يوم بسبب اعتقادهم أن كولومبوس قد مضى بهم ابعد كثيراً من هيسبانيولا .. وصارت السفينة فيزكينو مهلهلة بعد أن نخرتها ديدان السفن حتى أصبحت أشبه بالغربال فهجرها الرجال وناضلت السفينتان الباقيتان حتى وصلتا الى ما هو الآن حدود بنما ـ كولومبيا حيث رفض البحارة مواصلة المسير .. وتحت تأثير داء النقرس والملاريا وإحساس كولومبوس بفشل رحلته العظمى وافق على العودة تجاه الشمال . وبرغم استعمال البحارة لكل إناء ومضخة وقزان فى رفع المياه من السفينة فقد عجزوا عن مكافحة المياه المتدفقة من ثقوب الديدان .. وعند خليج سانت أن حيث اكتشف كولومبوس جامايكا منذ تسع سنين مضت اجريت عمليات دهان السفن على الأرض عند ارتفاع المد واقيمت ملاجىء من سقوف النخيل على ظهرى السفينتين .. وهناك قضى كولومبوس سنة تعسة يتهدده فيها التمرد من وسط الرجال واخطار هجمات الهنود من الخارج . وكانت نجاته من هذه المأساة أشبه بمعجزة .. فلم يكن هناك أى احتمال لمجىء سفينة اسبانية الى هذه المنطقة .. ولم يكن متوقعاً من أوفاندو الذى فقد اسطوله بعد تحذير كولومبوس له وبسبب تعويذته السحرية كما ظن البعض أن يبعث إليهم باية نجدة حتى ولو كان يعرف الى أين يبعث بها .. ولكن « دياجو مندیز » ضابط احدى السفن استطاع أخيراً أن يشترى قارباً من قوارب الهنود مقابل خوذة ممتازة من النحاس وسترة واحد قميصين كان يملكهما كولومبوس ، وثبت فيه شراعاً وقاعدة وأبحر به مع أسبانى آخر إلى هيسبانيولا .. فاسره الهنود فهرب عائداً إلى سانت آن ، وفى المحاولة الثانية وصل الى سانتو دومينجو على مسافة ٤٠٠ ميل بحرى .. ربما لم تكن رحلة عظيمة لقارب صغير . ولكن العمل نفسه يكشف عن صديق شجاع وفى .

بعد أحد عشر شهراً من ترك « مندیز » لجامايكا وصلت السفينة الشراعية الصغيرة التى أمكنه تاجيرها فى سانتو دومينجو . بأشرعتها المهلهلة وقاعها المخرق الى كولومبوس ونحو المائة رجل الذين كانوا معه وأخذهم الى هيسبانيولا .. واضطر الأدميرال بسبب آلام داء النقرس ووطأة الحزن العظيم أن يؤجر سفينة للمرة الأخيرة .

والقى كولومبوس نظرة أخيرة على « سانتو دومينجو » ثم عاد إلى الوطن حزينا .. فى سفينة صغيرة مؤجرة .. عاد البطل مهزوماً حقاً .. لقد عاد غنياً ولكن ذهب الدنيا كله لم يكن عزاء كافياً عن الغار الذى سقط من فوق جبينه ومنزلته التاريخية التى هوت .. والتى ظن انه صاحبها بجدارة وهاهم أولاء غيره يواصلون اكتشافاته .. رفيقه فيسنتى يانيز بينزون وصل الى البرازيل سنة ١٥٠٠ وجيوفانى كابوتو (معروف باسم جون كابون) قد ثبت حق انجلترا فى



احد الاقنعة الذهبية الهندية التى استولى عليها الرحالة فى رحلته الثانية

السيطرة على القارة الثانية العظيمة .. ولكن القدر قد أعفى كولومبوس على الأقل من أن يعرف أن اسم أميريجو فيسبوتشى ابن بلده هو الذى سيسمى به العالم الجديد فيما بعد ... وشكراً لسلامة النية ولحماقة رسام خرائط سابق .

عاش كولومبوس أياماً قصيرة مشحونة بالألم والمشقة والتعاسة ولم يكف عن ملاحقته للبلاط الملكى يتبعه وهو يتحرك من مدينة الى مدينة راجياً المثول بين يدى الملك والاحتفاظ بامتيازاته .. واشتدت وطأة المرض وعمق شعوره بالفشل .. ووافاه الموت ولم يجد حول فراشه سوى ولدين له وأخيه دييجو ورفيقين وفيين .. ولم يرسل البلاط الملكى معزياً .. وفى العشرين من مايو سنة ١٥٠٦ لفظ الأدميرال آخر أنفاسه مع حسرة الحزن على سقوطه من القمة .. !!

عبد العزيز السيد المصري

المراجـــــع :

1 **National Geographic :**
Vol. 148, No. 5

2 East Indies route search and discovery:
(J. B. Mi / W.K D.D.)



رجل من جزر الكاريبى مازال ينحت قاربه من جذوع الاشجار ، وبشكل مشابه تماما لما راه الرحالة منذ خمسمائة عام !

تأملات إعلامية

ألف ليلة وليلة

ظلمها في التليفزيون العربي

بقلم : محمد فتحي

التجريب فى الفن ـ كل ضروب الفن من مسرح وسينما وراديو وتليفزيون وتشكيلى ـ مطلوب مرغوب فيه . التجارب الممارسة سواء كتب لها التوفيق والقبول ، أو كان نصيبها من القبول الفتور ، فيها للفن إغناء ، وفتح لدروب جديدة ، وإنعاش عندما ينتابه الركود ، أو يقع بين مخالب الاصطلاح ، وتطوير متصل ، أو على الأقل إعادة نظر فى النظريات المعمول بها ، وتأكيد وتدعيم للخطوط الكلاسية (الكلاسيكية) المعتمدة .

من هذه التجارب المشهودة المشهورة تجربة نشات فى احضان المسرح البريطانى ، فى نهاية الثلاثينيات من هذا القرن ، أو ربما فى الاربعينيات بعد نهاية الحرب العالمية الثانية . ذلك أن التقليد المألوف فى إخراج المسرحيات الكلاسيكية الخالدة ، مسرحيات شكسبير بالذات ، درج منذ القرن السادس عشر ، على اخراجها فى إطارها التاريخى ، بلغتها أى بلغة العصر ولهجته ، وبملابس العصر واثاث العصر وديكور العصر . واستمر الحال على هذا المنوال ، الى أن جاء مخرج ثورى اراد أن يخرج على التقليد الشكسبيرى المأثور . قال لماذا لا نخرج شكسبير فى إطار جديد ، إطار العصر الذى نعيش فيه ، لا عصر المسرحية ؟! لماذا لا نخرج هاملت بالملابس العصرية ، ملابس القرن العشرين ، وباللهجة الانجليزية فى القرن العشرين ، وبديكور القرن العشرين ؟!

لعل سنده الأكبر فى مغامرته التجريبية الجديدة هو أن القيمة الكبرى لدراما شكسبير التى تجعلها خالدة على الايام هى انسانيتها . أى تجسيدها للعواطف والمشاعر والخلجات والنزعات وكل ما يكمن فى سريرة هذا الانسان .. تجسيدها فى صورة شعرية فنانة تاسر السمع والفؤاد ، وتعقد دوماً محكمة ـ يجلس على كرسيها الضمير ـ تسائل وتزن وتعدل ، ثم تتامل وتضع الحيثيات ، فى ظل من اسى على ضعف الانسان وضالته إزاء قوة القضاء وقهر القدر .

كان هذا فيما يخيل إلي هو سند هذا المخرج الجريء فى مذهبه الجديد وتجريبه المغامر . إذا كان الانسان فى جوهره ـ فى خيره وشره ونزوعاته ـ هو هو لم يتغير فى القرن العشرين عما كان عليه فى القرن السادس عشر ، فما قيمة الشكل ؟! ما قيمة الثوب أن يكون الفراك أو العباءة ؟ أو أن يكون طراز الأثاث الملكة آن أو لويس الرابع عشر أو الاسكندناوى العصرى ؟!

التردد والقلق والتوزع النفسانى فى هاملت ، والفتوة العارمة النبيلة التى لا تتدنى لفهم اللؤم البندقى فى المغربى الافريقى البربرى عطيل ، والطموح الغدار فى ماكبث ، وتقلب الجماهير فى يوليوس قيصر ، والحب الحلو الوثاب المتفانى فى روميو وجولييت ...

صفات أصيلة ثابتة فى الانسان منذ أدم لم يغيرها فلق الذرة ، أو الخروج الى الفضاء والمجرات الأخرى ، أو نمو الاحساس باقتراب الساعة !

وأخرج المخرج البريطانى «جوردون كريج» مسرحية هاملت بالملابس العصرية . وبالفعل رأينا هاملت على المسرح فى الفراك أى بذلة السهرة الكبرى السوداء ذات الذيلين الطويلين والقميص المنشى والصديرى الأبيض والياقة المنشاة

والبابيون الابيض . وهكذا دواليك بالنسبة لملابس النهار ثم بالنسبة لبقية الممثلين .

أثارت هذه التجربة ، كما كان مرتقبا ، جدلا شديداً ، وقيلا وقالا ، ونقاشاً مستفيضاً ، لا فى الدوائر الفنية فى بريطانيا وحدها ، بل تجاوزها الى اوربا وغير أوربا ..

ثم انحسر النقاش وانحسرت التجربة وكأن لم تكن . ونسج حولها عنكبوت النسيان خيوطه . هل الانسان عاشق لتاريخه .. يقدس فى نوع من العبادة أسلافه بل وانتيكاته ؟!

عرفت الدوائر الفنية العربية تجربة مماثلة حين تشارك تليفزيـــون مصر وتليفزيون عمان فى تصوير حلقات من الاثر القصصى الخالد الف ليلة وليلة ، شهدتها وتشهدها الجماهير على الساحة العربية الكبرى .

أحسب أن التجربة قوبلت ـ فى مصر على الاقل ـ بفتور شديد . لكنها مع ذلك حظيت بالتفات شديد . فمكانة الاثر العظيم المحبوب معروفة ليس على البسيطة طفل لم يقرأها ولم يقتنها ولم ينتش بها . وليس على البسيطة كاتب قصصى لم ينفق الساعات مع أخيلتها منمياً خياله ومستضيئاً بنور رسومها وصورهـــا الفذة ، وسابحاً ومحلقاً فى بحارها وأجوائها ، والى أبعاد من اللذة غير المطروقة ليس لها فى انتاج الخيال البشرى شبيه أو نظير أو قريب . ولعلها العمل القصصى الوحيد من أعمال العرب الذى يستحق تلك الجائزة التى يتطلع اليها العرب متلمظين .. جائزة نوبل . والذى لا يحتاج لترشيح أو تزكية من هيئة أكاديمية أو فكرية أو دولية . ألم تترجم الف ليلة وليلة الى لغات العالم طراً ؟ دون دفع من كاتب أو هيئة أو سلطة ؟ ألم تدخل مسمياتها من السندباد والشاطر حسن ومصباح علاء الدين وشهرزاد وغيرها فى قواميس لغات العالم طراً ؟ ونهلت السينما من موردها العذب . وارتقت الموسيقى الكلاسيكية فوق أجنحة خيالها ، تارة مع بساط الريح ، وطوراً مع طائر الرخ ، وتارة أخرى مع المارد المنطلق من القمقم الراقد فى قاع المحيط ! واستوحى شخصياتها الكتاب عرباً وغير عرب ليس آخرهم طه



حسين وتوفيق الحكيم . واستقى الراديو من مناهلها دون كلال أو ملال ، فالجدة أبداً لا تخلق ، والسحر أبداً لا يبطل !

التفت جمهور التليفزيون للتجربة الجديدة التفاتاً شديداً . وفى ذهنه تجربة «راديوفونية»قريبة حلقت به حلقاتها مع شهرراد وموسيقى رمسكى كورساكوف والمغامرات اللذيذة التى رسخت فى باطن نفسه رسوخاً أبدياً ، وكأنها خلية من خلايا تكوينه وروحه . تلك هى تجربة الشاعر المصور طاهر ابو فاشا الذى امتع بحلقاتها جمهور المستمعين رمضانا كريما بعد رمضان كريم . وكنت دائما أقول إذا كان الراديو قد نجح فى خلق أدب كلاسيكى خاص به فحلقات طاهر ابو فاشا عن الف ليلة وليلة هى بلاريب فى رأس قائمة هذا الأدب .

التجربة التليفزيونية الجديدة كتبها كاتب رشيق الأسلوب نسيج وحده ، فى منحى التفكير وفى تناول أمور الدين والدنيا . ينعم بظل خفيف وحس دقيق بالدعابة . ذلكم هو الأستاذ احمد بهجت . العجيب أن شيئاً من ذلك كله لم يبد له اثر فى ألف ليلة وليلة التليفزيونية التى شاهدها جمهور العرب فى الأسابيع الاخيرة لا الأسلوب ، ولا العبارة الحوارية ، ولا الظل الخفيف ولا الحس الفكه . وفوق ذلك كله وقبل ذلك كله ، لا القيمة الاصيلة فى الاثر العظيم بطابعها الأسطورى ولغتها السهلة الممتنعة المسجوعة ، وإيقاع مؤلفها وأسلوبه الروائى .. القيمة الاصيلة المحركـــة للخيـــال ، الباعثـــة للـــذة الصافية ، السابحة بك فى أكوان خارج هذا الكون ، والتى تخاطبك كما لو كنت من فصيلة ما قد يسمى بالسوبرمان أى الذى يعلو على المتعارفات المألوفة .. المحلية والاقليمية والدولية .

مثل هذا الأثر الادبي العظيم بكيانه الساحر الفذ لا يمكن أبداً أن يكون مطية لاسقاطات من أى نوع اجتماعى أو سياسى أو .. أو .. سواء كان الاسقاط واضحاً صريحاً أو باطناً خبيئاً .

وقد يشار هنا الى أن باعث الحياة فى النص المكتوب وهو المخرج لم يهيىء للمشاهد ذلك الجو الساحر الذى كان يمنى النفس بمرآه . لم يشعر المشاهد ، وهو معه فى مسالكه التى تفتقت عنها خزانة خياله ، أنه ينكشف على شىء من لذائذ الكنوز ، أو مزائج النعائم والاهوال التى تنطوى عليها صفحات الف ليلة وليلة ، والتى هى فى هذا العمل بالذات غاية المنى وقصد مؤلفه المجهول .

بيد أنه إذا كان قد كتب لهذه التجربة كما كتب للتجربة الشكسبيرية أن تنزوى فى زوايا النسيان ، فسيظل التجريب الاجتهادى دوماً عملا مرموقاً مرغوباً فيه . ففيه إغناء وإنعاش وتجديد وتدعيم للفنون ونظرياتها وأساليبها .

د. عزالدين فـــراج

الفيتامينات

هل هي وظلة واقية من بعض الأمراض؟



الخضروات الطازجة الغنية بمجموعة من الفيتامينات تحمى الانسان من الاصابة بالامراض !

قبل كشف الفيتامينات كان العلماء يرون أن الغذاء الصالح هو الذى يحتوى على المركبات الكربوهيدراتية والدهنيـــة والبروتينيـــة والمعدنيـــة فقط ، وظـــل العلماء يعتقدون انه لا توجد مركبات غذائية أخرى غيرها حتى قامت رحلات البحارة فى البحار والمحيطات وأخـــذ البحارة معهم كل أنواع الأطعمة المحفوظة فى علب ، ولم يأخذوا معهم شيئا من الخضراوات والفواكة الطازجة لأنهـــا لا تحتمل التخزين . ومع أن الغذاء كان كافيا إلا أن عددا كبيرا منهم أصيب ببعض الأمراض .

وعندما عادوا إلى وطنهم بدأ العلماء والأطباء يفحصـــون هـــؤلاء المرضى ويعالجونهم وكان من طرق علاجهم أنهم أعطوهم غذاء البحارة ومعه الخضراوات والفواكة الطازجة ! وبعد مدة لاحظـــوا اختفاء أعراض المرض . من هنا قرر هؤلاء العلماء أنه لابد من وجود مركبات فى هذه الخضراوات والفواكه الطازجة تسبب المرض عند غيابها وتمنعه عند وجودهـــا ، سموها فيما بعد بالفيتامينات أ ، ب ، ج ، د وأخذ كل عالم يبحث عن أهمية كل فيتامين وفائدته والأطعمة الغنية به .

كان الرحالة البرت أول من وصف عصير الليمون لبحارته الذين كانوا يقاسون آلام الاسقربوط ، وذلك فى عام ١٥٦٣ ، وقد وصفه بعد ذلك الأدميرال فاجنز عام ١٧٢٦ لبحارته ، ووصفه الرحالة كوك عام ١٧٧٣ لرجاله أيضا .

ذكر مرض الاسقربوط لأول مرة فى تقارير الأطباء الذين كانوا يرافقون المحاربين فى الحروب الصليبية . وفقد فاسكودى جاما فى رحلته الاستكشافية بسبب هذا المرض أكثر من نصف رجاله الذين ذهبوا معه .

ومن عام ١٧٠٤ أصبح من ضمن القوانين الأساسية للاسطول البريطانى امداد البحارة بمقدار من عصير الليمون يوميا . وكانت العلاقة بين عصير الليمون والبرتقال وبين الاسقربوط سببا مباشرا فى تخفيف وطأة المرض .

وفى القرن العشرين عرف أن فيتامين ج فى عصير البرتقال والليمون والخضراوات والفاكهة الطازجة هو السبب فى شفاء مرضى الاسقربوط الذى تتجلى اعراضـــه فيما يلى :

١) ادماء الجلد وتبقعه .
٢) ادماء المفاصل والاطراف والعضلات والأنسجة داخليا تحت البشرة .
٣) تاكل الاسنان وسقوطها .
٤) تضخم الأطراف والمفاصل .
٥) هزال الجسم .
٦) الشعور بالتعب من أقل مجهود .







مجموعة من الاطعمة تحتوى على لحوم وبيض وفاكهة ونشويات هى المصدر الهام لامداد جسم الانسان بالفيتامينات .

علاج ضعف البصر

فيتامين (أ) هو الفيتامين الذى ينشأ عن غيابه أو نقصه ضعف الابصـــار فى الظلام أى عند غيابه تضعف مقدرة الانسان على رؤية الأشياء ليلا . عرف ذلك قديما عندما لاحظ ابقراط الحكيم الاغريقى هذه الحالة المرضية من قديم الزمن ، فكان يوصى بتناول كبد الثور بعد اشباعها بالعسل الأبيض . وكثيراً ما كانت مداومة المرضى على أكل كبد الثور مؤدية إلى شفائهم .

وقد كان التأثير السحرى العجيب الذى احدثه الكبد فى شفاء هذا المرض مصدر الهام بعض الشعراء .. فكتب « جاكوب » وهو أحد الشعراء الهولنديين يقول :

إذا كنت لا تستطيع الابصار فى الظلام
فلابد من تنـــاول كبـد الاغنـــام
ففيهـــا قـــوة الابصار وشفاء الأجسام

ولم يعرف دور الكبد فى شفاء الحالة المرضية إلا بعد اكتشاف فيتامين (أ) وتاثيره ومواضع وجوده ، فادرك العلماء أن فيتامين (أ) الموجود بوفرة فى كبد الأبقار والأغنام هو العامل الفعال فى علاج وشفاء هذه الحالة المرضية .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى اصيب آلاف من المزارعين فى بلجيكا بمرض فى عيونهم اعجزهم عن الرؤية أثنـــاء الليل ، وحار الاخصائيون فى معرفة سببه أو علاجه وكان الوقت حينذاك شتاء ،

وأطعمة أولئك الفلاحين تكاد تخلو من الخضر الطازجة ، وعندما حل الربيع ، وراح الفلاحون يكثرون من أكل الخضراوات اختفى المرض وكانت ملاحظة الاخصائيين بزوال المرض بداية لبحث الصلة بين الغذاء وسلامة العيون .

وقد دلت البحوث على أن فيتامين (أ) يحفظ قوة الابصار ويساعد المسالك الدمعية على تادية وظيفتها .

فيتامينات واقية

وهناك مجموعة من فيتامين (ب) ، تسمى ب١ ، ب٢ ، ب٦ ، ب٧ ، ب١٢ ، منها فيتامين ب٦ إذا غاب عن الغذاء او نقص

كان سبباً فى مرض البلاجرا ، والبلاجرا كلمة واحدة ماخوذة من كلمتين ايطاليتين « بل ـ اجرا » ومعناها الجلد الخشن ، وسمى هذا المرض بهذا الاسم لان اهم

الفيتامينات

علاماته الطفح الجلدى الخشن فى المواضع العارية من الجسم . ويوجد هذا الفيتامين ايضاً بوفرة فى لحوم الابقار والأغنام . اما فيتامين ب١٢ فله اهمية كبيرة فى مقاومة بعض انواع ضعف الدم واهمها الانيميا الخبيثة اما بقية فيتامينات «ب» فواقية للاعصاب والجلد من بعض الأمراض .

والمعروف أن الكساح مرض يصيب فى الغالب الأطفال الذين يعيشون فى مساكن مظلمة لا تدخلها الشمس والذين لا يتناولون الأغذية المحتوية على فيتامين (د) .

والكساح علامات مميزة نذكرها فيما يلى :

١) تكون الجبهة عريضة بارزة .
٢) يكون الصدر ضيقا .
٣) يتاخر وقت التسنين ووقت المشى .
٤) اعوجاج الساقين بحيث إذا وقف الطفل وتلامس الكعبان فان الركبتين تكونان بعيدتين عن بعضهما .

وفيتامين (د) يجعل الجسم قادراً على امتصاص نسبة عالية من املاح الجير الموجودة فى الغذاء لتترسب في العظام . اي ان وجود نسبة عالية من فيتامين (د) في الغذاء ضروري لتقوية العظام وصلاحيتها .

ويكثر فيتامين (د) في زيت السمك والبيض واللبن والقشدة ، وفي مقدور اشعة الشمس ان تكون هذا الفيتامين ، فعندما يتعرض الجلد لهذه الاشعة تتحول بعض مركباته الدهنية الى فيتامين (د) وهذه من اهم الأسباب التي تدفعنا الى تعريض اجسادنا واجساد اطفالنا لاشعة الشمس في الصباح .

وقد وصف دكتور « اديسون » عام ١٨٤٩ الانيميا الخبيثة وموضعها بانها تغيرات فجائية تحدث لكرات الدم الحمراء ، فتفقد قدرتها على النضج وتصبح بذلك عاجزة عن نقل الأكسوجين والغذاء الى مختلف انسجة الجسم ، فيعتريه هزال شديد وضعف عام .

وظل امر هذا المرض مجهولا حتى عام ١٩٢٦ ، حتى لاحظ « مارفي » تحسنا ملحوظاً في المصابين بمرض الانيميا الخبيثة ، عندما كان غذاؤهم يحتوي على رطل من الكبد الطازج كل يوم .

وفي عام ١٩٥٠ استطاع العلماء فصل بللورات حمراء من الكبد اطلق عليها اسم فيتامين ب ١٢ .

ويمكن تمييز الأنيميا الخبيثة عن الأنيميا العادية (فقر الدم) وذلك ان الانيميا العادية انما تنشا نتيجة لاختلاف في الكرات الدم الحمراء . وهذا النوع من الأنيميا لا يعالج باعطاء مركبات الحديد ، ولكن اعطاء مستخلصات الكبد والأغذية التي تحوي هذا الفيتامين (ب ١٢) هي الكبد والجبن واللحوم عموماً ، وصفار البيض .

وهناك ايضاً فيتامين آخر يسمى بفيتامين (ك) وهو يمنع النزيف ، يساعد على تجلط الدم تجلطا طبيعياً . ويوجد بكثرة في السبانخ والكرات والقرنبيط واعشاب البحر ، ولكنه يوجد بقلة فى الفواكة والحبوب .

طهو الطعام

اجريت عدة تجارب وابحاث لمعرفة عوامل فقد الفيتامينات المختلفة في اثناء عمليات طهو الطعام فظهرت النتائج التالية

أولا : في درجة حرارة الطبخ العادية لا يفقد فيتامين (أ) الذي يكثر وجوده في الخضروات الورقية والجزر والفلفل والبقوليات الا نسبة ضئيلة .

ثانيا : كثيراً ماكانت الطرق المستعملة في طهو الطعام سبباً في فقد كمية من فيتامينات مجموعة ب ، تتراوح بين ١٠٪ و ٢٠٪ ، خصوصاً اذا كانت الفترة التي ينضج فيها الطعام طويلة والوسط قلوي ويزيد الفقد في هذه المجموعة من الفيتامينات إذا استغنى عن ماء الطبخ .

ثالثا : يعد فيتامين ج اكثر الفيتامينات فقداً في اثناء عمليات طهو الطعام ، فعند تحويل الفواكه الى مربات تفقد نسبة غير قليلة من هذا الفيتامين ، تتراوح بين ٢٥ و ٤٠٪ . وحفظ هذه المربات مدة طويلة بعد اعدادها يسبب فقد جزء آخر يبلغ ٢٠٪ .

وما يقال عن فيتامين ج فى المربات يقال عند اعداد الشراب « عصير الفاكهة »

أما الخضروات المطبوخة فان كمية فيتامين ج المفقودة تتوقف على طريقة طهو الطعام ، والظروف التي يتعرض لها الطعام في اثناء الطهو .

رابعاً : أما فيتامين (د) الواقي من الكساح ولين العظام فلا يفقد منه إلا القليل

توجيهات لتقليل فقد الفيتامينات :

أولا : لا تؤخر عمليات قطف الفواكه والخضروات ما دامت قد وصلت الى درجة النضج لأن ازدياد نضجها يفقدها نسبة من فيتامیناتها ، وقد وصلت نسبة الفقد الى ٢٠ أو ٣٠٪ فى فيتامين أ ، وفيتامين ج ، من جراء زيادة نضج الثمار والأوراق .

ثانياً : واذا اضطررت الى تخزين أوراق الخضروات وثمار الفاكهة فليكن ذلك فى مكان رطب معتم ، لأن الجفاف والضوء يرفعان نسبة فقد هذه الفيتامينات .

ثالثا : لا تقطع اوراق الخضروات وثمار الفاكهة قبل تناولها او استعمالها بمدة طويلة لأن ذلك يزيد من نسبة الفاقد من فيتامين أ او فيتامين ج .

رابعاً : تناول ثمار الفاكهة بقشورها لانها تحتوى على نسبة عالية من الفيتامينات تعادل اربعة امثال ما يحتويه اللب ، او اكثر من ذلك .

خامساً : ان اردت ان تقلل فقد الفيتامينات فى اثناء طهو الطعام ، فعليك بغلي الماء اولا ثم وضع الخضروات فيه ، بدلا من وضع الخضروات فى الماء العادى ، ثم رفع الحرارة بالتدريج الى درجة الغليان .

سادساً : لا تستغنى عن ماء الطهو والا فقدت نسبة كبيرة من فيتامينك .

سابعاً : يحسن عدم رفع غطاء الاناء فى اثناء عملية الطهو ، حتى لا تتاكسد بعض الفيتامينات وتفقد خواصها الطبيعية .

ثامناً : تجنب اضافة مواد كيماوية كالبيكربونات للخضروات فى خلال طهوها ، لان ذلك يزيد من نسبة فقد هذه الفيتامينات .

د . عز الدين فراج

ماذا حدث للكاتب الذى بدأ بتوزيع ½ مليون نسخة
من رواياته وانتهى بتوزيع ٢٢ مليون نسخة ؟ !

جيمس بوند ضد... جيمس بوند

رسالة لندن
من
مجدي نصيف



جيمس بوند «روجر مور» الذى حل مكان شون كونرى فى الافلام الاخيرة

اخيرا جاء الوقت المناسب لنشهد معركة طال انتظارها . معركة « البوندات » جيمس بوند ضد جيمس بوند . ففي شهر يونية الماضي ، بدأ عرض فيلم « أوكتوباسي »

بطولة روجر مور في فيلمه السادس عن جيمس بوند ، الذي انتجته شركة ايون للانتاج السينمائي ، وهي الشركة التي انتجت كل افلام جيمس بوند السابقة .

وفي الشتاء التالي ، يظهر للعرض فيلم جيمس بوند أيضا ، « ابدا ... لا تقل ابدا ثانية » بعد نزاع قانوني طويل مع شركة ايون التي ادعت حق احتكارها القانوني لكل أفلام جيمس بوند . ويمثل جيمس بوند في هذا الفيلم الاخير الممثل شون كونري الذي ساهم أيضا في كتابة السيناريو مع لين ديتون . شون كونري يظهر في دور جيمس بوند بعد غياب اثنى عشر عاما ليكون، هذا أيضا دوره السادس كبوند

والذي لا شك فيه ان انهارا من الحبر ستسكب للمقارنة والمفاضلة بين تجسيد كل من روجر مور وشون كونري لشخصية جيمس بوند . لكن السؤال الاهم بالنسبة لنا ، ما الذي ستمثله شخصية جيمس بوند في الثمانينات ، مقارنة بشخصية جيمس عندما ظهر في ايامه الاولى ؟



لقطات مختلفة من اداء روجر مور فى دور جيمس بوند .

البداية ...

ظهرت اول رواية لجيمس بوند عام ١٩٥٣ ، بعنوان « الكازينو الملكي » اما اخر رواياته وهي « الرجل ذو المسدس الذهبي » فقد نشرت عام ١٩٦٥ ، وقد لاحظ الناقد ديفيد كانادين بحق ان الرواية الاولى ظهرت بينما احتفالات تتويج الملكة اليزابيث ملكة بريطانيا تعيد التاكيد ـ دون اقناع ـ على استمرارية بريطانيا كقوة عظمى عالمية مؤثرة في مسرح الاحداث الدولية . اما رواية إيان فلمنج ـ المؤلف ومبدع شخصية بوند ـ فقد ظهرت في نفس الوقت الذي تمت فيه جنازة ونستون تشرشل ، التي تعرف فيها البريطانيون على لحن الوداع الاخير للامبراطورية البريطانية التي لم تكن الشمس تغرب عن اراضيها .(١)

ولقد شاهدت نفس تلك الفترة ايضا انفراجا تدريجيا في العلاقات بين الشرق والغرب ، حيث افسحت التوترات الحادة لفترة الحـــرب البـــاردة بين الكتلتين الطريق نحو الوفاق الاقل حدة . كانت هناك ايضا تغيرات ذات مغزى فى العلاقات بين الرجل والمراة ليس في اوروبا وحدها ، بل في الغرب باجمعه . فقد شهدت تلك المجتمعات تغيراً غريباً فى العلاقـات بين الجنسين فى الستينات ، بدلا من الاستقرار فى الأسرة والحياة التقليدية التي كانت تميز عقد الخمسينات .

عندما توفى إيان فلمنج الكاتب البريطاني عام ١٩٦٤ ، كان قد تم عرض ثلاثة افلام عن جيمس بوند نقلا عن رواياته . وكان ما يمثله جيمس بوند في مجالات التغيير الثقافي والفكرى ، قد ترسخ وتوطد . كانت شخصية جيمس بوند ـ كبطل شعبي ! ـ تنسق بين سلاسل من القضـــايا المقلقة فكرياً والاهتمامـــات الثقافيـــة التى تدور حول الوطن والأمة ، والعلاقات بين الشرق والغرب ، والتغير في نمط العلاقات بين الجنسين .

وبعودة جيمس بوند تثور عدة تساؤلات وان كان الموقف السياسي على المسرح العالمى، يبدو بطريقة متزايدة وكانه إعادة لعرض عقد الخمسينات ، عندما ظهر جيمس بوند لاول مرة على شاشة السينما . إن التاريخ يبدو كما لو كان يعيد نفسه بالفعل .

فعندما ثارت ازمة الفوكلاند بين بريطانيا (العظمى) والارجنتين (من دول العالم الثالث) قررت السيدة مرجريت تاتشر رئيسة الوزراء وزعيمة حزب المحافظين ان تعلن الحرب ، وانتصرت بالفعل على الارجنتين . فعادت فكرة ان بريطانيا ما تزال قوة عظمى ، واضرمت النيران في الروح القومية البريطانية بشكل كبير !

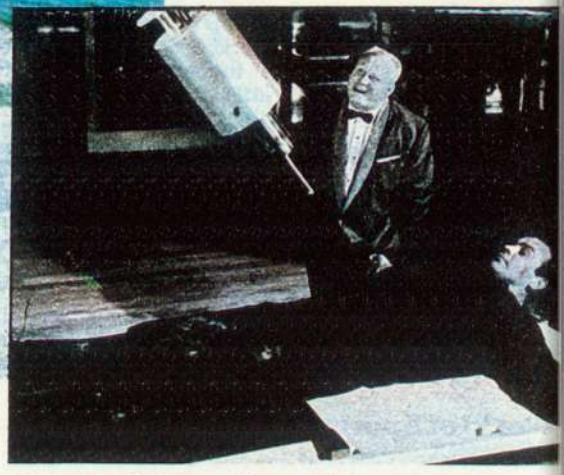
ثم ان زواج الامير تشـــارلس امير ويلز وهو مـــا عـــرف باسم الزواج الملكي ثم الحمل الملكي ، ثم ولادة ادوارد ، ثم التعميد الملكي ، كل هذا اطلق العنان لبريطانيا الامبراطورية ، خاصة برسم صورة الاميرة ديانا الجميلة الخجول ، مما



المغامرة الخارقة هى طابع افلام جيمس بوند .



جيمس بوند فى مغامرة بحرية



شون كونرى : جيمس بوند القديم فى فيلم يعود تاريخه الى عام ١٩٦٣ .

اعاد وضعية بريطانيا الى شكلها الاكثر تقليدية وخيالا ، في وسط دائرة حياة الناس . وعادت « الاسرة » لتحتل مركزها الذي كانت عليه في الخمسينات وقبلها ، تبحث عن الاستقرار والهدف من الحياة ، بينما يزداد اثر البطالة التى ضربت ارقاما قياسية فاقت ارقام الثلاثينات

وهكذا رغم ما يبدو من التشابه بين ظروف الخمسينات وظروف الثمانينات ، إلا أن الوضع الحقيقي مختلف تماما ، لذا فمن المتوقع أن يكون بوند الثمانينات ظلا شاحبا لبوند الخمسينات .

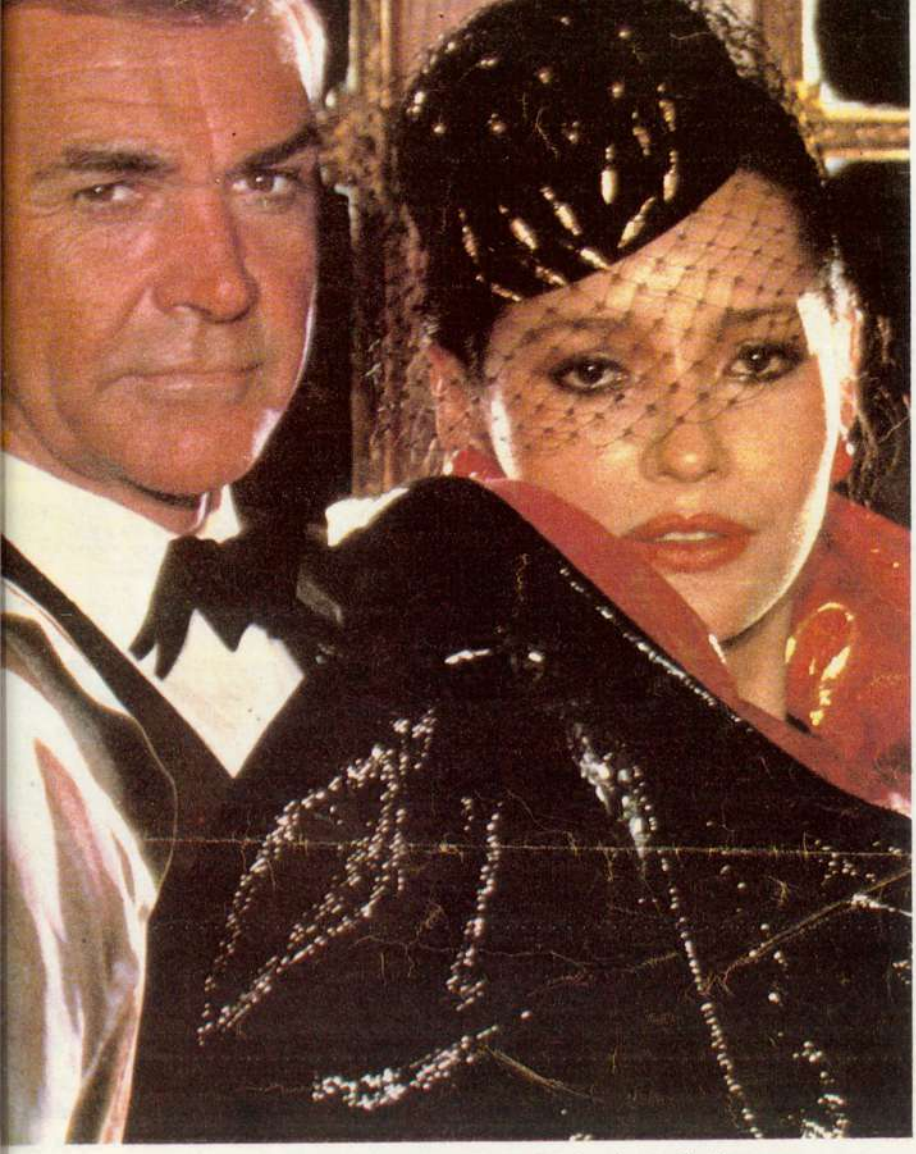
ورغم أن أول رواية لايان فلمنج قد نشرت عام ١٩٥٣ ، وتبعتها الرواية الثانية « عش واترك الآخرين يموتون » عام ١٩٥٤ ثم الثالثة « ممشط القمر » عام ١٩٥٥، إلا أن جيمس بوند حتى ذلك التاريخ لم يكن له تاثير ذو مغزى على الثقافة الشعبية البريطانية . لكن حدث هذا عام ١٩٥٧ ، عندما بدأت صحيفة « الديلى اكسبريس » البريطانية في نشر « كارتون » يومي مسلسل لجيمس بوند الى جانب روايته « من روسيا .. مع حبي » ! وليس من قبيل الصدفة ان تحول صحيفة « الاكسبريس » هذه الرواية بالذات الى حلقات ، حيث كان بوند في مواجهة جهاز الجاسوسية السوفيتي « سميرش » ، فقد كان بوند الخمسينات ، موظفاً – اساساً – كبطل سياسي للطبقات الوسطى الصغيرة .(٢) وكشخص يمثل عصر الحرب الباردة ، فقد جسد فضائل الفردية الغربية ، حيث يخرج منتصراً بلا مجهود على اليد الثقيلة للبيروقراطية الشرقية . لقد جاءت هذه الرواية بعد هزيمة حرب السويس التى اخرجت بريطانيا من آخر واهم معاقلها الامبراطورية ، وبذلك فان جيمس بوند قدم فى هذه الرواية رغبة دفينة لان تعنود بريطانيا لمجدها القومى (٣)

كان هدف جيمس بوند هو دفع اذى التهديد للسلام العالمي بمفرده ،

وهكذا أعادت صورة جيمس بوند الى الخيال وضع بريطانيا في قلب العالم . كان ذلك تعويضا خياليا لخذلان التاريخ .

لكن الاكثر جاذبية بطبيعة الحال ، أن يعود جيمس بوند الستينات الى الحياة في الثمانينات . وكانت الستينات دون شك هي السنوات الذهبية التاريخية لجيمس بوند . فقد كان التاثير الاجتماعي لشخصية بوند في الخمسينات محدوداً نسبياً، لم تكن حركة بيع رواياته نشطة بشكل خاص حتى اهتمت به « الديلي اكسبريس » ،

وحتى عندئذ فان الكمية المباعة سنويا من رواياته لم تتعد النصف مليون نسخة (وهو رقم متوسط في بريطانيا) . وعندما بدأت الموجة الأولى من افلام جيمس بوند التي كان بطلها الممثل شون كونري ، بدءاً بفيلم « دكتور نو » (١٩٦١) وحتى فيلمه « انت تعيش مرتين فقط » (١٩٦٧) ، اصبح لبوند حضور رئيسي في الحياة الثقافية البريطانية : لقد اصبح بطلا شعبيا له جمهور ضخم . كان للأفلام تاثير درامي بطبيعة الحال على معدل بيع الروايات . فبين عامي ١٩٥٥ و ١٩٦١ بيعت في



جيمس بوند القديم : شون كونرى الذى تغيرت شخصيته فى فيلمه الجديد .



الاميرة ديانا الجميلة الخجول .. عادت الاسرة الانجليزية تبحث عن الاستقرار والاشكال الاكثر تقليدية وخيالا بعد زواجها من الامير تشارلز .

بريطانيا وحدها) ٠٠٠ر٥٠٦ر١ نسخة من روايات ايان فلمنج . أما بين عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٧ فقد بلغت المبيعات الكلية (في بريطانيا وحدها ايضا) رقما خياليا : ٠٠٠ر٧٩٠ر٢٢ نسخة ، مما يبعث على الظن أن هناك إقبالا كبيرا على قراءة رواياته من الطبقات الشعبية .(٤)

والملاحظ عموما أن السمة الثقافية والفكرية السائدة لروايات وافلام جيمس بوند في فترة الستينات مختلفة تمام الاختلاف عن فترة الخمسينات ، فقد تجنبت أفلام الستينات « التركيبة » المحتوية على « سميرش » لتقدم بدلا منها « تركيبة » تحتوي على « سبكتر » وهي عصبة دولية إجرامية متخصصة في التجسس والارهاب والابتزاز يقودها «ارنست ستافرو» وهو مجنون شيطاني ، لكنه ذكى ماهر وإن لم يكن نداً لجيمس بوند . تستغل هذه العصابة الدولية العلاقات الهشة بين الشرق والغرب بهدف تحقيق مكاسب شخصية . طبعاً جاء هذا في زمن « الوفاق» ، وهكذا نجد أن بوند ليس عدواً لأى قوة عالمية ، بل إنه يجنب العالم أجمع التهديد بالانقراض والتدمير نتيجة لسوء الفهم بين الشرق والغرب بسبب مؤامرات العصابة الاجرامية الشريرة وعبقرية رئيسها .

يقول الناقد الفني توني بنيت : « إن جيمس بوند قد تغير « فكرياً » ففى أيامه الاولى كان نقطة التقاء قومي متعصب أما جيمس بوند الستينات فقد كان جزءاً من محاولة لتحديث الأمة يمكن أن تتركز في شعار « بريطانيا الراقصة » ، وكانت تلك المحاولة تتصل بتنمية نمط جديد وصورة جديدة للزعامات الثقافية والسياسية. هكذا أعيد تشكيل جيمس بوند كالنموذج الاساسي للمهارة المهنية الصلبة الخشنة غير العاطفية ، المأمول فيها طبقاً لخطابات ادوارد هيث وهارولد ويلسون على السواء أن تقود بريطانيا في عصر ما بعد الاستعمار الحديث الخالي من الأوهام » .

ويستمر بنيت فيقول : « هكذا أصبح جيمس بوند يمثل بشكل مركز الروح غير الطبقيةالتي كثر التهليل لها في تلك الفترة . أصبح بوند بطلا للتحلل من التقاليد وليس بطلا يتمسك بالتقاليد ، وبذلك انفصل عن الأبطال التقليديين للطبقة الحاكمة أمثال ريتشارد هاني بطل روايات جون بوكان ، وبولدوج ديزموند بطل روايات سيريل ماكنيل » .

جيمس بوند والمراة

أصبحت صورة المراة فى أفلام «جيمس بوند» صورة عصرية بدورها ففتيات جيمس بوند يستعرضن طوال الفيلم أردية عصرية للغاية تؤكد على صفاتهن المتحررة والاستقلالية . أو كما يقول تيرنس يونج : « انهن نساء العصر الذري ، أكثر تحرراً وقادرات على التصرفات



مرجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا .. اعاد انتصارها على الارجنتين فكرة ان بريطانيا مازالت قوة عظمى .



ونستون تشرشل .. في نفس العام الذى توفى فيه ظهرت الرواية الأولى لايان فلمنج مؤلف شخصية بوند!



جيمس بوند الحديث : روجر مور فى فيلمه الاخير .

الغريبة كلما أردن أو بدون ان يسبب ذلك لهن أى قلق » . (٥)

لكن حقيقة الأمر أن « فتاة بوند » تحـررت فقط فى هذا المجـال ، وإن لم تتحرر في أي ناحية اخرى من نواحي الحياة ، إذ قبلت بوضع التابع . لقـد كانت هذه هي السمة الأساسية في الأفلام

الاولى . اما الأفلام الأخيرة ، وبالذات التي مثل فيها روجر مور شخصية جيمس بوند (وبالذات الفيلمان الاخيران : « ممشط القمر» و « الجاسوس الذي أحبني ») فقد انتقل مركز الصراع بين بوند والشرير الى «بوند» والفتاة . تلك التي عادة ما تصور على أنها شديدة التحرر ، ولكن مصيرها عندما تواجه بوند في النهاية أن « تشكم » مثل الفرسة . لقد كانت المهمـة «الفكرية» الأساسية في أفلام تلك الفترة ، هي ارجاع الفتيات اللاتي يثرن بحريتهن الى مدى ابعد من اللازم الى مكانهن الصحيح .

ملاحظة أخيرة

وماذا عن فيلم جيمس بوند الأخير الذي عرض بعنوان « اخطبوطي » ؟ انه يعتمد على آخر روايات جيمس بوند التي كتبها ايان فلمنج ، والقصة التي كتبها تتلخص في أن جاسوساً يسرق كنزاً من الذهب (كان يمتلكه النازي) لكنه ينال ما يستحقه من عقاب على يدي اخطبوط يدلله ويربيه في احدى البحيرات القريبة . لكن القصة بهذه الطريقة ليست مشوقة بما فيه الكفاية ، لذا عكف ثلاثة على تكييفها للسينما : ريتشارد بيبوم الذي كتب من قبل تسعة من سيناريوهات أفلام جيمس بوند ، والمخرج مايكل ويلسون ابن زوجة المنتج كوبي بروسولي واشترك معهما الكاتب جورج ماكدونالد فريزر .

وذكر النقاد أن تكاليف فيلم روجر مور وصلت الى ٢٥ مليون دولار ، لكن الحديث عن الفيلم لن يكون كاملا قبل أن نشهد دخول شين كونري الى ساحة المعركة في شهر يناير القادم !!

مجدي نصيف

المراجـــــع :

(١)
D. Cannadine: "James Bond and the Decline of England : Encounter : 53 (3) November 1979 - Page 46

(٢)
Tony Bennet : James Bond in the Eighties: Channel Five - P. 37

(٣) نفس المصدر السابق صفحة ٣٨ .

(٤) نفس المصدر السابق صفحة ٣٩ .

(٥) نقلا عن مقال بالملحق الملون لصحيفة الصنداى تلجراف بعنوان ماذا حدث لفتيات بوند ؟

What happened to the Bond Girls ? Tlegraph Sunday Magazine - 17 September 1978 - Page 10

من روائع
الفن العالمي

بقلم : جمال قطب

فنان الحضارات القديمة



لورانس الما تاديما : صورة رسمها لنفسه عام ١٨٩٦ .

فنان التاريخ والأشكال المرمرية ... هكذا عرفوه في قاموس الابداع العالمي .

إنه عبقرية فذة تفاخرت بها بريطانيا وهولندا طوال النصف الثاني من القرن الماضي وأوائل هذا القرن حتى مات عن ستة وسبعين عاماً سنة ١٩١٢ .

إنه فناننا الهولندي الأصل لورانس الما تاديما ، وقد اضاف اسم (لورانس) الى اسمه عرفاناً بالوطن الثاني ـ بريطانيا ـ بعد ان هاجر اليها واصبحت وطنه الأول منذ عام ١٨٦٢ .

عاش تاديما فترة المتغيرات اللاهثة في مدارس الفن وتحولاته التي اعتبرت ثورة جامحة على تقاليد الكلاسيكيات المتوارثة .. ونعرف أن هذه النزعات التحررية قد تمركزت في باريس منذ القرن الثامن عشر . وعلى هذه الصفحات ، استعرضنا سوياً معظم جوانبها من قبل : المدارس الطبيعية ـ الروكوكو ـ الرومانتيكية ـ العودة الى الكلاسيكية باسم الكلاسيكية الجديدة ـ الخروج الى الطبيعة التي تزعمها (جماعة باربيزون) ـ التبشير بالتأثيرية ثم (التأثيرية وما بعدها) ـ حتى كانت (الوحشية) آخر التصاق الفنان بالطبيعة .. الى أن ظهرت التكعيبية على يد بيكاسو عام ١٩٠٨ .. وتشعب الفن الى متاهات التجريد والسيريالية المعاصرة !

عاش تاديما احداث النصف الثاني من القرن الماضي ، كما عاصر الوحشية والتكعيبية في أوائل القرن العشرين .

ولكن المجتمع البريطاني المحافظ على التقاليد اكثر من غيره من الشعوب ، كان له مع الفن شان آخر .. فقد راينا ان الفن البريطاني من خلال مسيرته الطويلة يكاد ان يكون وقوراً ملتزماً ـ نسبياً ـ لا تؤثر فيه هزات الموجات المستحدثة التي كانت تهز العالم من اقصاه الى اقصاه متمركزة في العاصمة الفرنسية .

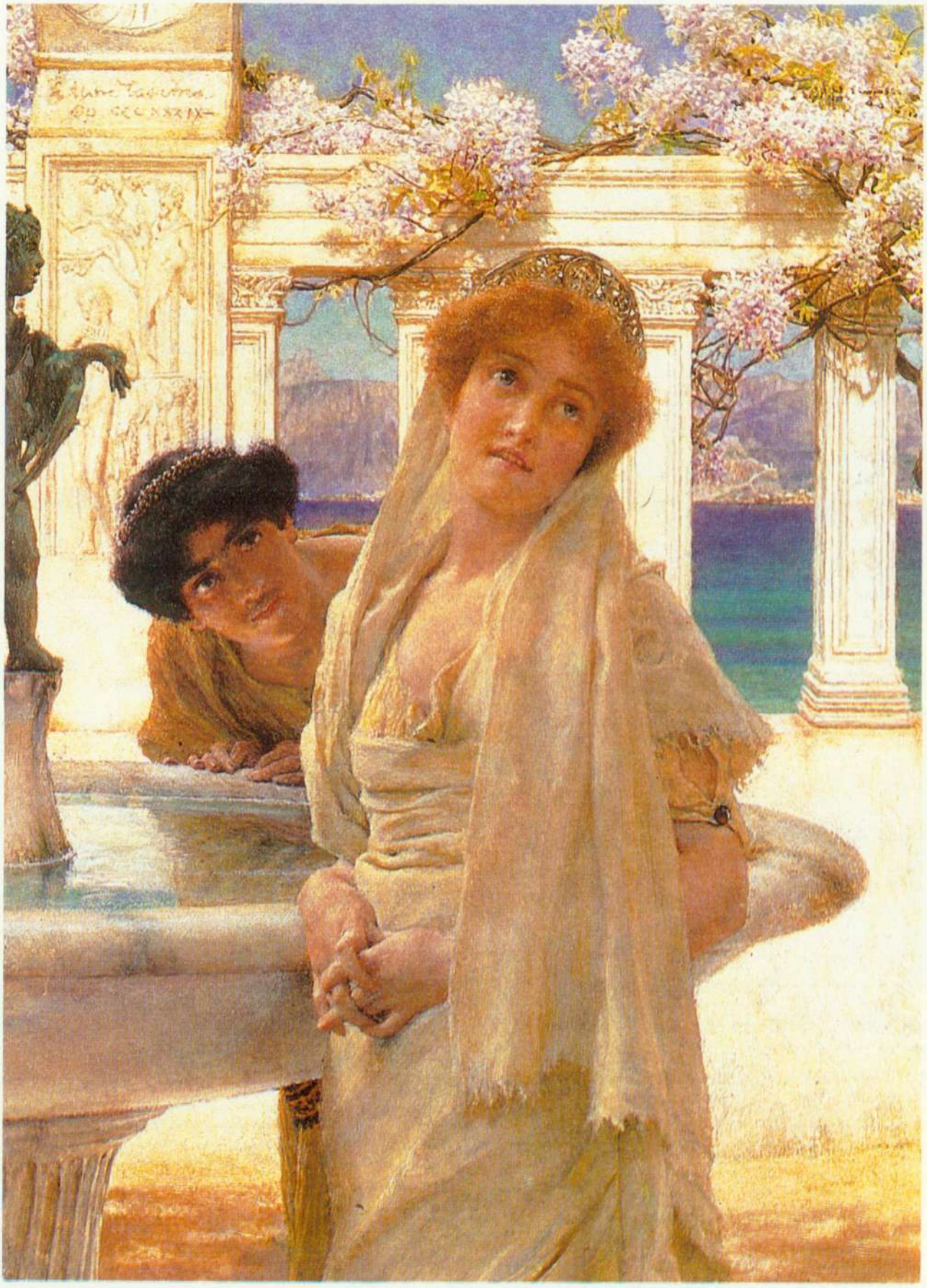
ومع ان حرية التفكير واختيار الاساليب كان متاحاً لكل فنان بريطاني دون حرج ، إلا أن الالتزام قد نبع من ذات الفنان ووجدانه دون ما شطط او جموح كما حدث في المعارك المحمومة التي شهدتها الساحة الفرنسية .

نعود الى فناننا (لورانس الما تاديما) فنراه ملتزماً الى ابعد الحدود ، سحرته قصص الكتب الدينية والأساطير القديمة ، وشغف بالاسلوب الأغريقي الحالم كالأطياف الشفافة .. كما درس التاريخ الفرعوني وتغنى بالحضارة المصرية القديمة في لوحاته .. واعتبرها اعجازاً حضارياً لا مثيل له في تاريخ البشرية حتى صار ـ آنذاك ـ مرجعاً عالمياً للحضارة الفرعونية بكل تفاصيلها ودقائقها .. ورايناه في عام ١٨٦٤ يقيم معرضاً خاصاً في (صالون باريس) لست وعشرين لوحة رائعة تتناول الحياة المصرية القديمة .. وقد نال عليها الميدالية الذهبية لأول مرة في حياته المثمرة الطويلة .

ثم توالت ابداعاته عن لوحات التاريخ الروماني والاغريقي .. وقصص الاساطير القديمة وغيرها ، وحصل كذلك على تلك الجائزة الرفيعة (الميدالية الذهبية) عدة مرات كان آخرها عام ١٩٠٦ ، وهي جائزة لا تعطى إلا لأساطين الفن العالميين .

ولا غرو أن تعتز بريطانيا بفنانها العبقري وتمنحه لقب (سير) وتحتفظ بلوحاته في متاحف خاصة تحمل اسمه الكبير .

وعلى الصفحة المقابلة ، يرى القارىء إحدى لوحات تاديما التي اضفى عليها لمسة شاعرية رقيقة .. وهي جزء من لوحة كبيرة من مجموعات اللوحات التاريخية الرائعة التي رسمها عام ١٨٩٦ في سنوات اهتمامه بدراسة الحياة الرومانية . ويعتبر النقاد هذه اللوحة من ارق أعمال الفنان الوجدانية في فترة نضوجه وتالقه ، وقد حملها كثيراً من العواطف الانسانية النبيلة ممثلة ملامح الفتاة ، وأجواء البحر والزهور وامجاد التاريخ الانساني العريق .



تامل : احدى اللوحات التاريخية التى رسمها الفنان عام ١٨٩٦ .



لماذا نبحث عن أسرار الفضاء ونهمل أسرار الماء؟

البحر

ذلك الكون المجهول!

بقلم: د. عبد المحسن صالح

من نظرة سريعة الى خريطة العالم ، او من رؤية واقعية لهذا الكوكب من الفضاء البعيد ، سوف تتضح لنا ابعاده المحدودة ، وتضاريسه المميزة ، وغلافه الذى لا يخلو ابدا من ستارة دائمة من السحب الكثيفة ، ثم سطحه الذى تنتشر فيه القارات بين مسطحات هائلة من الماء تكون حوالى ٧٠٪ من مساحة الارض ، ومنها يتصاعد الماء بخارا ، فيكون سحابا ، ليسقطه امطارا ، فتصير انهارا .. بها عذوبة ، ولنا فيها حياة .. فلا غرو إذن أن يكون هذا الكوكب هو كوكب الماء ، وبتلك المكرمة التى لم يحزها اى كوكب آخر فى المجموعة الشمسية سواه نشأت فيه الحياة .. إذ لا حياة بدون ماء .

ولاشك أن كمية المياه المنتشرة فى هذا الكوكب ضخمة غاية الضخامة ، ولهذا فقد توزعت فى بحار واسعة ، ومحيطات شاسعة ، ولقد ظلت الى عهد قريب كما هائلا مجهولا ، لأن نظرتنا اليها لا تعدو نظرة سطحية ، وهى لا تختلف كثيرا عن نظرة الانسان القديم الذى لم يكن يعرف عنها إلا أنها مياه مالحة تعيش فيها حيوانات واعشاب بحرية ، او هى مهد اللؤلؤ والمرجان ، أو مصدر من مصادر الملح والطعام ، أو سبيل من سبل المواصلات أو الرحلات التى كان يستخدم فيها المجداف والشراع ، ثم هى فوق ذلك ماوى لكائنات أسطورية تمثلت له فى حوريات وجنيات وما شابه ذلك .

ولقد تجول الانسان على اليابسة بحرية تامة ، فغزا جبالها ووديانها وغاباتها وصحاريها وجليدها ، ثم اخيرا جدا حلق فى غلافها ، وانطلق بعد ذلك الى الفضاء



«تاكسى» او غاطسة الاعماق «نيكتون» وقد برزت لتوها من القاع ، حيث غاصت الى عمق ٣٥٠ مترا ، وبعد قليل تتوجه الى سفينة الابحاث الام .

تبدو كطبق طائر مما يزعم الناس رؤيته ، لكن ذلك «طبق» حقيقى من «الاطباق» او الغاطسات التى تدرس اعماق البحار والمحيطات ، ويطلق عليها اسم نجمة الاعماق .



طراز اخر من الغاطسات حيث يبدو تكوينها الداخلى من خلال مقطع ، وهى هنا مجهزة بفكين لتقبض بهما على عينات القاع وتسحبها الى الداخل .. وهى تتسع لشخصين .

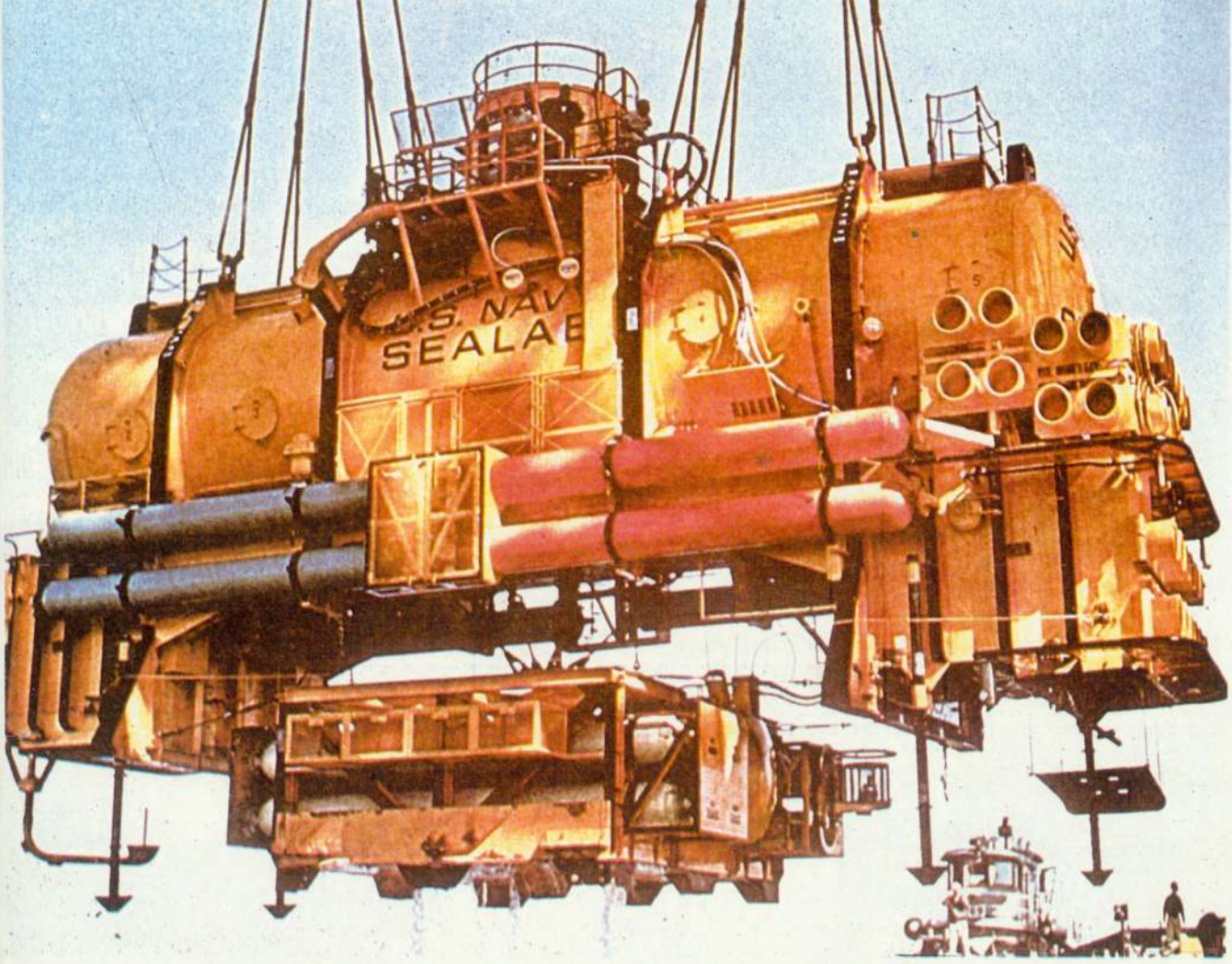
المحيط بها ، وعرف الكثير عن الكواكب السيارة ، والنجوم المتلألئة ، والمجرات التى تنتشر فى محيط الفضاء العظيم ..

لكنه ـ رغم ذلك ـ لم يعرف إلا القليل عن محيط آخر قائم بيننا ، أو واقع تحت اقدامنا .. ذلك هو المحيط المائى الذى يحيط بكل القارات ، ومع ذلك ، فقد ظل عنيداً ضد الغزوات .. هذا فى الوقت الذى حقق فيه الانسان انتصارات عظيمة فى المحيط الهوائى ، ثم المحيط الفضائي ، فحلق فى هذا ، وانطلق الى ذاك !

لكل عالم ما يناسبه

وقد يبدو ذلك بعيداً عن الواقع ، أو تجنياً على الحقيقة ، فمن ذا الذى ينكر أن الانسان قد غزا بالفعل كل البحـــار والمحيطات ، ووصل فيها الى نهاياتها ، وعرف دروبها ومسالكها ؟

وهذا صحيح ظاهراً ، لكنه ليس كذلك باطناً ، لأن الانسان لم يتجول إلا على سطحها غالباً ، ولم يتعمق فيها إلا نادراً ، ذلك أن هذه المسطحات المائية الشاسعة تظهر غير ما تبطن ، ولاشك أن الباطن يحتوى على أسرار ومتاهات وألغاز أكثر بكثير من الذى نراه فى الظاهر ، ممثلا فى أحياء مائية مدروسة ، وتيارات بحرية معروفة ، وأمواج عاتية تظهر حيناً ، ثم تهدأ حيناً آخر .. الى آخر هذه الأمور التى لا يختلف عليها اثنان .. لكن ماذا تبطن الأعماق السحيقة التى يطويها السكون ، وتخيم عليها الظلمات ؟ .. وهل هى ماء مالح وقيعان مستوية أو غير مستوية وكفى ؟



المعمل البحرى الغاطس سيلاب III ، وهو طراز متطور من معملين اخرين سبقاه ويطلق عليهما سيلاب I ، سيلاب II .. وهو مجهز من الداخل والخارج بكل ما ييسر مهمة ارتياد الاعماق ودراستها .

الواقع أن البحار والمحيطات لازالت فى اعماقها كوناً مجهولا ، وهى بالفعل تثير فضول العلماء خاصة ، والناس عامة ، فرغم أن الذين قد هياوا انفسهم لدراستها يعرفون انها أمل الحاضر ، وحلم المستقبل ، ويدركون أن الجزء الاعظم من هذا الكوكب يخفى تحت مياهه ثروات هائلة ، وهو الذى يؤثر فى اليابسة ، ويشكل قاراتها ، ويحرك زلازلها ، ويغير فى تضاريسها .. رغم ذلك لم تحظ هذه الاعماق بما حظى به الفضاء من اهتمامات ودراسات ، وبحيث اصبحنا نعرف عنه اكثر مما نعرف عما يجرى فى القاع من احداث رهيبة .

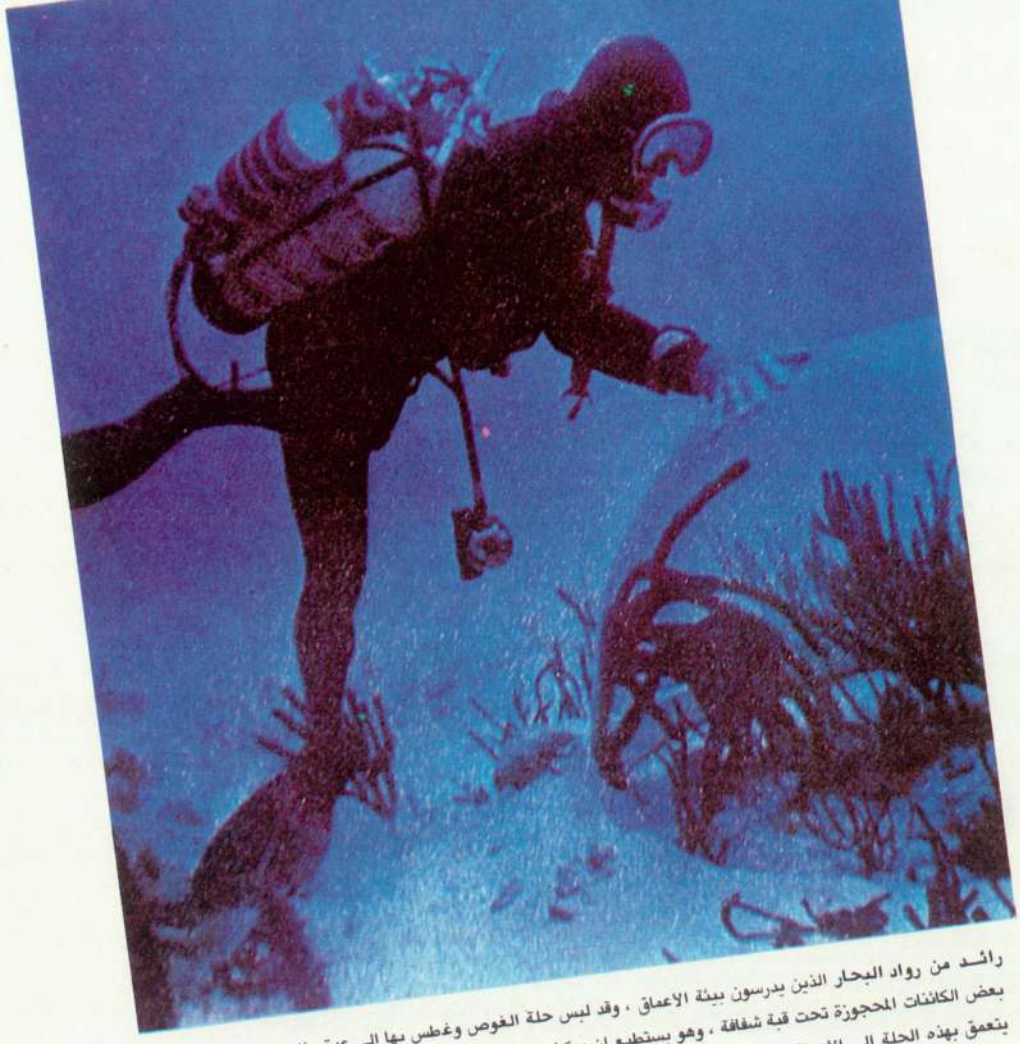
هل يعنى هذا أن غزو اعماق البحار أصعب منالا من غزو الفضاء ؟

ليس ذلك تماماً ، لان غزو الفضاء ـ وان كان أصعب ـ هو غزو فى كون مكشوف .. كون ترقبه العيون ، او ترصده المناظير الفلكية ، ولطالما تطلع اليه الانسان من قديم الزمن ، فعاين كواكبه ، ورصد نجومه وحدد ابراجه .. لكن من الذى يستطيع أن يدعى أنه رأى أعماق المحيطات وهى مجللة بظلام حالك لا ينفذ اليها نور قمر ، او ضوء شمس ليراها على حقيقتها كما يرى الفضـــاء ؟ .. وحتى الذين غاصـــوا الى نهاية القاع ، واضاءوا فيه كشافاتهم القوية لم يستطيعوا أن يروا إلا بضعة امتار تمتد أمامهم ، اى انهم راوا بقعة صغيرة محدودة فى عالم من الظلام غير محدود !

ولاشك أن الصعوبات التى تقابل الانسان إذا ما ترك بيئته التى تكيف بها ، وتاقلم عليها ، الى بيئات اخرى معادية ، لاشك أنها تستلزم منه معرفة وحرصاً ودراسة تؤهله لمجابهة أخطارها ، ويستوى فى هذا الصعود الى اجواز الفضاء ، او الهبوط فى اعماق الماء ، ورغم ان الهبوط أيسر من الصعود ، إلا ان لكل مشاكله وعقباته .. ففى الصعود تتجلى قوى الجاذبية ، ويقل الضغط ، ويرق الهواء ، حتى يختفى تماماً فى الفضاء ، الذى تنتشر فيه اشعاعات مدمرة ، ولابد من الحرص والحماية حتى لا يحترق الانسان ، او ينفجر ويتطاير على هيئة اشلاء .. وفى الهبوط الى الأعماق ، يحدث العكس تماماً ، إذ يزيد الضغط ويتضاعف كل عشرة امتار وكذلك تنخفض الحرارة ، ويزيد الظلام ، وليست المشكلة فى الغوص لعشرات الامتار ، ثم العودة الى السطح ، لكن المشكلة الحقيقية سوف تتضح على عمق مئات أو آلاف الامتار .

حصيلة علمية لها مغزاها

لكن ذلك لا يعنى أن عالم الاعماق قد ظل نسياً منسياً ، بل بدأت غزواته الحقيقية تاخذ مجراها منذ حوالى ثلث قرن من الزمان ، او اكثر قليلا ، ولقد ساعد على هذا الغزو تطور الاجهزة العلمية ، وتشييد الكبسولات او المركبات التى تستطيع أن تهبط الى الأعماق السحيقة ، واستنباط حلل للغوص ذات كفاءة عالية فى تحمل الضغوط الشديدة ، واستخدام اجهزة للاتصالات ، وكشافات قوية للاضاءة ، وكاميرات تليفزيونية تستقر على القاع ، وتمكث فيه شهوراً لتسجيل ما يحدث فيه ، وتبعث ما التقطته الى اجهزة استقبال مشيدة على سفن الابحاث العائمة ، هذا بالاضافة الى اجهزة أخرى لترصد درجات الحرارة والتيارات والظواهر الكيميائية



رائد من رواد البحار الذين يدرسون بيئة الاعماق ، وقد لبس حلة الغوص وغطس بها الى عدة مئات من الاقدام ليدرس بعض الكائنات المحجوزة تحت قبة شفافة ، وهو يستطيع ان يمكث عدة ساعات ، ثم يعود الى السطح .. لكنه لا يستطيع ان يتعمق بهذه الحلة الى الأعماق البعيدة ، لأنها تناسب فقط القبعان الضحلة نسبياً .

والفيزيائية والطبيعية من زلازل وانفجارات أرضية تحدث فى القاع ..

ورغم أن تلك الأجهزة هى بمثابة عيننا التى نرى بها ، وأذننا التى نسمع بها ، لكنها مع ذلك لا تغنى عن ممارسة حقيقية لرؤية ما يجرى فى الظلام من أحداث .. وهى هنا تعيد الى الأذهان ما كان يعرفه الانسان عن الفضاء ، فلقد عرفنا الكثير عن الغلاف الهوائى ، والمجموعة الشمسية بما فيها من كواكب وأقمار ، وكذلك أغلفتها وحجمها ووزنها ومداراتها قبل أن نصعد اليها ، لكن طموح الانسان فى معاينة القمر مثلا قد دفعه لارسال رواد فضاء يسيرون على سطحه ويعاينونه ويرونه رؤية العين كذلك كان هناك رواد لأعماق البحار والمحيطات ، وبعضهم وصل الى أعمق منطقة فيها ، وتبدو لأول مرة فى تاريخ البشرية جزءاً صغيراً من ظلامها الأبدى ، وتمت الرؤية والمعاينة لبضع ساعات قليلة بكشافات قوية .

لكن ليس معنى ذلك أن أعماق البحار قد باحت لنا بكل أسرارها ، بل يعنى أن الانسان قد حقق هدفاً عزيزاً ، وسجل انتصاراً عظيماً ، وتغلب على الضغوط الرهيبة التى تجثم على قيعان الأخاديد العميقة ـ فمتوسط عمق البحار والمحيطات يقع فى حدود ثلاثة كيلومترات ونصف كيلومتر ، لكن هناك أغواراً سحيقة فى المحيط الباسيفيكى يصل عمقها الى حوالى ١١,٠٠٠ متر ، وفيها تصل الضغوط الى ١١٨٠ كيلوجراماً على السنتيمتر المربع الواحد ، أى لو تصورنا أن الانسان قد أبرز طرف إصبعه فى هذه الأعماق ، لاستقبل عليه ضغطاً يساوى عدة أطنان ، أو لو برز جسمه دون حماية لدقت عضلاته ولحمه فى عظامه ، ذلك أنه سيتعرض لضغوط تصل الى عشرات الآلاف من الأطنان !

على أية حال ، نعود لنذكر أنه منذ بداية النصف الثانى من القرن العشرين ، بدأت الدول المتقدمة ، وبعض الدول النامية التى لها اهتمامات خاصة بالبحار أو المحيطات أو الخلجان التى تكون جزءاً من حدودها ، فى رصد ميزانيات كبيرة لتمويل سفن الأبحاث التي لازالت تجوب هذه المسطحات المائية الضخمة ، حاملة على ظهرها فرقاً رائدة من العلماء الذين يمثلون كل التخصصات ، فمنهم العالم الكيميائى والبيولوجى والجيولوجى والفيزيائى والتكنولوجى والمهندس .. الخ ، فجمعوا من رحلاتهم حصيلة من العلم تستوعب مجلدات كثيرة من فوق مجلدات ، فكاتب هذا المقال قد وقعت بين يديه بالصدفة أربعة مجلدات من الحجم الكبير ، عندما كان فى زيارة عابرة لمعهد علوم البحار بالقاهرة ، وهى حصيلة رحلة واحدة قامت بها سفينة أبحاث واحدة ، واستغرقت رحلتها عاماً وبضع عام ، إذ كلما سارت السفينة أو توقفت فوق منطقة من المناطق ، تلتقط الأجهزة سيلا من المعلومات تدفع بها الى حاسبات اليكترونية ، لتحلل وتصنف وتسلمها للعلماء فى صورة جاهزة ، فيستقون منها نتائج محددة ، يكون لهم فيها تعليل وتفسير عما يكمن فى ظلمات البحار من أسرار ظلت خافية على كل الأجيال السابقة

حقائق مثيرة

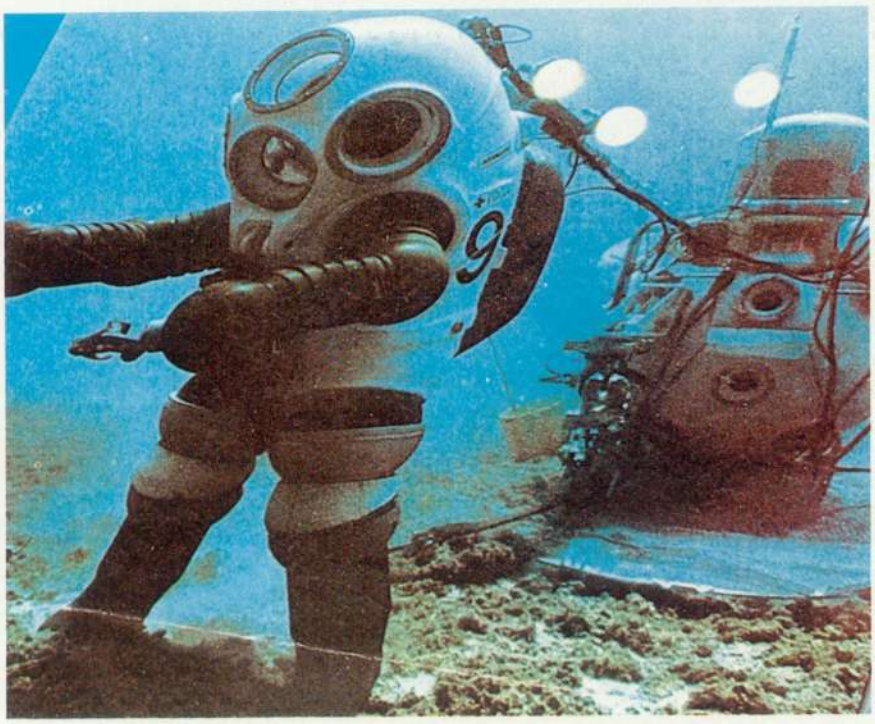
إن أول ما قد يطرأ على البال هو هذا التساؤل : ماذا يمكن أن تستوعبه البحار والمحيطات من كتل مائية لا نراها إلا ظاهراً ولا نعرفها باطناً ؟

إن الحجم أو الكتلة قد لا يستوعبه العقل ، وهى هنا لا تقاس بالمتر المكعب أو الطن ، لأن ذلك يشغل رقماً كونياً ، ومع هذا فحجم تلك الكتل يقع فى حدود ١٣٠٠ مليون كيلومتر مكعب ، هذا والكيلومتر المكعب يحتوي بدوره على بليون متر مكعب !! .. ولو وزعت هذه الكمية على كل سكان العالم ، لكان نصيب الفرد منها حوالى ٣٣٠ مليون متر مكعب ، ولو تصورنا أننا صببنا هذه الكميات فى اسطوانة ، لاحتجنا الى واحدة مساحة مقطعها ١٢ الف كيلومتر مربع ، وطولها حوالى ١١٥ الف كيلومتر .. أى أطول من ربع المسافة بين الأرض والقمر !

ومن المعروف أن مياه البحار مالحة ، ونسبة الملوحة فيها حوالي ٣٫٥٪ في المتوسط ، ولهذا فان الميل المكعب الواحد يحتوي على ١٤٨ مليون طن من الملح ، ولو تصورنا أن الكميات الذائبة من الملح فى البحار والمحيطات قد استخلصت ثم انتشرت على سطح الأرض ، لغطتها بطبقة من الملح يصل سمكها الى حوالي ١٥٠ متراً !

وبجوار ملح الطعام تحتوى تلك المياه على حوالى ٦٠ عنصراً تدخل فى تكوين

البحر.. ذلك الكون المجهول!



كلما زاد غوص الانسان الى اغوار اعمق ، فلا مناص من تصميم حلل اكفأ واسمك ، لتتحمل الضغوط الكبيرة ، كما هو واضح من هذه الحلة الغريبة التى توجد فى داخلها عالمة من علماء البحار تدعى سيلفيا ايرل ، ومن ورائها تبدو سفينة من سفن الاعماق .

مركبات كثيرة ذائبة ، ومن هذه العناصر ـ على سبيل المثـــال ـ الماغنسيوم والكالسيوم والكبريت والبورون والبروم واليود والمنجنيز والحديد والكوبالت والنيكل والكروم والفضة والذهب والزئبق والزرنيخ والنحاس والفوسفور .. الخ ... الخ ، وهى قد توجد بتركيزات تصل الى ملايين الأطنان فى كل ميل مكعب من الماء ، أو مئات وآلاف وعشرات الآلاف من الأطنان فى نفس هذا الحجم ، أو قد توجد بكميات جد ضئيلة ، مثل الذهب الذى يصل تركيزه الى حوالى ١٧ كيلوجراماً فى الميل المكعب ، والفضة بكمية تقدر بحوالى ١٢٠٠ كيلوجرام ، وهما لندرتهما لا يمكن استخلاصهما بطريقة اقتصادية ـ على الأقل فى الوقت الحاضر .

وفى هذه المياه تعيش عشرات الألوف من انواع الكائنـــات الحيـــة النباتيـــة والحيوانية ، بعضها ضئيل غاية الضآلة ، ولا يمكن رؤيته إلا بالمجاهر ، والآخر قد يكون عظيم الضخامة ، مثل الحيتان التى قد يصل وزن بعضها الى حوالى ١٤٠ طناً ، هذا ويقدر بعض العلماء ان المادة الحية التى تزخر بها البحار والمحيطات يتراوح وزنها بين ٥٠٠ الف مليون طن على اقل تقدير ، ٢ مليون مليون طن على اكثر تقدير ، فى حين أن ما تنتجه كل النباتات الارضية يصل فى المتوسط الى حوالى ٣٠٠ الف مليون طن سنوياً !

ورغم أن الضغوط جد رهيبة فى الاعماق ، إلا أن العلماء قد اكتشفوا فيها انواعاً غريبة من الكائنات الحية التى تكيفت بهذه الضغوط الجبارة ، وتاقلمت على حياة الظلام السرمدى ، ثم إنها لا تستطيع أن تبرح مكانها ، وترتفع الى الطبقات السطحية ، ولو فعلت لهلكت ، ولهذه الكائنات اشكال مثيرة ، وطرق حياة غريبة وتحمل على اجسامها مصابيح حية مضيئة لتنير لها طريقها فى الظلام ، لكن ذلك موضوع آخر طويل ومثير ، وقد نفرد له دراسة قادمة ، لكن يكفى أن نذكر هنا ان الكائنات البحرية قد وزعت نفسها بين الطبقات المختلفة ، فمنها ما يعيش فى الطبقات السطحية ، أو ما دونها ، أو فى ظلمات الاعماق .

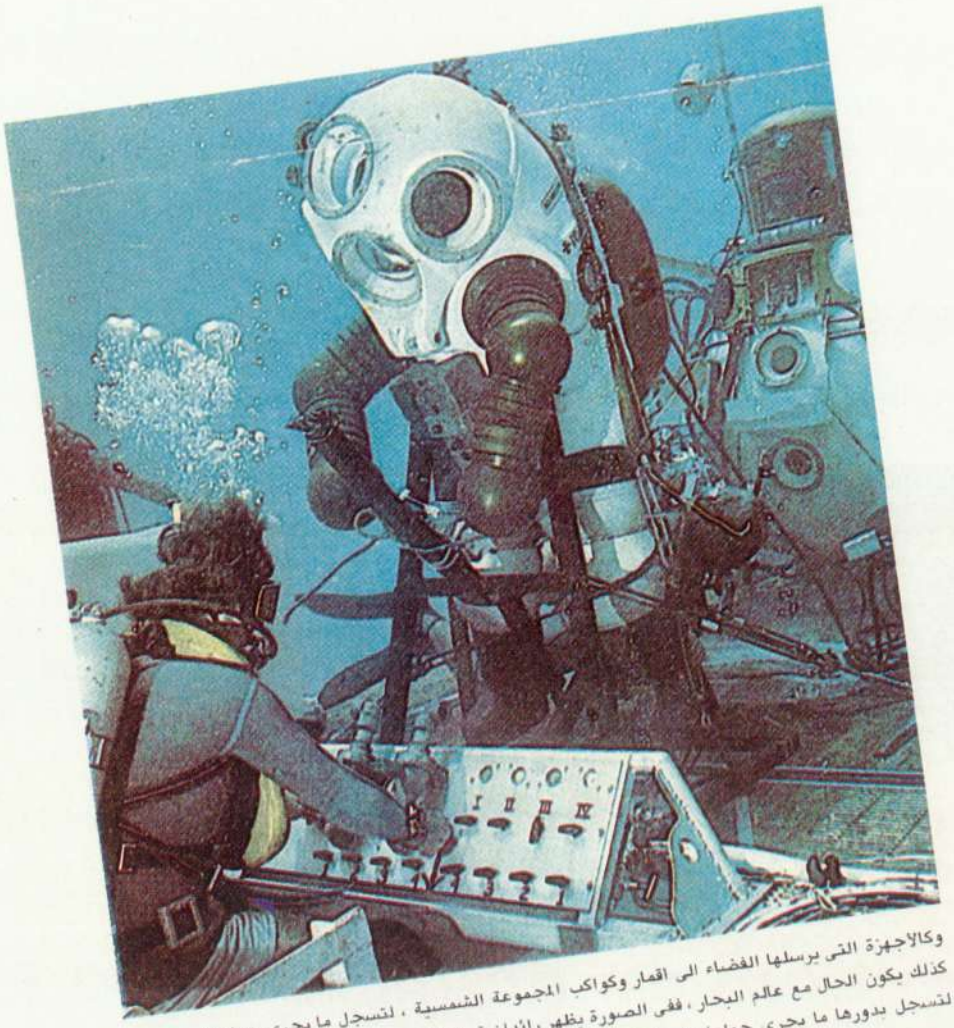
ثم ان اضخم واطول واعلى سلاسل الجبال لا توجد على سطح الأرض ، بل توجد مغمورة تحت الماء ، إذ تمتد فى سلسلة واحدة متفرعة الى ما يزيد عن ٦٤ الف كيلومتر ، ويصل ارتفاعها فى بعض المناطق الى حوالى ١٥ الف قدم ، وياخذ واحد منها شكل قوس عظيم يبدأ من خليج عدن ومارا بجنوب شبه جزيرة العرب والمحيط الهندى ثم الباسيفيكى الى ان يصل الى سواحل كاليفورنيا ، ولو تصورنا أن المحيطات قد جفت لبرزت من القاع جبال وهضاب تناطح جبال الأرض ضخامة وطولا ، لكن الغريب حقا ان العلماء قد سجلوا احداثاً غريبة لهذه السلاسل المغمورة ، وكانما الأرض هناك تتمزق وتتشقق .

وسائل الغزو الغاطسة

وكما يصعد الانسان الى الفضاء فى كبسولات واقمار تدفعها صواريخ ، كذلك يهبط الى قاع المحيطات فى «أطباق» او كبسولات او غاطسات او «تاكسيات» مائية اعدت اعداداً مناسباً لتؤدى مهمتها بكفاءة ونجاح ، وعلى حسب المهمة ونوعها والعمق الذى ستهبط اليه الكبسولة المائية ، او كون الغاطسة ستحمل فى جوفها رائد اعماق او اكثر ، او ستكون بدون رواد ، وعلى حسب الفترة التى سيقضونها تحت الماء .. الخ ، يكون تصميم الغاطسات .. فالغوص لفترات محدودة ، وعلى اعماق معقولة ، لا يستلزم مثل هذه المركبات المائية ، بل يحتاج فقط لحلة غوص مزودة بخزان من غاز الأوكسجين ، وكلما زاد العمق ، وامتدت الرحلة لأيام او اسابيع ، زادت متانة الجدر ، واتسعت المركبة لتستوعب الاجهزة والماء والطعام والأوكسجين .. الخ .

وطبيعى أن كل شىء يبدأ متواضعاً من حيث الفكرة والتصميم والتنفيذ ، ثم يصقل ويتطور الى الاحسن بمرور الزمن ، ونهذا فلاغرو ان نسمع عن طرازات كثيرة من الغاطسات ، فالولايات المتحدة الامريكية قد انتجت وحدها اكثر من اربعين نوعاً من غاطسات الاعماق ، هذا بخلاف ما انتجته الدول الاخرى التى لها اهتمامات بمستقبل بحوث البحار .. وترى هنا بعض هذه الطرازات منشورة ضمن هذا المقال .

وكرائد الفضاء الذى يترك سفينته الفضائية بحلته التى تقيه من الاشعاعات وانعدام الضغط ، ليتجول فى الفضاء ثم يعود ، كذلك يكون الحال مع رائد الاعماق



وكالاجهزة التى يرسلها الفضاء الى اقمار وكواكب المجموعة الشمسية ، لتسجل ما يجرى حولها او عليها ، كذلك يكون الحال مع عالم البحار ، ففى الصورة يظهر رائدان تحت الماء وهما يقومان بتثبيت بعض الاجهزة لتسجل بدورها ما يجرى حولها على القاع من ظواهر طبيعية وكيميائية وحيوية واضطرابات ارضية .

الذى يخرج بدوره ويتجول بحلة غطس تقيه البرودة والضغوط ، وكلما زاد العمق ، زادت حلة الغوص سمكاً ووزناً وتجهيزات ، وبحيث تبدو كرداء غليظ وغريب ومخيف ، وهو ما تراه واضحاً فى بعض الصور المنشورة .

إن اول فكرة رائدة فى هذا المجال هى التى قام بها العالم الفيزيائى السويسرى اوجست بيكارد ، إذ صمم اول غاطسة واظهرها الى الوجود عام ١٩٤٨ ، وكان بيكارد قبل ذلك خبيراً فى تصميم المناطيد او البالونات الهوائية التى ترتفع الى طبقات الجو العليا ، وحقق بواحد منها رقماً قياسياً ، إذ وصلت البالونة الى ارتفاع ٧٢١٧٧ قدماً بغرض اجراء بحوث فى طبقات الجو العليا ، ولقد ساعدته تلك الخبرة على تصميم غاطسة متواضعة هبط بها بصحبة احد علماء البحار الى عمق ٨٤ قدماً لا غير ، ثم ارسلها بعد ذلك خالية الى اعماق اكبر ، لكنها انهارت واصابها العطب عندما وصلت الى عمق ٤٥٠٠ قدم !

وبعد عشر سنوات نجح ابنه دكتور جاك وبمعاونة ملازم بحرى امريكى يدعى دونالد وولش فى تصميم غاطسة اطلق عليها اسم «تريست» .. ورغم انها كانت ثقيلة وسميكة وبطيئة الحركة ، إلا انها كانت اول واخر غاطسة حتى الآن تحقق رقماً قياسياً ، إذ استقلها كل من جاك ودونالد وهبطا بها يوم ٢٣ يناير عام ١٩٦٠ الى اعمق بقعة فى المحيط الباسيفيكى .. ولقد ظلت تهبط بهما لمدة اربع ساعات ، ٤٨ دقيقة ، حتى وصلت الى عمق ١٠٩١٧ متراً تحت سطح الماء ، ومست بذلك القاع ، ثم اضيئت الكشافات ، وتطلعت العيون لاول مرة فى تاريخ البشرية الى ابرد واهدأ واعمق واظلم منطقة فى قاع المحيط ، ووصفت هذه الرحلة بانها اخطر واجرأ رحلة تمت حتى الآن فى ذلك المجال ، ولكى نتصور ماذا يعنى هذا العمق الهائل ، كان علينا أن نشير الى أن كرة من الصلب وزنها حوالى نصف كيلوجرام ، لو القيت من سفينة تقف فوق هذا الاخدود ، فان الكرة لن تصل الى هذا القاع السحيق إلا بعد مرور ساعة وثلاث دقائق .

عود على بدء

ولاشك ان مثل هذه البحوث تحتاج الى الكثير من الجهد والصبر والعلم والامكانيات ، لان البحر او المحيط جد واسع وكبير ، بل اكبر مما نتصور ، فالمحيط الباسيفيكى وحده يستطيع ان يبتلع كل القارات ويزيد دون ان يظهر لها اثر .. فهو وحده يستوعب حوالى نصف مساحة الأرض (ومساحة القارات مجتمعة لا تزيد عن ٣٠٪ من مساحة الكوكب) .. ومن اجل هذا تتابعت انواع المعامل البحرية الغاطسة ، مثلها فى ذلك كمثل معامل الفضاء الصاعدة ، فنحن نسمع كثيراً عن طرازات مختلفة من معامل الفضاء Skylabs إلا أن ما يعرفه الناس عن معامل البحار الغاطسة Sealabs لا يمثل شيئاً مذكوراً ، هذا رغم انها موجودة ، وتحقق اهدافاً كبيرة ، فهناك مثلا معامل بحرية تعرف باسم رقم ١ ، ٢ ، ٣ (Sealab I, II, III) ولكل منها مهمة وهدف ، ومنها ما يعرف ايضاً باسم نجمة الاعماق ، وجرو البحر ، وباحثة القاع ، والخوذة الرابعة ، ج س ف ـ ١ ، ونيكتون ، س ب ـ ٣٥٠ ... الخ ، وهى مهياة للغوص لبضعة مئات او الاف من الاقدام ، هذا بالاضافة الى سفن الابحاث الام التى تسبح على السطح ، وتلقى باجهزتها الى الاعماق السحيقة ، لتحضر العينات من القاع ، وتحدد اغوار المياه ، وتسجل التضاريس البحرية ، وتكتشف الجبال الغاطسة بواسطة اجهزة صدى الصوت المرتد .. الخ .

ورغم أن معلوماتنا عن هذا الجزء الاكبر المظلم من كوكبنا لازالت قاصرة ، إلا ان ما جمعه العلماء يوضح لنا صورة مثيرة عن نشاة الجزر والقارات ، وما تخبئه المحيطات فى جوفها من اسرار .. واهمها على الاطلاق وجود تشققات وتصدعات هائلة ، تنتشر فيها براكين مائية مثيرة ، وكانما قيعان البحار تتمزق وتتصدع وتتشقق ، ثم تندفع على هيئة صفائح ضخمة متلاحمة ، فتدفع القارات وتحركها ، مما قد يغير معالم اليابسة مستقبلا ، فتختفى بحار وخلجان ، وتظهر اخرى ، او تبرز جزر ، وتغوص غيرها .. الى آخر هذه الاحداث الرهيبة التى تتم فى الخفاء ، ولا يعرف أسرارها إلا نفر قليل من العلماء ، وهذا ما سنتعرض له فى دراسة قادمة إن شاء الله .

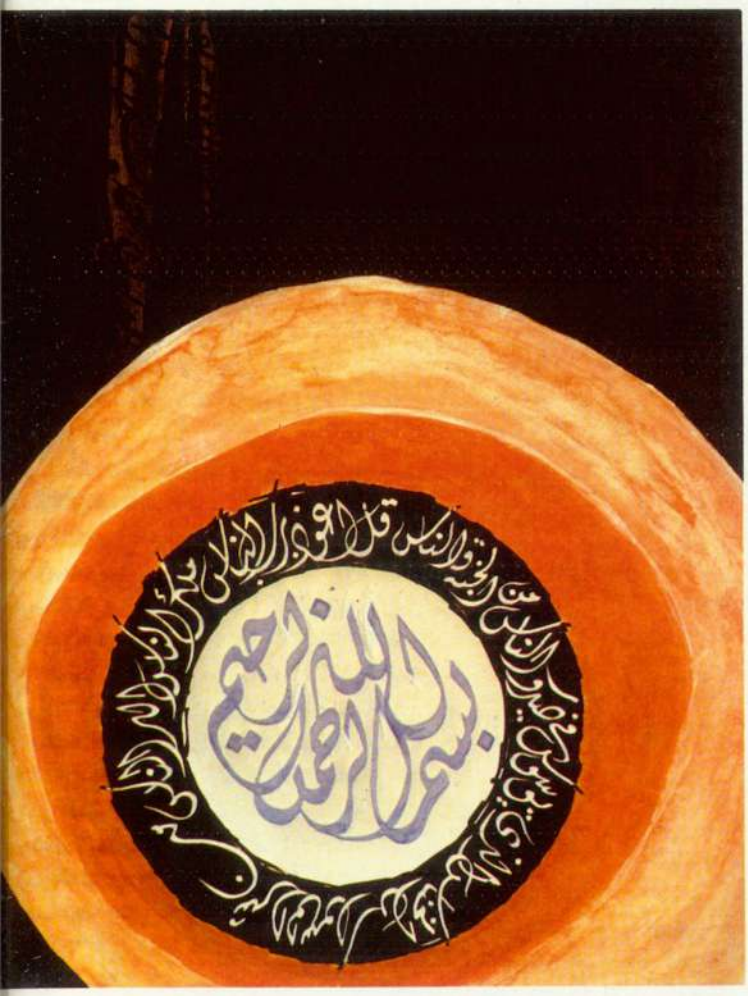
د. عبد المحسن صالح

بدائع الخط العربي
في لوحات فنان قطري

أجرى الحوار : حسن الملا



الفنان التشكيلي علي حسن .. طور علاقته بالخط العربي في مجال التشكيل الفني



«البسملة»

بعد أن عرفناه خطاطاً في الصحف والمجلات القطرية ، استطاع أن يقتحم مجال التشكيل ، معتمداً على تطوير علاقته بالخط العربي ، معبراً عن الخلجات التي تدور في أعماقه ، والمشاعر المرهفة الحساسة التي تدفعه الى مجموعة من اللوحات تعتمد على تكوينات متميزة للحروف العربية .. وتهدف إلى اكتشاف أقصى امكانات هذه الحروف وتوظيفها في الاتجاه الفني الذي يخدم الحركة التشكيلية ويوسع من اتجاهاتها الطموحة على المستوى العربي .

والفنان القطري علي حسن من بين أبناء الأسرة الفنية التشكيلية في قطر ، الذين استطاعت الجمعية القطرية للفنون التشكيلية أن تجتذبهم للانضمام اليها في السنوات الأخيرة ، كما تعهدته ادارة الثقافة والفنون بوزارة الاعلام بكل الرعاية والتشجيع ، وكان من نتيجة ذلك أن اشترك في عدة معارض من بينها : المعرض العام السادس (١٩٨٣) ، المعرض الثالث للجمعية القطرية للفنون التشكيلية ، وأسبوع قطر في النمسا .

وحول امكانيات الخط العربي في الاتجاه التشكيلي ، وأيضاً حول كل ما يدور في ذهن الفنان من آراء متعلقة بالحياة الفنية في الوطن العربي كان هذا الحوار :

● ما هي المراحل التي مررت بها ؟ وكيف بدأت علاقتك مع الخط ؟



حروف عربية .



وجعلنا من الماء كل شيء حي



من التراث

– يمكن القول ان البداية كانت مرحلة التكوين للخطوط العربية الاكاديمية التى حرصت على اتقانها وساعدني في ذلك عملي في الصحافة المحلية منذ سنة ٧٢ وحتى ٨٣ .

الحرف العربي كان يجذبني بشدة . وإذا كان غاية فى البداية ، إلا انه الآن وسيلة للتعبير بحدوده غير المتناهية التي تفتح امامك افاقا رحبة .

والواقع ان للحرف بشكل عام شخصيتين احداهما بصرية او شكلية والاخرى صوتية (فونوتيكية) ، وهذه الاخيرة من اختصاص اللغويين والمسرحيين والمغنين ، اما الشخصية البصرية او الشكلية للحرف بشكل عام ، وللحرف العربي بشكل خاص ، فهي وسيلة مهمة للفنان التشكيلي ، يستطيع بواسطتها ابتكار قوالب جديدة ليس لها حدود للتعبير عما يريده .

وكما ذكرت فبداية اهتمامي كانت بالخط الأكاديمي وكان شاغلى الوحيد هو إيجاد الطريقة التي استطيع بها كتابة كل انواعه (نسخ – رقعة – ثلث – فارسي – ديواني – كوفي .. الخ) ومن الصعب تحديد مراحل محددة . فالحرف العربي لا يعرف الحدود ولا يمكن النظر اليه وكانه مجرد ابعاد واشكال هندسية لان له حيوية فى التعبير تساعد على صيغ كاملة تعطي معانى وافكارا خاصة .

بدائع الخط العربي
في لوحات فنان قطري



اطلال

● بمن تأثرت ؟ ..

ـ لقد اطلعت على تجارب الكثير من الفنانين الذين ساهموا في تكوين مختلف اتجاهات استخدام الخط في الفن العربي المعاصر ، ولقد كانت تشدني أعمال فناني مدرسة البعد الواحد . ربما لأنهم رواد هذا المجال ، وكما ذكرت ، فان المدى الذي يفتحه الحرف العربي يترك للفنان هامشاً كبيراً لابتكار الأساليب التي يرى أنها تعبر عما يعتمل في ذهنه .

● ما هي الخامة المستخدمة في الخط العربي ، وفي لوحاتك الفنية ؟

ـ أستخدم في أغلب أعمالي الاحبار والجواش ولعل هذا يرجع الى شدة ارتباطي بها منذ أن بدأت أتعامل مع الخط سواء في مرحلة الدراسة أو مرحلة الصحافة .

● كيف تتم عملية الابداع الفني لديك ؟

ـ قد لا أسميها عملية ابداع بقدر ما هي موقف وتواصل من ومع المجتمع وقضاياه ، حيث أن اللوحة هي أولا وأخيراً موجهة للجمهور الذي يستطيع بحس عفوي أن يقدر قيمة العمل تبعاً لمدى ارتباطه به .

والواقع أن مرحلة الابداع ، هي مرحلة الاقتراب أكثر ، والتواصل أكثر مع المجتمع وبقدر ما يستطيع الفنان التعبير عن هموم وتطلعات محيطه بقدر ما يقترب أكثر من من مجالات القدرة على الدخول في هذا المحيط والتواصل معه . أما كيف تتم فهي مستمرة طالما استمر الفنان يمارس دوره الانساني عضواً فعالا مؤثراً في مجتمعه ينقل بأمانة ما يختلج في صدره .

● وما رأيك في الحركة التشكيلية القطرية ؟

لا شك أن المدارس الفنية التي ظهرت وانتقلت الى الكثير من الدول العربية ، لم تجد لها صدى في قطر ، وتبعاً لذلك لم تتكون عندنا الجماعات الفنية التي تعبر عن اسلوب ما كما حدث في الدول التي سبقتنا في هذا المضمار ، لكن الفنان القطري كان حاضراً أبداً يعبر بريشته عن كل ما يحتاج محيطه ويعتمل فيه .

البدايات إذا كانت متواضعة ، لكن المتتبع يلحظ أن هناك حركة تشكيلية بدأت تأخذ معالم محددة تميزها وتفردها عن غيرها ، ربما هي مرحلة الولادة لكنها مبشرة وواعدة بعطاء أكثر وأكبر .

هناك ، بطبيعة الحال ، مجموعة شروط لابد من توافرها لتكوين طابع مميز لهذه الحركة ، أهمها على الاطلاق الانسان الفنان القادر على العطاء وهو هنا موجود ولن يمر وقت طويل حتى نجد ملامح هذا الفن وقد تكونت وبدأت تأخذ مكانها الطبيعي بين من سبقنا في هذا المضمار .

● ما هي الوسيلة لانتشار الأعمال الفنية القطرية وتداولها بين الجمهور ؟

ـ لاشك أن هناك وسائل عديدة لابد من توافرها كشرط ضروري من شروط انتشار الأعمال الفنية ، يأتي في مقدمتها اقامة المعارض الجماعية والفردية واقامة الندوات والمحاضرات في مختلف المجالات الفنية ، وذلك لتحقيق أكبر قدر من التواصل بين الفنانين والجمهور للتعرف على النشاطات التي تتبناها الجمعية القطرية للفنون التشكيلية من جهة ، والتعرف أيضاً على أساليب واتجاهات الفنانين وما ينتجونه من أعمال

وبطبيعة الحال فان لوسائل الاعلام التأثير الأكبر ، وأخص الصحافة المحلية ، التي يقع على عاتقها واجب ليس تغطية حفل افتتاح المعارض فحسب ، لكن أيضاً متابعة كل ما له علاقة بالفن التشكيلي والوقوف على آخر أخباره لنقلها الى الجمهور ، وبهذه الطريقة تستمر الصلة وتتعمق وتأتي المعارض أخيراً تتويجاً لتلك العلاقة التي تقوم بين الفنان والجمهور .

أيضاً تقع على عاتق المؤسسات والشركات بعض المسؤولية ، التي تتلخص في اقتناء أعمال الفنانين القطريين لنشرها تشجيعاً لهم .

● ما هي أمنيتك بالنسبة للفن التشكيلي العربي ؟

لاشك أن للفنان التشكيلي العربي هموماً واحدة ، وقضايا واحدة ، وإن كان يتم التعبير عنها بطرق مختلفة ، ولعله من الملح أن تكثر اللقاءات بين الفنانين العرب ففي ذلك اثراء لتجربتهم واغناء لها ، وهذا سينعكس إيجاباً على مجمل مسيرة الفن التشكيلي العربي

ولعل الأمنية التي تراود كل فنان هي رؤية هذا التواصل وقد تحقق عبر أكثر من مجال ، إذ أن معرضاً سنوياً واحداً ـ على سبيل المثال ـ لن يستطيع تحقيق الكثير ، لأن المطلوب لقاءات مستمرة سواء عبر المعارض أو اللقاءات أو المحاضرات وتنظيم المؤتمرات ، وهي قضية ملحة نأمل أن تتحقق دفعاً للعمل التشكيلي العربي ووصولا للأهداف التي نرجوها له .

● هل الخط العربي هو الذي يميز اللوحة العربية عن اللوحات الأخرى ؟

ـ الخط العربي من أكثر ابداعات الحضارة العربية أهمية وشمولا لارتباطه بانجازات هذه الحضارة وكل ما أبدعه العرب من علوم وفنون وآداب ، إذ لم تكن هذه الحضارة ممكنة دون كتابة عربية ودون خط مرن قادر على حفظ نتاج الفكر والعلم ، ولهذا فانه الفن الأصيل الذي ازدهر مع الحضارة العربية وكان الوسيلة الأساسية للابداع الفني .

ولقد استطاع الفنان العربي أن يعبر عن مختلف أشكال الابداع الفني بما يحقق له هوية محددة واضحة تميزه عن غيره ، وتمنح فنه تلك الشخصية المتميزة وتجعله يقف شامخاً بين أقرانه العالميين .

لقد أعطى الخط العربي لفناننا القدرة على تقديم أعمال لها خصوصيتها الواضحة التي استمدتها من هذا الخط ، وهذه الخصوصية ميزت ، بلا شك ، اللوحة العربية عن غيرها من اللوحات وأعطتها طابعا فريداً .

حسن الملا

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● التعصب اللغوي بعد التعصب للجنس ●● النفوذ اليهودي بين الصحف الأمريكية والصحف العربية ●●● اللعب ●●●● كتاب عن ضحايا الثورة الفرنسية

التعصب اللغوي بعد التعصب للجنس

ظهرت فى إيطاليا أخيراً حركة للعمل على تطهير اللغة الايطالية من العبارات والكلمات الأجنبية وبطل هذه الحركة كاتب معروف هو السنيور باولو مونيلى ، وقد أذاع دعوته فى كتاب شديد اللهجة يدعو فيه إلى تحرير اللغة القومية العريقة من ذلك السيل من الكلمات والعبارات الأجنبية « البربرية » ويعترف السنيور مونيلى بأن هناك كلمات أجنبية فى دوائر الأعمال والرياضة يصعب الاستغناء عنها ، ولكنه يرى أنه يمكن الاستغناء عن الكثرة الساحقة من الكلمات والعبارات الدخيلة التى تشوه جمال اللغة الايطالية وتظهرها بمظهر القصور والفقر فى حين أنها من أعرق لغات الأرض وأغناها .

وهذه الحركة التى يدعو إليها الكاتب الايطالى بالنسبة للغة الايطالية ليست إلا طرفاً من الحركة العامة التى ظهرت من قبل فى تركيا الكمالية وفى المانيا ، ثم ظهرت أخيراً فى إيران ، ومما يلاحظ بنوع خاص أنها من آثار النظم الطاغية التى تسيطر على هذه الأمم وتمعن فى فهم النزعة القومية وتدفعها إلى حدود التعصب الجنسى والعلمى .

ففى تركيا تضطرم الحكومة الكمالية بنزعة تعصب عميق نحو الاسلام ونحو اللغة العربية التى هى من أبرز مظاهره ، وتبذل منذ بضعة أعوام مجهوداً عنيفاً لاستبعاد الألفاظ العربية من اللغة التركية مع أنها تكاد تتفوق فيها على العناصر التركية الأصلية ، وإحياء الألفاظ التركية القديمة ، بيد أنها مع ذلك تضطر إلى الاشتقاق من اللغات الأوربية بكثرة ظاهرة مما يدل على أن الغاية الحقيقية ليست تحرير اللغة التركية من الألفاظ الأجنبية بل قتل العناصر العربية فيها تحقيقاً لبرنامج الكماليين فى محو كل آثار للاسلام والعربية من الحياة التركية الجديدة .

وفى المانيا الهتلرية تجرى حركة لاستبعاد الألفاظ الأجنبية وتطهير الجرمانية منها ، وهذه حركة تستطيع فهمها فى أمة عظيمة كالمانيا ذات لغة عريقة محدثة ، وإن كانت فكرة الهتلريين لا تخلو مع ذلك من عناصر التعصب القومى والجنسى .

كذلك أخذت إيران أخيراً تحذو حذو تركيا فى حذف الألفاظ العربية من اللغة الفارسية ، بيد أن حكومة الشاه تجرى فى ذلك فى هوادة واعتدال ، وتؤكد للعالم العربى أنها لا تبغى سوى غاية لغوية ثقافية ترى تحقيقها باحياء مجد اللغة الفارسية القديمة .

١٩٣٦

النفوذ اليهودي بين الصحف الأمريكية والصحف العربية

بقلم : نقولا الحداد

صوت صارخ فينا وفى سائر البلاد العربية ان اليهود محتكرو الصحف الاميركية للدعاية الصهيونية . وليس للهيئات العربية سبيل للرد على إفك اليهود وتشنيعهم بالعرب والدعاية لصهينة فلسطين . لان الصهيونيين يسيطرون على الجرائد الاميركية فلا يسمحون لجريدة ان تنشر كلمة حسنة عن العرب ولو بثمن غال .

لا تعتبوا يا قوم على الصحف الاميركية فى حين ان بعض صحفنا المصرية ليست اقل خضوعا لنفوذ اليهود من صحف اميركا ومن يتحقق هذه التهمة يجد انها حقيقة ناصعة . ومن جملة الحوادث التى تؤيد هذه الحقيقة ما ياتى :

تقدم فى حين من الاحيان إلى رئيس تحرير جريدة كبيرة مندوب من قبل هيئة عربية كبرى محترمة بكلمة موجزة ذات شان عظيم لمصلحة العرب فى المسالة الفلسطينية . فوعد الرئيس بنشرها . ولكن مضت بضعة ايام ولم تنشر . فعاتب المندوب رئيس تحرير الجريدة على عدم نشرها . فاجابه ان القيم على إعلانات الجريدة ابى ان تنشر لان نشرها ليس من مصلحة الجريدة بل هو ضار بها . واعتذر الرئيس بانه إذا نشر خبراً ضاراً بالجريدة فالجريدة تضعف ولا تستطيع ان تخدم الامة والعرب . عجباً ! لا تستطيع ان تخدم الامة إذا كان نشر خبر يضرها . وإذا كان الخبر ضروريا لحياة الامة وهى لا تنشره فاذاً متى وكيف تخدم الامة ؟

ما لبث المندوب ان عرف ان ذلك القيم على الاعلانات يهودي وحجته انه إذا نشر الخبر انقطع اليهود عن الاعلان في الجريدة . فتامل . !

حكاية ثانية : منذ نحو سنتين او اكثر ارسلت الى إحدى مجلاتنا الكبرى مقالا بعنوان « لمن فلسطين ؟ » واثبت فيه بالأسناد التاريخية وغيرها ان اليهود الأجانب الذين يدعون الآن ملكية فلسطين ليسوا من نسل إسرائيل . بل هم أوروبيون تهودوا منذ تشتت الاسرائيليون فى آسيا واوربا فاغروا بعض الوثنيين باليهودية فتهودوا . فهم ليسوا ساميين كما كان هتلر يزعم . بل هم آريون اكثر من هتلر . ولذلك ليس لهم ضلع البتة فى فلسطين . بل إن فلسطين لاهلها المقيمين فيها من قبل موسى الى اليوم . وقد غيروا ديانتهم من يهود إلى مسيحيين ثم إلى مسلمين حسب تقلبات الحوادث التاريخية والسياسية الخ . هذا كان فحوى المقالة .

ومضت اشهر ولم أر المقالة فى المجلة فذهبت إلى إدارة المجلة عاتبا . ولكن سكرتير التحرير قابلنى بانه لا يدري سبب عدم نشرها . وصاحب المجلة كان متغيبا فلم اتصل به فقلت : هاتها . فتبرم وقال لا ادري إن كنت اجدها .

فبحثنا بين اوراق التحرير . ومن حسن الحظ وجدناها ثم ارسلتها إلى مجلة اخرى رائجة . ومضت الشهور ولم تنشر فكتبت الى إدارة التحرير مطالبا بها . ولم احصل على جواب ففهمت انها ذهبت فى سلة المهملات . ثم علمت انها لا تنشر لانها ضد مصلحة اليهود الذين ينشرون إعلانات فى المجلة .

ومنذ عهد غير بعيد كتب اديب لاحدى الجرائد اليومية بضعة عشر سطراً يطلب من اليهود الذين فى مصر ان يعلنوا شجبهم للصهيونية وبراءتهم منها قولا وعملا وان هذا الشجب من مصلحتهم ما داموا مواطنين لاكثرية ساخطة على الصهيونية فلم تنشر الجريدة هذه النبذة . ولما عاتب ذلك الكاتب رئيس تحريرها قال ان هذه النبذة صعبة ملعونة يعنى انها شبه تهديد لليهود . وهو لا يريد ان يستاء

اليهود من جريدته لئلا يحرموها إعلاناتهم فترى أن الجرائد تحت رحمة يهود البلاد بسبب إعلاناتهم .

هذا قليل جداً من كثير جداً من الأخبار المشينة المؤلمة عن سيطرة اليهود في مصر على بعض الجرائد الرائجة والمجلات المنتشرة .

فلماذا نلوم الصحف الأميركية إذا اذعنت لليهود بعدم نشر شيء من مصلحة العرب ولا سيما لأن قضية العرب ليست قضية الأميركان ولا تهم الشعب الأميركي . ولماذا لا نلوم الصحف العربية التي تراعي خاطر اليهود في قضية العرب والقضية قضيتهم فبالله أهكذا تخدم الصحف شعبها وعروبة قرائها ؟ تخدم مصالح اليهود ، واليهود يتذرعون بكل وسيلة لامتصاص مالية البلاد العربية والسيطرة على سياستها الى غير ذلك مما هو معلوم .

لا نجهل أن الصحف في كل العالم تعيش على الاعلانات وإيراد الاعلانات يعيش على رواج الجرائد ، ورواج الجرائد يعيش على إقبال القراء عليها ، وهذا الاقبال هو ثمرة جهاد المحررين وإدارة اصحاب الصحف وجهاد عمالها ، ومتى تزايد عدد القراء او النسخ التي تطبع ارتفعت أجور الاعلانات ، وهذه الايرادات الأخيرة من الاعلانات تستغلها شركة الاعلانات اليهودية التي تتوسط بين المعلنين والجرائد .

لا نجهل هذا ، ولكن لا نفهم لماذا تكون الوساطة بين المعلنين والجرائد في يد شركة يهودية تتحكم بالجرائد واصحابها واقلامها وعمالها وقرائها ايضاً فلا تسمح بنشر شيء ضد مصلحة الصهيونية او ليس من مصلحة اليهود . واصبحت الصحف والاقلام العربية مسخرة لليهود . هذه عبودية لا تطاق ، واستخذاء عربي لليهود لا يكاد يصدق .

ولا ندري لماذا لا تكون الشركة الوسيطة بين المعلنين والصحف وطنية بحتة وتكون مكاسبها لمساهمين وطنيين ويكون الكتاب احراراً فيما يكتبونه لمصلحة بلادهم وإخوانهم العرب .

ترى هل فطن الصحفيون لهذا الضرر العظيم من جراء استلام اليهود لزمام الصحافة في البلاد يسيرونها على هواهم أم أنهم فطنوا ولا يبالون ؟ الا يبالون أن يكون مصير القضية العربية وجميع القضايا المخالفة لمصالح اليهود والصهيونيين الخيبة ؟

أم أنهم لا يبالون بالمصاب إلا إن وقع ، ولا يبادرون الى تدارك الخطر ، الا متى ابرق الخطر وارعد ، وحينذاك لات حين تداركه .

من المدهشات أن يتولى امر الدعايات بالاعلانات والمقالات والاخبار في الصحافة العربية لأجل القضية الفلسطينية يهود هم اعداء العروبة الالداء .

اما وجد بين العرب اناس لهم ذكاء اليهود وماليته كمالية اليهود وحيلة كحيلة اليهود لكي يحلوا محل اليهود في هذه السيطرة على اقلام كتابنا وصحافتنا وإدارة الدعاية عندنا .

لماذا لا ينبري اناس ممن يفهمون فن الدعاية ويؤلفون شركة كبرى لتولى هذا العمل المنتج اي الوساطة بين المعلنين والجرائد ، ثم تنازع الشركة اليهودية هذا العمل ؟ وحينئذ على جميع جرائدنا ان تتحول من الشركة اليهودية الى الشركة الوطنية المصرية الخالصة .

لابد أن يتسرع بعض القراء الى الاعتراض على هذا المشروع الوطني بانه إذا برز الى حيز الفعل انقطع اليهود عن الاعلان في الجرائد بواسطة هذه الشركة الوطنية . فلينقطعوا إذا كانت الجرائد لا تقبل وساطة الشركة اليهودية بتاتاً ولا تقبل الا وساطة الشركة الوطنية ، لا يستطيعون أن يقاطعوا الصحف لئلا تستأثر المتاجر والمصالح الوطنية بالدعاية وحدها فتروج هذه وتكسب تلك ، لا يستغنون عن الدعاية والاعلانات ، وليس لهم إلا الصحف الوطنية ووساطة الشركة الوطنية .

المشروع لا يحتاج إلا لقليل من الوطنية :

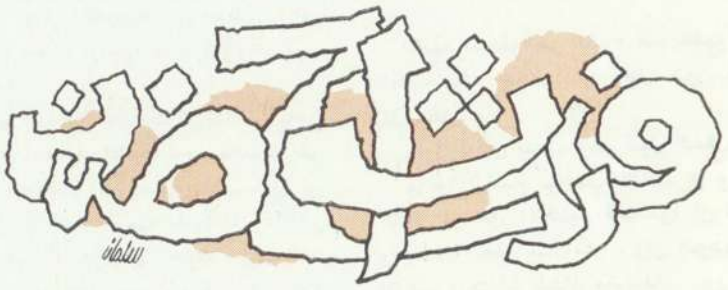
١ ـ يتصدى له متمولون قليلون ، قد يتراءى لهم في أول الأمر محتاجاً الى شيء من التضحية ، ولكنه متى استتب رأوا انه نتج بلا تضحية .

٢ ـ على جميع الجرائد أن تتحول الى وساطة الشركة الوطنية للحصول على الاعلانات . والشركة تخدمهم كما تخدمهم تلك .

٣ ـ على التجار الوطنيين واصحاب الأعمال أن يقبلوا على هذه الشركة في الدعاية لهم بالاعلانات وغيرها .

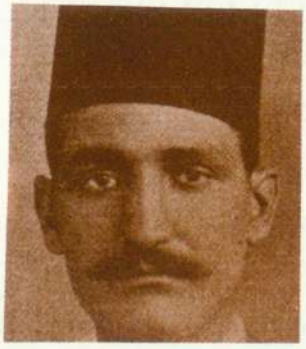
فاين الوطنية واين الوطنيون ، ينقذون الدعاية العربية من براثن الصهيونية ؟ لماذا لا تسعى نقابة الصحفيين هذا السعي ؟

إن الصهيونيين عازمون على استعباد الشرق العربي كله ولسوف ينجحون إذا لم ننهض لمناهضتهم في الحال .



نقولا الحداد ـ ١٩٤٧

اللعب ...



بقلم: عباس محمود العقاد

قلتم في مقالكم الجميل « الحياة جميلة » :

« ... ولكن جمالها يقتضي ان يكون لنا زعماء للهو يصححون إدراكنا للحياة ، ويرهفون اذواقنا للجمال ، ويهيئون قلوبنا للسرور ، ويشغلون اوقات فراغنا بالمسابقات الرياضية ، والمهرجانات الوطنية والسياحات النهرية ، والملاهي الفنية ، والمواكب الشعبية ، وليس اقدر على هذه الزعامة اليوم من وزارة الشؤون الاجتماعية »

●●●

كلام صادق

وربما كان ارفع من تقريظه بوصف الصدق تقريظه بوصف الجمال . فليس كل صادق بجميل

لكن كم منا نحن المشارقة ، يا اخي يؤمن معك بحاجة اللهو إلى زعامة ، وحاجة الامة إلى لهو ؟

وكم منهم يؤمن معك بان زعامة اللهو واللعب لها من الشرف والمنفعة كفاء ما للزعامات في الجد او في الامور التي تتراءى صبغة الجد عليها ؟

اقل من القليل

اقل من القليل مع هذه الوقائع الناطقة التي تتوالى عليهم كل يوم بفضل الامم التي تحسن اللهو واللعب على الامم التي تتكلف التزمت والوقار

واقل من القليل مع تلك الشواهد التاريخية التي ليس يعمى عنها ذو بصيرة تشهد في الدنيا شيئا من الاشياء

فما عرف التاريخ قط امة احسنت الجد ولم تحسن اللهو واللعب

وما عرف التاريخ قط امة من امم القوة والسيادة لم تكن لها العاب ولم يكن لها زعماء في هذا المضمار

وناهيك بالرومان وملاعبهم في كل مدينة وضعوا حجرا في بنائها

وباليونان ومحافلهم القومية التي تتعاقب كل عام او بضعة اعوام

وبالفرس ومواكب الكرة والصولجان ، والعرب وميادين الفروسية ومنازه الصيد والقنص وما اقتبسوه من سائر الامم والدولات حيثما ارتفع لهم عرش واستقرت لهم إمامة

اما في التاريخ الحديث فيوشك ان يكون السبق في مضمار اللعب قرينا بالسبق في مضمار السيادة . ويصدق من يقول إن بريطانيا العظمى تفردت بالسلطان العالمي يوم تفردت بالسبق في العابها ، وشوركت في ذلك السلطان يوم شوركت في تلك الالعاب فاللعب هو فيض الحياة

ولن تكون سيادة بغير حياة اولا ... ثم فيض في الحياة بعد ذلك

●●●

لا يلعب الانسان وهو عليل

ولا يلعب وهو محسور مغلوب

ولا يلعب وهو مسلوب المشيئة

ولكنه يلعب حين يصح ، وحين يفرح ، وحين يملك زمامه فيشاء ويفعل ما يشاء

فاللعب والحياة الفائضة صنوان ، والسيادة والحياة الفائضة لا تفترقان

●●●

لكنهم ضعفوا في الشرق فلم يفقهوا لغة الحياة ولم يلحنوا ما نقول حين تتكلم بكل لسان .

راوا الطفل يلعب وهو قليل العقل

وراوا الشيخ يتجنب اللعب وهو كثير العقل او كثير الاختبار فحسبوا ان اللعب ونقصان العقل متلازمان ، وان الوجوم من اللعب ورجاحة العقل مترادفان

فاخطاوا

اخطاوا في الفهم كما اخطاوا في الشعور

فما لعب الطفل لانه اقل من الشيخ عقلا ولكنه لعب لانه اوفر نصيبا من جدة الحياة

وما تزمت الشيخ لانه اعقل من الطفل ، ولكنه تزمت لانه اعجز منه وادنى إلى الموت

ولو اجتمعت للشيخ حكمة السن وجدة الطفولة لما منعته الحكمة ان يلعب ويلهو ، ولعلمته بعد ذلك كيف يفتن في لعبه ويزيد في لهوه ، ويبز فيهما الاطفال والشبان

●●●

وراوا المجنون يلعب والعاقل لا يلعب مثله فجزموا باتصال الجنون واللعب كما اخطاوا في الشعور

لان المجنون يلعب من فرط الطلاقة لا من ذهاب لبه واختلاط فكره

وآية ذلك ان بعض المجانين يفقدون اللب والصواب ولا يلعبون ، بل ينوحون ويتخبطون ويبتئسون ، لان جنونهم يسلمهم للخوف والفزع ولا يسلمهم للطلاقة والمرح

فهل يقال إنهم إذن اعقل من العقلاء الذين يلعبون حينا بعد حين ؟

كلا . بل يقال إن الطلاقة تلازم اللعب في كل حين ... اما الجنون واللعب فلا يتلازمان

●●●

وينبغي ان نفرق هنا بين اللعب الذي نعنيه ، وبين ما يلتبس به في بعض ظواهره ودواعيه

فاللعب الذي نعنيه غير التسلية

واللعب الذي نعنيه غير الرياضة

لان الورق والنرد والشطرنج تسمى العابا ولكنها لا تحتاج إلى فيض حياة ولا تمام شعور . بل لعلها تحتاج إلى الكسل والراحة والفتور ، وهي في لبابها شغل من الاشغال ولكنه شغل فراغ

ولان الرياضة وسيلة الى غيرها في كثير من الاحوال ، فهي بين رياضة تراد للحرب ، ورياضة تراد للعلاج ، ورياضة تراد لاحتمال المشقات ، ورياضة تراد للتجميل والتقويم

اما اللعب الذي نعنيه فهو التعبير الملازم لحالة الفيض والاشراق فلا يراد بعد ذلك لغرض من الاغراض

هو شيء كلمعان الزجاج حين ينتفي عنه الكدر وينجلي عنه الغشاء .

فلا يقال إن الزجاج يلمع لهذا الغرض او لذاك ، ولا يقال إن اللمعان وسيلة مقصودة ليبيعه البائعون ويشتريه المشترون ويصنعه الصانعون

وكل ما يقال إنه يلمع لان اللمعان طبيعة فيه ، وشعاع من نوره السابغ عليه

وعلى هذا المعنى يدخل في باب اللعب ابتكار الفنان ، ووحي القريحة ، وتوقان النفوس إلى العظائم ، وغرام العقول بالكشف عن المجهول ، ولالاء الجمال في الوجوه ، ولالاء الجمال في الارواح .

وعلى هذا المعنى كذلك يعم اللعب فطرة الحياة حيثما وجد الاحياء فهو في الطير المغرد ، وفي الحوت السابح ، وفي الحيوان الطافر ، وفي كل ما يفيض بحياته فيندفع في العابه ، ويوشك ان يخرج من اهابه

اما التسلية فليست من الفطرة

واما الرياضة فجانب فيها من الفطرة وجانب من ابتداع الجماعة الانسانية

وليس اللعب الذى نعنيه تسلية ولا وسيلة اجتماع ، وانما هو تعبير الحياة كلما امتنع الحائل بينها وبين التعبير .

●●●

وتبحث ياأخي عن زعامة للعب واللهو بين المشارقة « الموقرين » اعانك الله !

اتسبق الرياسة المرؤسين ؟

ام يسبق المرؤسون الرئيس ؟

علمهم ان يفهموا اللعب على معناه وانت في غنى بعد ذلك عن تعليمهم معنى الجد او تعليمهم معنى الحياة ، وفي غنى عن انتظار الزعماء وهم ما امتنعوا قط حيث وجد المستحقون زعامة زعيم .

عباس محمود العقاد ـ ١٩٤٠

كتاب عن ضحايا الثورة الفرنسية

صدر اخيراً بالانكليزية كتاب جديد عن الثورة الفرنسية بقلم دونالد جرير ، وعنوانه « حوادث عهد الارهاب » Incidents of the Terror فهو إذن يتناول هذه الناحية من حوادث الثورة فقط وهى بلا ريب من اخصب نواحى الثورة واحفلها بالحوادث الرائعة .

وقد ظهرت عن الثورة الفرنسية فى معظم الآداب الحية كتب ومؤلفات لا حصر لها ، ومنها آثار جليلة شاملة ، ولكن الثورة الفرنسية تبقى ابدا موضوعا للتامل والدرس ، ولا ينضب معين الطرافة والجدة فى حوادثها واسرارها الدفينة . ومؤلف اليوم ليس قصة ، وإن كان ما يورد من الحوادث يفوق القصص فى غرابته وروعته ، بل هو تاريخ محقق من الوثائق والسجلات والمراجع المحترمة ، وفيه يقص المؤلف حوادث عهد الارهاب الذى ازهقت فيه عشرات الالوف ، ويصور لنا حالة الفرائس المسوقة من الكبراء والنبلاء ، ويسرد حوادث محاكمتهم وإعدامهم فى روعة واعتدال .

وقد انتهى المؤلف إلى القول بان من اعدموا خلال هذا العهد بواسطة المقصلة يبلغون ١٦٫٥٩٤ نفساً ، وان هناك عدداً اكبر يقدر بين ثلاثين واربعين الفاً هلكوا فى السجون من المرض والبرد والمعاناة النفسية ، وتقديره النهائى هو ان خمسة وخمسين الفاً هلكوا ضحية الثورة الفرنسية هذا بينما يقدر بعض الباحثين من هلكوا فى الثورة الروسية الاخيرة (الثورة البلشفية) بخمسين الفاً فقط ، ويعرض لنا الكاتب فى اسلوب قوى شائق العوامل والاسباب التى يعتقد انها مبعث هذا العنف والسفك المنظم .

١٩٣٦

من أفكارهم نعرفهم

إنهم يكرهون الموسيقى العربية ويحاربون اللغة العربية!

بقلم : كمال النجمي

ذات يوم ـ منذ سنوات ـ فوجئت بمطربة أوبرالية مصرية معروفة تدخل مكتبى فى مجلة فنية قاهرية كنت رئيساً لتحريرها ، وتنطلق ـ بعد تحية خاطفة ـ تغنى موشحات أندلسية بملء صوتها ، ولم تكف عن الغناء حتى رأت فى ملامح وجهى أننى ارتحت الى غنائها ، وسرنى اجتهادها فيه ، وأعجبنى أنها نقلت صوتها من الصراخ الأوبرالى بالصوت المستعار الجبار ، الى الغناء العربى بالصوت الطبيعى . (١) .

قلت لها :

ـ أراك تجتهدين فى التعرف على الغناء العربى ، بعد غربتك الطويلة عنه ، وكنت قد انتقدت رطانتك الغنائية ، فها انت ذى تؤدين الموشحات ، فشتان بين أمس واليوم ! ..

مطربتنا هذه كانت ضحية برامج التدريس والتدريب فى المعهد القومى للموسيقى «الكونسر فاتوار» .. فان برامج هذا المعهد القومى لا تعترف بالغناء القومى ولا الموسيقى القومية ، وتحرم على طلاب الغناء الأوبرالى أن يمارسوا غناء عربياً لأنه ينقض تدريبهم الأوبرالى ، إذ الغناء العربى الصحيح فنياً ، هو ما اتفق نطقه وقواعد قراءات القرآن الكريم ، وهذا ما يجهله المدرسون الأوربيون الذين كانوا يمنعون الغناء العربى فى الكونسرفاتوار ، ولو علموا ذلك ولم يجهلوه لكانوا أشد إسرافاً فى حربهم للغناء العربى ، بل لعل أكثرهم كان يعرف أن الغناء العربى لا ينفصل عن لغته ، وهذه قضية لا نمسها هنا إلا مساً رفيقاً ، وبخاصة بعد أن بدأت معاهدنا تشعر بانفصالها عن مجتمعها ، فسمحت ـ مشكورة ـ باقامة روابط بينها وبين «البيئة المحلية» .. أى بين طلابها وما يسمعونه فى بيئتهم هذه من الغناء ، بعد أن امتلأت أسماعهم بغناء «البيئة العالمية» وانشقت حلوقهم من شدة غنائهم الأوبرالى باللغة الطليانية واللغة الالمانية وبقية اللغات الحية التى لا يعرفون الغناء إلا بها ..

ولا يجهل أحد قدر الموسيقى الأوربية التى نسميها «الموسيقى العالمية» .. ولكنها ليست بضاعتنا ، وإن كانت دراستها تجدينا وتعود علينا بخير ، إذا جعلناها للعلم واستخلاص الفائدة لا للتقليد القرودى الأعمى ، والنسج على منوالها بلا هدى وبصيرة ، والأخذ بها وحدها دون موسيقانا ، وايداع الغناء العربى والموسيقى العربية متاحف الآثار ! ..

إن إيداع غنائنا متحف الآثار العربية ـ لو تم ـ لكان مقدمة فاجعة لايداع اللغة العربية أيضاً هذا المتحف ! .. وماذا يكون بعد ذلك إلا ما يشتهى أعداء أمتنا من العصف بكل مقوماتها ؟! ..

هكذا تبدو لي خطورة موقف الغناء العربي وقضيته الآن ، ويحزننى أننى لا أراها كذلك عند حملة الأقلام فى الوطن العربى من مشرقه الى مغربه ، إلا فى الندرة وعلى غير القياس ، بالرغم من لدد أعداء الغناء العربى فى مخاصمته ، وتربصهم به الدوائر ، لعلمهم الوثيق باهمية قضيته ومصيره ..

بعض هؤلاء «خواجات» اقتحاح من أوربا وغيرها ، وبعضهم «مستخوجون» مقلدون ، من بلادنا العربية ، يحاربون موسيقى قومهم وبلادهم منذ عشرات السنين ، وينادون علانية بطردها من أرضها وإيطان الموسيقى الأوربية كاملة فى هذه الأرض ، كأنما الألحان العربية مجموعة جديدة من اللاجئين العرب يطردها الأغيار من ديارها ! ..

هؤلاء أناس اغتربت نفوسهم وأذواقهم وعقولهم عن بلادنا ـ وهى بلادهم ايضا ! .. ـ فهم يعيشون فوق أديمها ، ورءوسهم تهتز يمنة ويسرة فى أوربا وأمريكا واستراليا .. وليتهم عرفوا تلك البلاد فى تقدمها وعزها ولم يقتصر علمهم بها على قشور فنونها ! ..

حدثنى عازف الكمان العبقرى المرحوم أنور منسى ذات ليلة فى جلسة على سطح الدار التى كانوا يسمونها فى القاهرة قبل ربع قرن «نقابة الفنانين» فى شارع عرابى ، وكان قادماً لساعته من حفلة عزف فيها على «الفيولينا» عزفاً أوربياً بفندق سميراميس ، قال على هامش كلام طويل حول الموسيقى والغناء والمغنيات ! ..

ـ أنت تعرف فلاناً الأديب المشهور الذى يطوف الدنيا كالسندباد البحرى ، ويكتب عن الموسيقى ! ..

قلت :

ـ أقرأ له فقط .. ولم التق به مع الأسف ، ومعظم كتاباته عن الموسيقى ترجمة معروفة المصادر وإن كان يتجاهل مصادرها ، ومن الطريف أن بعض مصادره أغلفة اسطوانات الموسيقى الأوربية وما نقشوا عليها من معلومات موسيقية ! ..

ضحك أنور منسى وقال :

ـ إنه يعزف على الكمنجة الرومية «الفيولينا» .. وعزفه الأوربى لاباس به كواحد من الهواة غير ذوى المواهب ، ولكن الرجل على كل حال يعزف الموسيقى الأوربية ويحاول الاجادة ! .. وان كان يفشل

فى عزف الالحان على الكمان العربى «اى المشدود الأوتار على مقامات الموسيقى العربية» ..

قلت :

ـ السبب فى عجزه عن عزف الموسيقى العربية ، كراهته العنيفة لها ، ومن كره فنا عاداه وعجز عن إجادته او تذوقه ، وقد صارت عداوته للموسيقى العربية وسواسا يعتاده ليل نهار ، ولا ادرى ايكره هذا الرجل العرب كراهة فى الموسيقى العربية ، ام يكره الموسيقى العربية كراهة فى العرب ؟! .. على انى اراهما سيين ، وقد استوى الماء والخشبة كما كان اسلافنا يقولون . (٢) .

كان حديث انور منسى ـ كما قدمت ـ هامشا على كلام طويل ، اصغى اليه معى بعض زملائنا واصدقائنا ، وكان انور منسى يومئذ قد هام باحدى المطربات او هامت به ، واتفقا على الزواج .. فكان حديثه ممتعا اثار فضولنا ونحن فى تلك الايام .. شباب ! ..

تذكرت حديث انور منسى عندما قرات عقب مصرعه على صخرة عند الهرم الاكبر مقالا لصاحبنا هاوى الكمنجة الأوربية او الفيولينا كما يحلو له ان يسميها باصرار ، يرثى به الفنان الفقيد فكان مما ذكره عن نبوغه انه كان يجيد العزف على الكمان العربى والافرنجى معا ، ولا يخطىء حين يعزف الافرنجى ، مع انه عازف عربى مطبوع ، ومثله قد يغلبه طبعه العربى على تطبعه الافرنجى ! ..

واعترف صاحبنا انه حاول جاهدا ان يعزف الموسيقى العربية عزفا مرضيا فلم يتيسر له ، برغم طول المرانة ، وشدة المعاناة والصبر فى التدريب ! .. فعرف صاحبنا عندئذ ان انور منسى كان نابغة حقا فى عزف الكمان لانه إذا اراد لحنا اوربيا اجاده على اصوله فى موسيقى الأوربيين وعلى مذهبهم وذوقهم وعادتهم ، وإذا عزف لحنا مصريا او عربيا اداه بروح مصرى عربى ، متمكن من العزف العربى ، صميم فيه ، لم يستعجم ذوقه ، ولم تغترب انامله على اوتاره ! ..

وفى هذا برهان على ان المستخوجين الكارهين غناءنا وموسيقانا ، قد اغتربوا عن ارضنا ـ وارضهم ـ التى يعيشون فوقها ، اغترابا اليما ، فانقلبت اذواقهم ، وانقطعت صلة فكرهم ووجدانهم بالعرب فكرا ووجدانا ! ..

وماذا تقول فى عازف مصرى عربى ـ ولو كان هاويا متوسط الموهبة ـ يبلغ به اغتراب ذوقه ووجدانه ، ان يعجز عن إنطاق الكمان بلحن عربى واحد على الأصول الصحيحة ، ولو بالطريقة المدرسية البسيطة ، لا طرائق الفحول المحترفين ؟! .. وماذا تجديه «النوتة» عندئذ وإن كان يقرؤها كما يقرأ كلمات الكتاب ؟! .

وإذا كان مبلغ صلته بالموسيقى العربية هو هذا العجز عن عزف قطعة منها عزفا صحيحا ، فباى حق يزعم لنفسه حق الافتاء فى امورها ، وكيف لا يستحى ان يدعو الى إبداعها فى المتاحف ، ويهاجم المستشرقين المنصفين ـ امثال هنرى فارمر ـ الذين يشيدون بها ، بل يتعصبون لها ؟!.

لو كان ما يعيب امثال هذا العازف ، مجرد قلة العلم بالموسيقى العربية ، وكثرة العجز عن ممارستها ، لهان الخطب على جسامته ، ولكان ضئيلا ما تنطوى عليه جوانحهم من البغضاء العظيمة للموسيقى العربية ، والكيد الدائم لها ، والسخر العابث بها ، ولكن هذا وامثاله هم الآن من وجهاء الموسيقى ، يستفتيهم بعض السذج فى مشكلاتها ، ولهم الوجاهة والصدارة فى الوظائف واللجان والمؤتمرات والرحلات ، ولهم الامر والنهى فى امور تتعلق بتطور الموسيقى العربية ومصيرها ! ..

رحم الله انور منسى ، فقد تذكرنا به هؤلاء جميعا ، على انه كان على ضدهم ، وكان وجوده يثبت عجزهم فى الموسيقى الأوربية والعربية معا ، وقد التحق فى السنة الأخيرة من حياته بالفرقة الموسيقية التى تعزف وراء ام كلثوم ، فكانت ـ رحمها الله ـ تقول : «هذا الرجل الذى يعزف للنزلاء الأوربيين فى الفنادق الكبرى ، هو أطبع العازفين على العزف العربى» ! ..

ونقول : بل كان انور منسى فى الموسيقى الأوربية ايضا أطبع وأصنع ممن يزعمون انهم أصحابها ، او وكلاء أصحابها فى مصر والبلاد العربية ..

وقد عاش انور منسى سنوات طويلة يعزف فى فرقة محمد عبد الوهاب ، فكان كمانه ينتقل فى الاغنية الواحدة بين العزف الأوربى والعزف العربى بغاية النعومة والبراعة ، ولم تعقه معرفته بموسيقى الأوربيين عن الولاء للموسيقى العربية الكنينة فى طبعه ! ..

وذلك هو الفارق بينه وبين المتطبعين الفاشلين ! .. وكيف لهم ان يتطبعوا وليسوا مطبوعين ؟! ..

إن المتنبى كان ملهما حين قال : «وتابى الطباع على الناقل» ! ..

فلا يفيض بالحب قلب امتلأ بالبغضاء ، ولا يستعرب من صار الاستعجام عقدة معقودة فى وجدانه ولو كان من فلذات اكباد الأرض العربية التى يمشى فوقها ! ..

على ان القضية تتعدى ذكرياتنا عن انور منسى ، الى خطر حقيقى يتهدد الموسيقى العربية والغناء العربى الآن ! ..

إننا ننادى الآن بحظر وباء «الكاسيت» الذى يحمل اكثر انواع «الغناء» هبوطا فى تاريخ الغناء العربى كله ، كلاما ولحنا .. وهذا خطر بلا جدال ، ولكن خطبه هين ، إذا قيس الى الخطر الذى يمثله «المستخوجون» الذين لن تطيب لهم الدنيا إلا حين يفتحون عيونهم ذات صباح سعيد فلا يجدون اثرا للموسيقى العربية والغناء العربى المتقن ، وهم مستعدون عندئذ للتعايش السلمى مع الكاسيت ، لانهم يعرفون انها موجة الى إنحسار ! ..

ومن حسن الحظ ان الكلمة الحاسمة فى هذا الأمر ، لنا نحن المستمعين ، لا للخواجات ولا للمستخوجين ، ولا لغرابيب الكاسيت ! ..

كمال النجمى

● القضية تتعدى ذكرياتنا عن أنور منسى إلى خطر حقيقى يهدد الموسيقى العربية!

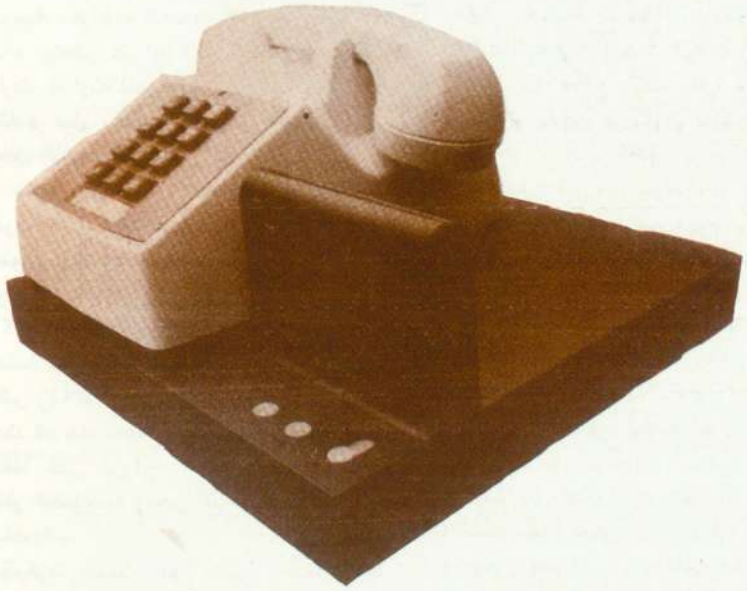
هوامش

(١) الكلام عن الفروق بين الصوت الطبيعى والصوت المستعار ، لا يتسع له المجال هنا .. ولكنك تستطيع معرفته بالاستماع الى صوت أوبرالى من طبقة السوبرانو ثم الاستماع الى صوت أم كلثوم

(٢) نحن لا نقصد هذا العازف بذاته ، ولكن نضرب قصته مثلا لفئة واسعة تكيد للموسيقى العربية الآن ولا ينبه أحد الى خطرها .

تقديم : لبنى الريدي

التليفون السرّي



قد يتحول التليفون من اختراع لخدمة الانسان الى اداة إزعاج وتطفل .. ولذلك نقدم هذا الجهاز الجديد الذى اطلق عليه مبتكره اسم « الشفرة السرية » .

فبتوصيل هذا الجهاز بالتليفون يمكن بمجرد الضغط على احد الازرار معرفة المتحدث دون رفع السماعة واذا كان شخصاً غير مرغوب فيه فلن يدق جرس التليفون عندك . فعندما يتصل شخص فان الهاتف يرد اتوماتيكيا على المكالمة قبل ان يرن جرسه عندك ويسأل الهاتف بصوت الكترونى عن الرقم الكودى للمتحدث وهو بمثابة كلمة السر . ويتكون هذا الرقم من ثلاثة اعداد يعطيها صاحب التليفون لمن يرغب فى استقبال مكالمته . وحين يذكر المتحدث الرقم الكودى الذى يظهر على شاشة صغيرة متصلة بالهاتف يقارن الجهاز هذا الرقم بما يختزنه من ارقام فى ذاكرته فاذا كان مطابقاً لاحدها ينطلق عندئذ فقط جرس التليفون .

ويحتفظ الجهاز فى ذاكرته بالأرقام التى اتصلت ويسجلها لك فى غيابك كما يمكنه تحويل المكالمة على اى رقم تليفون آخر تكون متواجداً فيه حتى لو كان ذلك فى مدينة اخرى دون ان يشعر المتحدث بذلك . كما يستطيع الغاء اى رقم كودى لم تعد تريد ان يتصل بك صاحبه .

ولكن اكثر حيل هذا الجهاز مكراً هى رقم كود وهمى لاعطائه للمتطفلين اللحوحين ففى هذه الحالة لا يجيب الهاتف وانما يطلق رنيناً طبيعياً فى حين لا يرن الجرس فى منزلك ويظهر على الشاشة الرقم الوهمى .

جهاز لقياس الإجهاد



الصندوق الذى به الجهاز ، بالاضافة الى الكاميرا وجهاز التسجيل الفيديو .



صورة العامل أثناء العمل موضحة زمن التقاطها وعدد ضربات القلب .

لدراسة تاثير مزاولة عمل معين على الجهاز الدورى والقلب ابتكر الباحثون هذا النظام المصور فهو يتكون من كاميرا فيديو وجهاز تسجيل وجهاز ارسال متصل باقطاب كهربية مثل المستخدمة فى رسم القلب لقياس ذبذبات القلب عندما يقوم الشخص بعمل معين ، ثم جهاز لتجميع الاشارات القلبية التى يرسلها جهاز الارسال مع الصور التى التقطت .

ويتميز هذا النظام بانه يتيح دراسة الشخص المتحرك اثناء اداء وظيفته ، فهو غير مرتبط او مقيد باجهزة القياس اذ يمكنها العمل وهى على بعد ثلاثمائة متر من الشخص محل الفحص . وهى تستطيع العمل لمدة ساعة دون توقف .

وبذلك يستطيع الباحثون القيام بدراسة تفصيلية لتاثير كل حركة على القلب وتحديد اى مرحلة من مراحل العمل هى الاكثر اجهاداً فالصور لا تسجل فقط الحركة ولكن معدل دقات القلب وزمن التقاط الصورة ايضاً . بحيث تظهر على شاشة جهاز العرض صورة الشخص أثناء تاديته لعمله ومعدل دقات القلب فى هذه اللحظة بالاضافة الى توقيت التقاط الصورة بالثانية .

شعاع الشمس في سيارتك

تقدم الصناعة اليابانية ابتكاراً جديداً لاصحاب السيارات وهو عبارة عن جهاز شحن لبطارية السيارة يعمل بالطاقة الشمسية . وهو يتكون من لوح لا يزيد عرضه عن أربع بوصات وطوله عن سبع بوصات اما سمكه فبوصة ونصف مثبتة على هذا اللوح الخلايا الشمسية .

ويتميز هذا الجهاز بانه مزود بقابس يناسب ولاعة السيارة بحيث يغذى البطارية مباشرة بالطاقة الكهربية عند توصيله بالولاعة .

وتبلغ طاقة هذه الخلايا الشمسية ١٢ فولت وهى تستطيع اعادة الحياة الى بطارية استنزفت طاقتها جزئياً خلال ساعتين أو ثلاث ساعات وذلك بمجرد وضع هذا اللوح بعد توصيله على لوحة السيارة أو معرضاً للشمس على سقف او كابوت السيارة .

ومهمة هذه الخلايا وقائية فقط فلقد صممت خصيصاً لمن لا يستخدمون سياراتهم بشكل مستمر . ولكنها لا تستطيع انعاش بطارية ميتة .

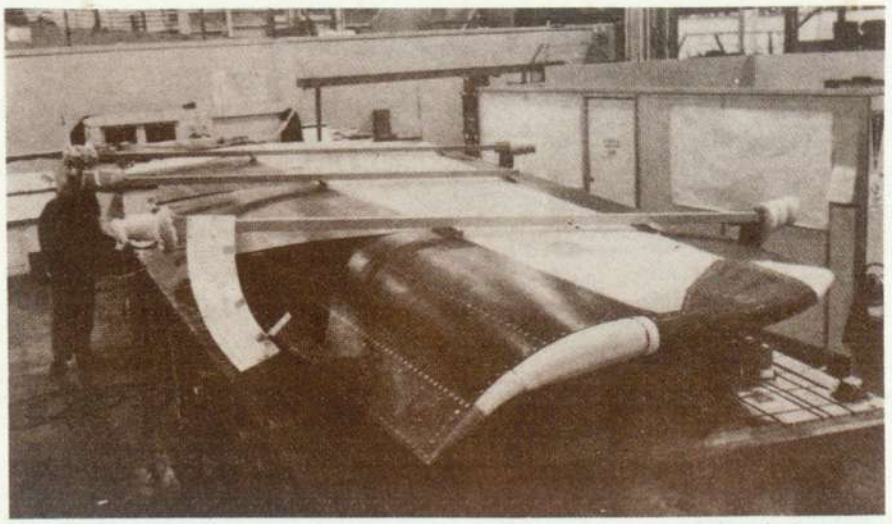
الساعة البغاء

تعتبر تكنولوجيا توليف الصوت والتعرف عليه من اهم التطورات فى مجال الالكترونيات بحيث اصبحت الآلة تتكلم وتنصت ايضاً وكما حدث للعديد من الابتكارات العلمية السابقة ادخلت هذه التقنية المتطورة على ساعة اليد .

ففى اليابان يجرى تصنيع ساعة رقمية تستطيع تذكر حوالى عشرين كلمة اى ما يوازى ثمان ثوانى من التسجيل الصوتى واعادتها عند الحاجة . ولكن الجديد ان هذه الساعة لا تحتوى على شريط تسجيل وانما تضم رقيقة لا يتعدى حجمها حجم ظفر الابهام تحمل دوائر الكترونية تستطيع التقاط الرسالة واختزانها فى ذاكرة الكترونية لاستعادتها عند الطلب . فبالضغط على زرار تحكم معين تعيد عليك الساعة ما لقنتها اياه . وهى بذلك تقوم بعمل سكرتيرة متنقلة تذهب معك إلى كل مكان .

ففى الصباح يمكنك تحديد برنامج اليوم وتلقنه للساعة بالمواعيد المحددة لذلك وعند حلول وقت كل مهمة أو موعد ينطلق جرس تنبيه رقيق وتقول لك الساعة الكلمات التى تذكرك بما تريد القيام به فى هذه اللحظة .

أجنحة مرنة لطائرات الغد



الجناح المرن اثناء تصنيعه

ستبدأ فى الخريف الحالى التجارب الأولى على طائرة مقاتلة مزودة باجنحة تستطيع تغيير شكلها اثناء الطيران .

فلا يوجد فى الجناح الجديد جنيح مفصلى او اجهزة تخفيض الرفع التى تشوه انسيابية سطحه العلوى كما فى الجناح التقليدى فالكمبيوتر يحل جميع المشكلات بتغيير شكل الجزء الامامى من الجناح واطراف مؤخرته وجميعها مصنوعة من الالياف الزجاجية بينما يظل سطح الجناح املس مما يقلل تاثير الدوامات الهوائية الى الحد الادنى لها وبالتالى تستطيع الطائرة الطيران لمسافات اطول بنفس كمية الوقود .

وتقوم القوات البحرية الامريكية بتجربة هذا الجناح على طائرة قاذفة مقاتلة ويقتضى عمل هذه الطائرات ان تطير على ارتفاعات كبيرة ثم تهبط على مقربة من الأرض لرمى حمولتها من متفجرات وقنابل وكان على مهندسى الطيران بالتالى التوفيق بين هذه الاحتياجات المتناقضة .

ولكن الجناح الجديد يوفر عليهم هذا العناء فاجهزة الرصد المتصلة بالكمبيوتر ترصد ما يحدث خارج الطائرة بحيث يصدر الكمبيوتر اوامره الى الجناح ليغير من شكله ليتخذ افضل شكل ملائم

واذا اثبت الجناح المرن نجاحه فستستفيد منه الطائرات المدنية ايضاً .

التحليل الضوئي للدم

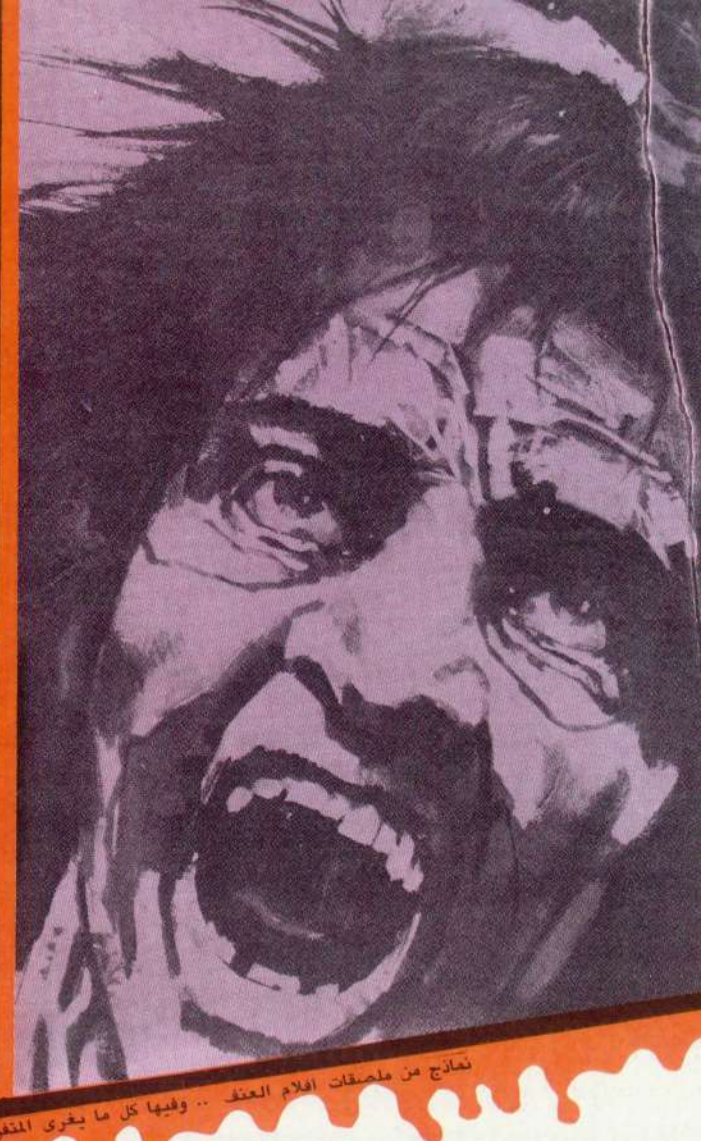
يعتبر قياس نسبة الاكسجين فى الدم من القياسات الهامة للطبيب المعالج فان ذلك يساعده على مراقبة مدى تماثل المريض للشفاء بعد العمليات الجراحية او على اكتشاف وجود خلل فى عمل القلب او الرئتين وتتبع علاج مثل هذا الخلل .

وكانت معامل التحليل تحتاج لاجراء هذا الاختبار الى اخذ عينة من دم المريض وذلك عن طريق حقنة فى الشريان . ولكن ابتكر الباحثون مؤخراً جهازاً لقياس نسبة الاكسجين فى الدم بواسطة قياس كمية الضوء التى يمتصها نسيج اصبع المريض

ويتميز الجهاز الجديد بدقة قياساته وسهولة استخدامه اذ لا يحتاج لخبرة او مهارة فنية مثل التحاليل العادية كما انه لا يسبب اى الم للمريض . حيث يتم تثبيت مشبك مزود بجهاز رصد ضوئى فى شحمة اذن المريض وعلى شاشة جهاز القياس الالكترونى المتصل بالمشبك تظهر قراءات رقمية تمثل مستوى الاكسجين فى دم المريض . ولاول مرة يتم اجراء تحليل للدم بدون اخذ عينة منه .







نماذج من ملصقات افلام العنف .. وفيها كل ما يغرى المتفرج على الذهاب إلى دور العرض.

سينما

العنف والدم على الشاشة
و... مسئولية الفنان
لوقف هذا التدهور!

بقلم: رؤوف توفيق

لم تعد أفلام العنف .. مجرد موجة أو ظاهرة طارئة فى السينما العالمية .. بل أصبحت احدى الحقائق الثابتة والتى تعتمد عليها صناعة السينما فى اقتصادياتها.

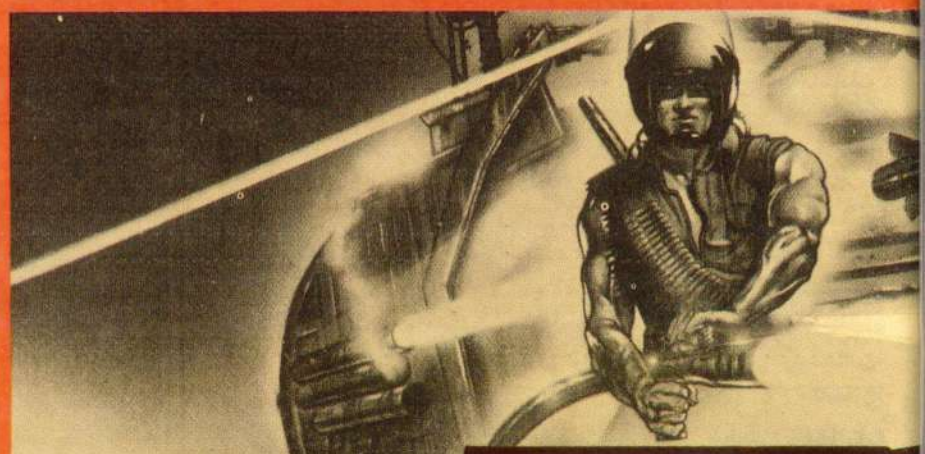
وكل المؤشرات الفنية ، تدل على ازدياد نسبة أفلام العنف فى السينما .. وقوائم الانتاج السينمائى لعام ٨٤ تشهد بان هناك شركات سينمائية امريكية ، خصصت انتاجها بالكامل لأفلام العنف فقط .. وإن بعض الشركات السينمائية الكبرى ، ذات الأسماء المعروفة ، ارتفعت بنسبة افلام العنف الى سبعين بالمائة من مجموع انتاجها السينمائى !

وهكذا أصبحت أفلام العنف هى السلعة الأكثر رواجاً .. والأكثر استقراراً فى سوق الفن ..

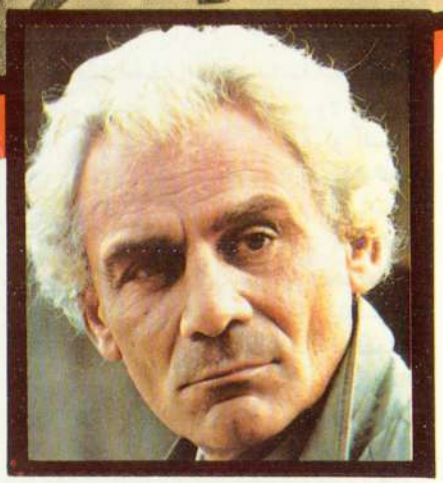








كاترين دى نيف فى لقطة من فيلم « الجوع » ثم ثلاث لقطات لأنواع متعددة من الملصقات .



« جيان ماريا فولنتى » وجائزة أحسن ممثل عن دوره فى فيلم « موت ماريو ريتشى »

وهـذه النتيجة المؤسفة .. أمر متوقع مع ازدياد مظاهر العنف فى الحياة . فما دام العنف أصبح حقيقة يومية نعيشها ونقرأ عنها فى كل جريدة ، وتطاردنا مع كل نشرة أخبار .. فليس غريباً إذن أن تصبح أفلام العنف بهذه القدرة والاستمرار عاماً بعد آخر !

الشهية المفتوحة

والنتيجة التى أفزعت بعض النقاد فى أوربا .. أن شهية متفرج أفلام العنف .. أصبحت تتعطش لمزيد من العنف .. وأنه مع كل فيلم يبحث عن جرعة أكبر !

وأصبح هذا النوع من المتفرجين ، أقرب الى مدمنى المخدرات !!

وهكذا تشكلت قاعدة من المتفرجين ، تعيش على أفلام العنف .. فى نفس الوقت الذى قامت فيه مؤسسات ضخمة تجند كل إمكانياتها المادية ، وخبرة اعداد هائلة من الفنانين والفنيين ، لتقديم مـزيدمن الأفكار الجديدة والابتكارات التكنولوجية .. حتى تمتلىء الشاشة بالدم والرصاص .. وحتى لا يشعر المتفرج بالملل أو التكرار !

وأخطر ما فى الموضوع .. أن النسبة الكبرى من هؤلاء المتفرجين لا تتعدى أعمارهم سن المراهقة والتفتح للشباب .. أى أن هناك جيلا من الشباب قد تم إفساد ذوقه ، وترسبت فى أعماقه بذور العنف .. ولم تعد تفزعه صور الدم والأشلاء .. ولم





لقطة من فيلم «العاب الحرب» .. البداية دائماً من «ماكينات الحرب» المنتشرة فى المقاهى الامريكية

كاترين دى نيف » تستعد لضحية جديدة تمتص دماءها

سينما

العنف الدموى على الشاشة
و... مسئولية الفنان لوقف هذا التدهور!

تعد تزعجه طلقات الرصاص ولا انين الضحايا !

وهذه ابشع نتيجة لتجارة افلام العنف!

ولا احد يدرى .. كيف يتوقف هذا الانهيار ؟!

من أين تأتى البداية ؟

هل تكون البداية من جانب صناع السياسة ، والقوى الكبرى التى تحاول ان ترسم خريطة العالم بالانقلابات والمؤامرات والأزمات الاقتصادية .. وفى سبيل تحقيق انتصارات سياسية ، وتوازنات دولية .. يطحن يومياً مئات القتلى والضحايا والمعتقلين فى اغرب صور العنف .

أم تكون البداية من اصحاب الفكر ومبدعى الفن .. الذين إذا اجتمعوا فى كتلة واحدة ، التزموا بميثاق شرف لحماية الشباب واجيال المستقبل ، من شهوة العنف والدم .. ثم اصدروا القرارات الصارمة ضد الذين يتاجرون بالعنف ويصبغون الفن بالدم ..

أى تلك البدايات .. تنقذ الموقف المتدهور الآن ؟ .

أم ان كلا الاحتمالين .. ضرب من الاحلام والامنيات التى لن تتحقق ..

الأزمة فى فيلم

من اهم افلام هذا العام .. ذلك الفيلم السويسرى للمخرج «كلود جوريتا» والذى لعب بطولته الممثل الايطالى الكبير «جيان ماريا فولنتى» وحصل عن دوره على جائزة احسن ممثل فى مهرجان «كان» هذا العام ..

الفيلم بعنوان «موت ماريو ريتشى» .

وهذا الـ «ماريو ريتشى» .. لا يظهر اطلاقاً فى الفيلم .. وهو ليس بطلا او زعيماً او مجرماً .. وإنما هو مجرد شاب عادى جداً .. ايطالى الجنسية جاء الى هذه القرية الهادئة على الحدود السويسرية ليعمل مثل غيره من المهاجرين الايطاليين الباحثين عن الرزق فى كل مكان ..

وفى هذه القرية الهادئة .. ذات صباح .. يخرج «ماريو ريتشى» بدراجة من الطريق الفرعى .. لتفاجئه سيارة مندفعة وتصيبه بجراح بالغة .. ثم يموت بعدها بايام قليلة متاثراً بجراحه .. والى هنا والحادث يبدو عادياً .. او هكذا يبدو لذلك الصحفى المراسل التليفزيونى (يلعب الدور جيان ماريا فولنتى) الذى جاء الى هذه القرية مع مساعده ، ليجرى حديثاً تليفزيونياً مع ذلك العالم الالمانى الكبير المتخصص فى مشاكل الجوع بالعالم ، وبالذات العالم الثالث .. فهذا العالم الالمانى اعتزل الحياة العامة وانقطع عن مواصلة ابحاثه ودراسته .. واختار هذه القرية مكاناً لعزلته .. وقد جاء الصحفى يغريه بالخروج عن صمته وفتح حوار معه يشرح فيه اسباب عزلته .

وفى خلال الاسبوع الذى يقضيه هذا الصحفى فى تلك القرية البعيدة الهادئة .. نتكشف مدى فداحة الأزمة التى يعيشها هذا الصحفى .. والأزمة الخاصة بهذا العالم الالمانى .. ثم الأزمة التى تسرى فى عروق القرية بعد موت ذلك العامل الايطالى «ماريو ريتشى» .

ما تحت السطح الهادىء

والفيلم يمضى رقيقاً ناعماً .. تتخلله فترات طويلة من الصمت .. ولا يخدش البصر مشهد واحد من العنف او الدم .. ورغم ذلك فالفيلم فى مجموعه صرخة ادانة ضد العنف .

فهذا الصحفى عاش تجارب مريرة مع احداث العالم الذى سافر وراءها لينقلها الى المشاهدين عبر حواراته وتحقيقاته التليفزيونية .. وكانت المحصلة النهائية التى خرج بها .. عاهة مستديمة فى ساقه اثر اصابته فى احدى دول امريكا اللاتينية اثناء متابعة احداث عسكرية وقعت هناك .. وقد تسببت هذه الاصابة فى عرج واضح فى مشيته ، ومعاناة اثناء الجلوس .. واصابة الجسد اهون من اصابة الروح .. فهو يشعر ان لا شىء يتقدم الى الأمام .. بل ان المسائل تتدهور يوماً بعد يوم .. وان ما يقوم به من عمل لا تاثير له على تطور الاحداث .. ولهذا هبط حماسه وازداد صمته .



الصحفى المراسل (جيان ماريا فولنتى) وبجواره مساعده .. يفاجئان بالوضع المتوتر فى القرية السويسرية



جيان ماريا فولنتى» والاصابة التى تعوقه عن السير.

أما هذا العالم الالمانى .. فهو بعد اربعين عاماً من الدراسة والعمل اكتشف انه لا فائدة .. وفى لقائه مع الصحفى يعترف العالم انه الف ١٢ كتاباً وحضر عشرات المؤتمرات .. ولكن كل جهوده ذهبت هبـاء .. فالدول الكبرى مشغولة بسباق التسلح الذى تنفق عليه الاف المليارات ..

بينما هناك طفل من بين كل عشرة اطفال فى العالم الثالث ، يموت بسبب الجوع والفقر .. وهناك خمسة عشر مليوناً من البشر ماتوا بسبب الجوع .. ولهذا يشعر بالعجز الشديد أمام هذه المأساة المستمرة ..

وينفعل العالم الالمانى ويبكى ويتهدج صوته .. ثم ينهض ليغسل وجهه .. ويطلب من الصحفى الخروج من بيته .. فهو لا يريد أن يتكلم ..

أما مجتمع القرية .. فبالرغم من السطح الهادىء إلا أن هناك بركاناً يفور فى الأعماق .. فقد فجر موت «ماريو ريتشى» مشكلة الصراع بين اهالى القرية والمهاجرين ..

فالمهاجرون يعتبرون موت زميلهم العامل الايطالى ، حادث قتل مدبر .. وهناك هذا الشاب الصغير من اهالى القرية الذى يعذبه سر لا يقوى على كتمانه ويريد أن يبوح به للصحفى .. وما أن ينفرد بالصحفى للحظات حتى يقول له وهو فى منتهى الذعر أن مجموعة من اصدقائه الشبان هم الذين دبروا حادث السيارة لقتل العامل الايطالى .. وبعد أن يبوح بهذا السر يجرى خائفاً ليحاول الانتحار شنقاً ، حتى يتخلص من مطاردة زملائه له عندما يكتشفون انه فضح جريمتهم !! .. ويسرع الصحفى لانقاذه .. وتنتهى زيارته لهذه القرية .. وهو لم يحقق البرنامج التليفزيونى الذى جاء من أجله .. وإنما تفتحت عيناه أكثر على المأساة !

مأساة العجز والعنف واليأس .

رغم المجتمع المزيف

يقول الممثل «جيان ماريو فولنتى» عن دوره فى هذا الفيلم «من الصعب على الممثل أن يؤدى دور الرجل العاجز عن الحركة بسبب عاهته .. والذى لا يتحدث إلا قليلا .. ذلك لأن الممثل هنا يفقد الكثير من فرص التعبير .. ولكنى قبلت هذا التحدى لبراعة الشخصية التى رسمها المؤلف جورج هالداسى .. فالصحفى فى الفيلم هو ذلك المراقب المتامل الذى يستطيع بخبرته وتجاربه أن يرى ما وراء السطح ، ويتعمق المشاكل .. فيكتشف أن هذه القرية تعيش أكذوبة ولا تحاول التحقق منها .. بل تصبح الأكذوبة جزءاً من حياتهم .. وفى لقائه مع العالم الالمانى يشعر بالياس .. ولكن فلنتفق على اننا نعيش فى مجتمع مزيف ولنبدأ فى أن نجد لانفسنا دوراً دون أن نفقد الأمل» .

نكتة ساخرة

ومن أذكى الأفلام الأمريكية الأخيرة .. فيلم «العاب الحرب» للمخرج «جون بادهام» والذى يربط فيه بين تحول اجهزة العقول الاليكترونية الى لعبة يستطيع اى صبى أو مراهق أن يشتريها ويحتفظ بها فى حجرته ليلهو بها كما يشاء .. وبين نفس اجهزة العقول الاليكترونية فى غرفة العمليات بوزارة الدفاع الأمريكية والتى يسـهر حولهـا كبار القادة والمخططين العسكريين فى انتظار لحظة الصدام بين أمريكا وروسيا ..

فالعقول الاليكترونية هنا .. هى اللعبة الكارثة التى تلغى العقل البشرى وتفقد الانسان القدرة على استخدام ذكائه وتجعله مجرد تابع لا حول له ولا قوة ..

وبمنتهى السخرية يبدأ الفيلم مع هذا الصبى الذى يمتلك أحـد العقـول الاليكترونيـة فى حجرتـه الصـغيرة ويستطيع من خلال معرفته بأرقام الاتصال بالعقول الاليكترونية الأخرى أن يعرف كل المعلومات التى يريدها .. وأن يغير من درجاته فى الامتحانات المدرسية وذلك بالاتصال بالعقل الاليكترونى فى المدرسة ، ليرفع درجاته هو وزميلته الى الدرجة النهائية .. وليحجز أيضاً له ولزميلته مقعدين فى الطائرة المسافرة الى باريس .. دون أن يتحرك من علـى مقعـده فى حجرته !! .

واللعبة مستمرة وظريفة .. حتى يكتشف اثناء تسليته بالدق على أرقام العقل الاليكترونى .. انه التقط وسيلة الاتصال بالعقل الاليكترونى الذى أودعته وزارة الدفاع الأمريكى كل المعلومات عن قوتها العسكرية .. وأيضاً كل المعلومات عن قوة الاتحاد السوفيتى .. الأسلحة النووية .. والصواريخ .. والقنابل .. والطائرات .. العدد بالتفصيل .

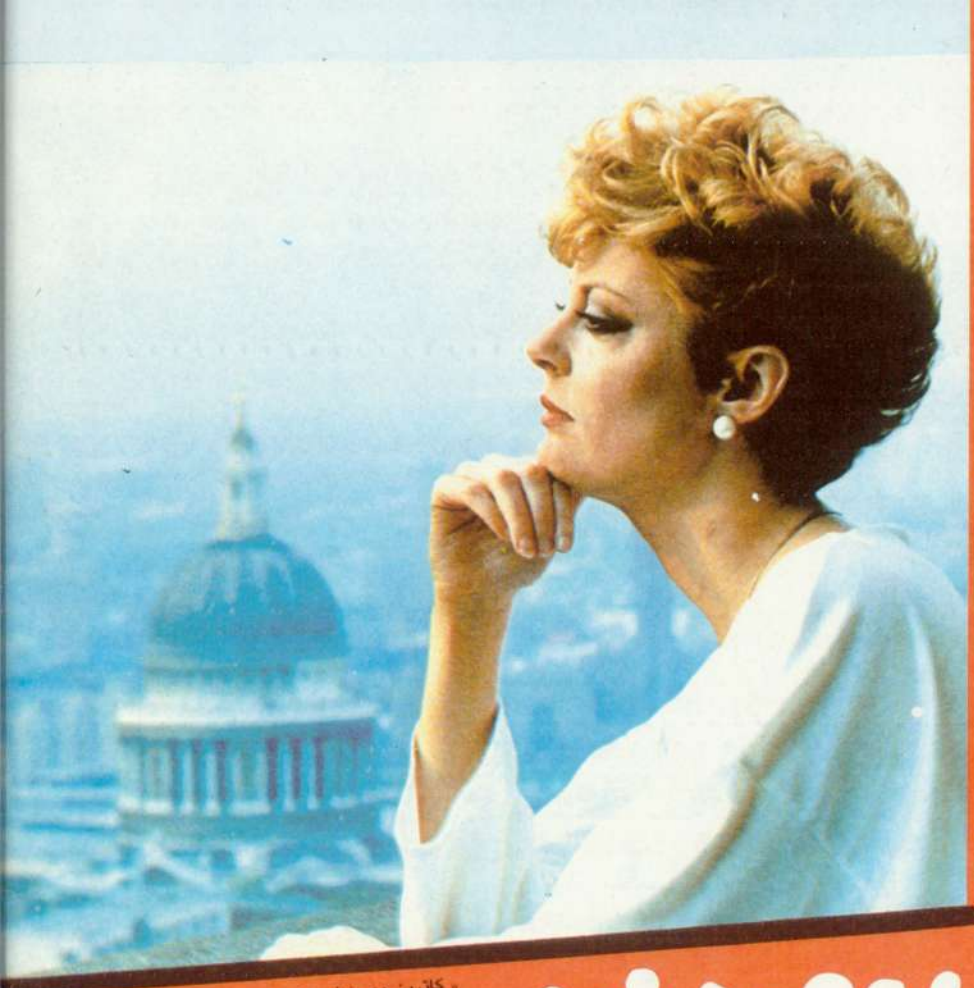
وتقع المفاجأة المذهلة بالنسبة للصبى .. انه أمام لعبة مثيرة والعقل الاليكترونى فى وزارة الدفاع الأمريكى لا يوضح فقط المعلومات على شاشته الصغيرة .. بل أيضاً يتكلم .. ويسأل الصبى ما الذى تريد أن تلعبه .. فيرد الصبى بفرح طفولى .. فلنلعب لعبة الحرب .. ساخذ مكان السوفيت .. وانت ستكون فى موقع الأمريكان .. ويوافق الجهاز .. ويبـدأ اللعب ! !

وتجلس الفتاة بجوار الصبى فى الحجرة الضيقة .. يلهوان بلعبة الحرب .. يختار الصبى أن يبدأ بالضرب على لاس فيجاس .. وتختار الفتاة ولاية أخرى .. وهى تقفز من الفرح لأن الجهاز يستجيب لهما .

وتبدأ شاشة العقل الاليكترونى فى تسجيل المعلومات .. الاتحاد السوفيتى سيبدأ الهجوم على لاس فيجاس الأمريكية.

وتعلن حالة الطوارىء فى وزارة الدفاع الأمريكية .. ويتجمع القادة .. ويظهر الرئيس الأمريكى «ريجان» يعطى تعليماته .. وتبدأ الصواريخ النووية فى التاهب للانطلاق ..

بينما والد الصبى فى هذا المنزل



« كاترين دى نيف » فى فيلم الجوع .. وسقطة لا تغتفر



الصبى والفتاة .. بطلا فيلم « العاب الحرب »

العنف والدم على الشاشة و... مسئولية الفنان لوقف هذا التدهور!

الامريكى الصغير ينادى على ابنه لكى يخرج من غرفته ويغطى صندوق القمامة الذى تركه خارج المنزل بدون غطاء !! .

هذه اللعبة

وفى هذا الجو المليء بالتوتر والسخرية تمضى احداث الفيلم .. والبطل الرئيسى هو العقل الاليكترونى الذى سيحدد مسار الحرب العالمية الثالثة .. والقادة الامريكان فى غرفة العمليات يعيشون لحظات من الارتباك .. والتليفزيون الأمريكى يقطع برامجه ليعلن أن الاتحاد السوفيتى يهدد أمريكا .

وبعد عدة مغامرات تجيد السينما الأمريكية تقديمها .. يصل الصبى الى غرفة العمليات بوزارة الدفاع ليزيح كل القادة والخبراء جانباً ويقوم بالتفاهم مع العقل الاليكترونى .. ولكن شاشة العقل الاليكترونى تواصل تخطيط الحرب القادمة بعد لحظات .. فاللعبة لابد أن تستمر ..

وشاشة العقل الاليكترونى تعلن بداية الحرب .. ويتوقع جميع القادة أن المبنى سينهار عليهم .. وأن الأرض ستزلزل تحت وطأة القنابل والاسلحة النووية .. ولكن لا شيء يحدث فى الواقع .. كل شيء يمضى هادئاً .. وينظر القادة لبعضهم فى دهشة .. بينما الصبى مازال يتحاور مع العقل الاليكترونى الذى يكتب هذه العبارة على شاشته «اللعبة الرابحة الوحيدة .. انك لا تلعب أصلا» .. وينتهى الفيلم !

ولاشك أن الفيلم مصنوع على درجة عالية من الدقة .. ومشحون بالاثارة .. وموجه أصلا الى جمهور المراهقين من مشاهدى السينما وكل التوقعات تؤكد ان هذا الفيلم سيحقق نجاحاً تجارياً ضخماً يعادل ما حققه فيلم «اي . تي» فى العام الماضى .

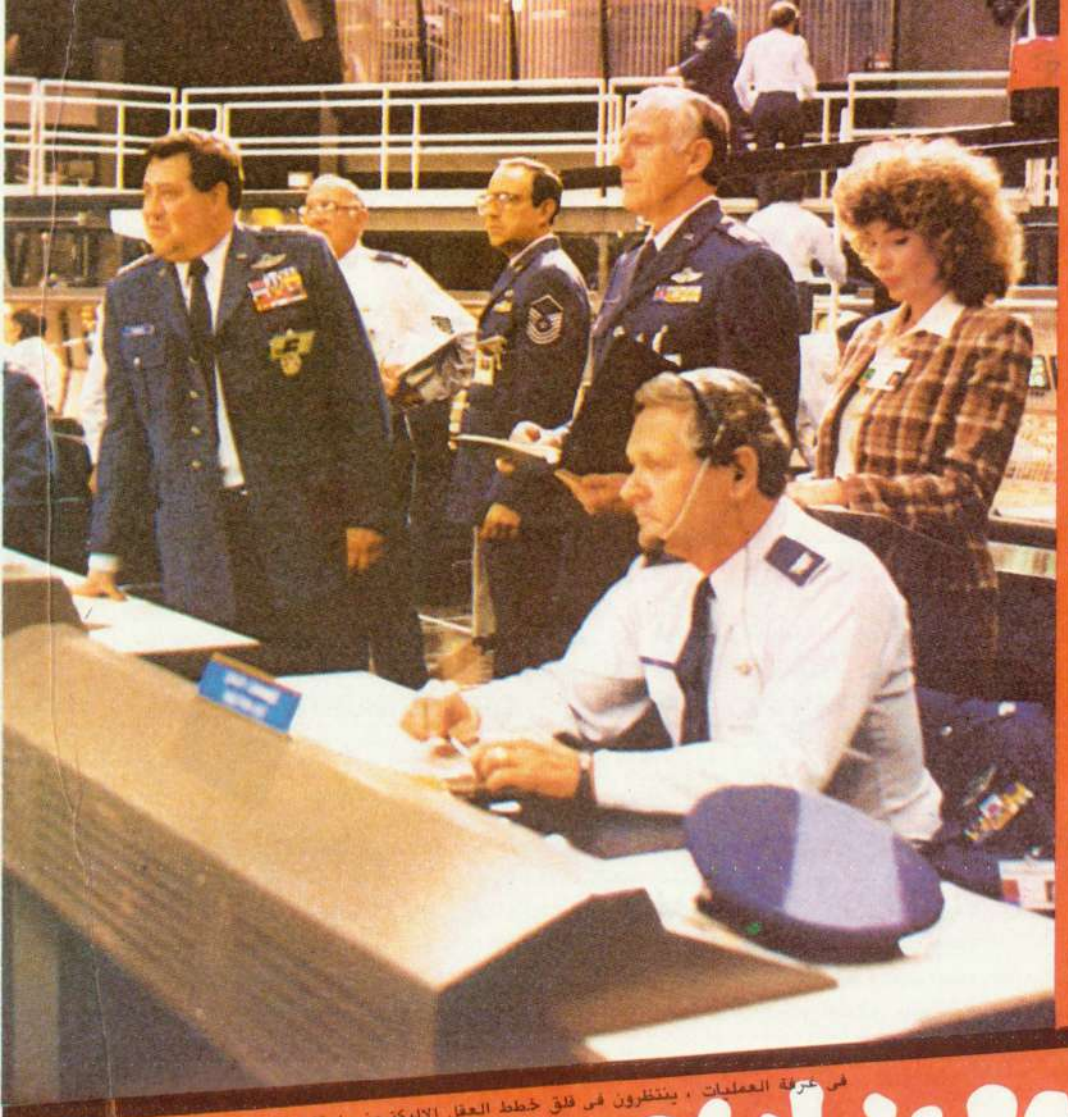
والغريب أن مخرج هذا الفيلم «جون بادهام» هو الذى اخرج فيلم «حمى ليلة السبت» لجون ترافولتا .. وهذا هو فيلمه السادس .

ومن الواضح أنه فهم طبيعة جمهور السينما هذه الأيام .. فقدم لهم فيلماً يغازل به هوايتهم للعقول الاليكترونية وفى نفس الوقت يرضى مزاجهم الخاص بالعنف .. وإن كان يوجه لهم تحذيراً فى النهاية !

مسئولية المخرج

ورغم أن التحذير ياتى فى اللحظة الاخيرة من الفيلم ، ومن خلال عبارة مكتوبة على الشاشة .. وهذا اضعف وسائل التعبير الفنى خصوصاً بعد ساعتين كاملتين من الاثارة والمغامرات .. إلا أننا فى اطار الواقع السينمائى الشاذ .. قد نحترم هنا مسئولية المخرج الذى لم يترك مشاهديه يخرجون من قاعة العرض قبل أن يحذرهم من خطورة اللعبة .. وبالذات لعبة الحرب التى قد تفنى العالم فى لحظات .

هذه المسئولية التى نفتقدها تماماً من



في غرفة العمليات ، ينتظرون في قلق خطط العقل الاليكتروني لوقف الهجوم الذري ..



الفرنسية « كاترين دى نيف » والانجليزى « دافيد بوى » .. اللذان قبلا الاشتراك فى فيلم امريكى يعيد قصة « دراكيولا » باسلوب عصرى !

الفنانين الذين شاركوا فى فيلم امريكى اخر .. وهو فيلم «الجوع» .

نجوم بلا مسئولية

فى هذا الفيلم تشارك النجمة الفرنسية اللامعة «كاترين دى نيف» مع الممثل الانجليزى الذائع الصيت «دافيد بوى» .. بطولة فيلم عن أحدث نموذج لمصاصى الدماء ! ..

فهذه المرأة الأنيقة الجميلة «كاترين دى نيف» تصطاد ضحاياها وتقطع شرايينهم لتمص دماءهم قبل أن يموتوا .. وذلك من أجل أن تحتفظ بجمالها وشبابها .

ففكرة الفيلم تقوم على أن شرب الدماء يحفظ الشباب لمئات السنين .. على شرط ألا يقع مصاص الدماء فى علاقة حب .

وبالطبع حتى تكتمل عقدة الفيلم (!!) لابد أن يحدث الحب .. لنرى مزيداً من الدماء والضحايا .. والعبث المجنون !

وهذا الفيلم .. هو اول اخراج للامريكى «تونى سكوت» .. وقد سعت الشركة المنتجة للفيلم الى تدبير حملة دعاية مثيرة معتمدة على شهرة الممثلة الفرنسية والممثل الانجليزى واللذين تحولا الى مصاصى دماء ! .

ومهما بدا الأمر أنه مجرد فيلم وبضعة الاف من الجنيهات يقبضها كل ممثل .. إلا أنه فى النهاية مشاركة من هذا الممثل – سواء أكان يقصد أو لا يقصد – فى ترويج بضاعة فاسدة .. وإحياء تجارة مسمومة ..

دور الفنان لانقاذ الموقف

ونعود مرة أخرى الى السؤال الذى طرحناه فى بداية هذا الموضوع :

كيف يتوقف هذا الانهيار ؟ .

إذا كان من الصعب أو من المستحيل أن نطالب صناع السياسة الدولية بالكف عن محاولة اقتسام العالم واهدار الدماء !

فليس من الصعب أو من المستحيل أن نطالب مفكرى العالم وفنانيه بالالتزام بمسئوليتهم الاخلاقية تجاه الجيل الجديد من الشباب ..

إن رفض فنانى السينما للقيام بادوار فى أفلام العنف والدم مثلا .. هو بالتاكيد ضربة قاضية لتجار هذه الأفلام ! .

هذه المسئولية كانت وستظل دائما هى أهم ما يميز الفنان الحقيقى صاحب القضية عن الفنان المزيف الذى ياكل على كل الموائد ..

وهذا الكلام لا ينطبق فقط على المشاركين فى نوعية معينة من الأفلام .. ولكن ينطبق فى الحقيقة على كل الذين يساهمون فى الاتجاهات الفاسدة والمضللة فى الفن ..

سواء أكان هذا على المستوى العالمى .. أو المستوى المحلى ..

فالفنان فى النهاية .. موقف .

«رءوف توفيق»

رسائل إلى المحرر

يقدمه: نبيل خالد الأغا

تأملات معاصرة في الإسلام

الحضور داخل الزمن بوجه اسلامى احد اوجاع الانسانية .. هذا الصراع الرهيب ، المرعب .. والذى بين الانسان واخيه الانسان .. والذى يصل الى حد ان يقتل احدهما الآخر .. والغاية ؟ .. ان يسيطر احدهما .. وان يذعن الآخر .. هكذا عاش الانسان فى التاريخ .. التاريخ المجرد .. الخالى من النبالة او التعالى .

والله سبحانه وتعالى هو وحده القادر على تغيير هذا الواقع المرير . ولذلك جاء الاسلام :

واجتمع النور والمحبة .. التواضع والاخوة الانسانية والخطوة الاولى فى مسيرة التوحيد .. إلغاء الرق ! وصعد العبد العتيق فوق الكعبة ليهتف : «الله اكبر» ـ ولاحظ الدلالات المباشرة لهذا الرمز التاريخى ـ ثم ـ وليردد «العبيد» والفقراء من بعد النداء .. نداء «الحرية» والكرامة الانسانية . و «التوحيد» وبالمعانى والايحاءات المزدوجة والعميقة لهاتين الكلمتين «الحرية و التوحيد» لقد استعادت السماء حقوقها وتوحدت الانسانية تحت لواء الخالق عز وجل واى ميزة ؟

الخير ... «وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن اكرمكم عند الله اتقاكم ..» .

ليس ابن من .. ولا ما تملك .. فكرة القرن الثامن عشر الأثيرة ..

ولكن هذا السؤال الصعب والذى يقشعر له الجسد عند طرحه .. كم انت خير ... ؟

ولعل المضامين تضيع فى حملة الترديد اللغوى الخالى من المراجعة الذهنية .

وتفلت منا الفرصة ، فلا نعود نعرف كيف نجعل مثل هذا المفهوم .. قوة عظمى .. وتحرريه .. فلا يعود غير الكائن الاعلى .. تلغى بعبادتك له وجود مضطهدك .. وتعطى لنفسك سيداً واحداً .. احداً .. يتمثل فى الحضور الالهى فى نفسك .

وان يكون الخير راسمالك .. فانت اغنى الاغنياء .. باحتفاظك ـ ولو لم تكن تملك سوى ما يسد رمقك ـ بمسلك الحرية والكرامة وان تقبل الوجود «بنعم» لانك ـ هكذا وجدلياً ـ تحمل فى داخلك نفحة الرضا الالهية .. محولا بالتالى عناصر الطبيعة الخيرة الى رموز ملموسة للوجود الالهى .. كل شىء مبارك .. وكل شىء نورانى .. !

ايلوح هذا محض بلاغة عاطفية وحماسة شعرية تفقد اثرها عند اصطدامها مع الواقع ؟

ربما .. ولكن ـ ومع ذلك ـ انت ـ وحدك ـ القادر على ان تحوله الى ممارسة يومية .. ويصير نشاطا ايجابيا وفعالا .. تتولد منه قيمة إيجابية لجماعة تبشر بطهارة روحية ويحول العالم الى (جنة ارضية) انه جوابنا ومهمتنا كبديل عن صراعات الحضارة المادية .. هو صعودنا المشرقى الأصيل .. نصعد فوق الجسد .. طارقين ابواب السماء .. ولكننا لسنا كسالى ولا خانعين . بل نحن نامل بانتاج له هوية .. ولذلك يجب ان نواصل البحث عن الكينونة التى لنا .. نريد «العمران» فى الداخل .. ولكننا لا نرفض العمران فى الخارج ... كل ما فى الامر اننا نصنع العمران تبعاً للأهمية .. و «وجودنا» الداخلى هو الاكثر اهمية .. وحتى حين ننتج يكون لكل شىء من صنع ايدينا اثر من الروح ، وعلى الله قصد السبيل .

عبد الستار ناصر — دالاس ـ الولايات المتحدة الأمريكية

العهدة العمرية

ـ تمر بي اثناء مطالعاتي عبارة « العهدة العمرية » ، فلا اعرف معناها بشكل عام ، هل لكم ان تكتبوا لي نبذة عنها ؟ .

الآنسة ضوحا عمار
سيدى البرنوصي ـ الدار البيضاء

● بعد ان انتصر المسلمون فى معركة اليرموك فى سنة ٦٣٨ م ـ ١٥ هـ، قرروا انقاذ فلسطين من حكم الرومان . فقام البطل ابو عبيدة بن الجراح بمحاصرة بيت المقدس لمدة اربعة اشهر فاضطر البطريق الروماني (صفرونيوس) الى طلب الصلح والأمان ، غير انه اشترط تسليم المدينة للخليفة ذاته ، واجلالا لقداستها وعظمتها ، حضر عمر بن الخطاب ، وكتب لرجال الدين المسيحي وثيقة امان واطمئنان على انفسهم واموالهم وكنائسهم ، وقد عرفت هذه الوثيقة ـ فيما بعد ـ بالوثيقة العمرية او العهدة العمرية ، وهى تعتبر بحق من اروع العهود ، وارفع المواثيق فى تاريخ الحروب الانسانية .

ووقعها الخليفة ، وشهد عليها خالد بن الوليد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرو ابن العاص ، ومعاوية بن ابي سفيان .

وهذا نص الوثيقة :

« هذا ما اعطى عبد الله عمر امير المؤمنين اهل ايلياء (القدس) من الامان اعطاهم اماناً لانفسهم واموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، سقيمها وبريئها ، وسائر ملتها انه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينقص منها ، ولا من شىء من اموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار احد منهم ، ولا يسكن ايلياء معهم احد من اليهود وعلى اهل ايلياء ان يعطوا الجزية كما يعطى اهل المدائن ، وعليهم ان يخرجوا منها اللصوص والروم . فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مامنهم ، ومن اقام منهم فهو آمن ، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن احب من اهل ايلياء ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وحليهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى حليهم حتى يبلغوا مامنهم .

ومن كان فيها من اهل الأرض فمن شاء منهم قعد ، وعليه مثل ما على اهل ايلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن رجع الى اهله فانه لا يؤخذ منهم حتى يحصدوا حصادهم .

وعلى ما فى هذا الكتاب عهد الله وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذى عليهم من الجزية » .

تعـــــــــــقيب

كنت قد كتبت فى الدوحة الغراء عدد يناير ٨٣ مقالا عن حرب فلسطين عام ٤٨ أوردت فيه شهادة مؤلف اسمه لازارس جاء الى مصر ، ثم كتب كتاباً كاملا عن مقابلاته فى مصر و أنه قابل الصحفى الكبير مصطفى امين وان الأخير أدلى اليه بخبر هام عن حرب ٤٨ هو أن النقراشى باشا رئيس الحكومة المصرية كان يرفض دخول حرب ٤٨ ولكن الانجليز اغروه بدخولها ووعدهم بانهم سيمدونه بالسلاح اللازم للحرب ، فاطاعهم ودخلها ثم طالبهم بتنفيذ وعدهم فتقدموا اليه باقرار لتوقيعه ثمناً لهذا السلاح وهذا الاقرار هو التنازل عن السودان !

وقد اهابت مجلة الدوحة بصحفينا الكبير ان يرد على ما اورده لازارس باعتباره شاهداً على التاريخ وان العرب ينتظرون كلمته . ولكنه للأسف لم يرد .

والآن أورد ما كتبه الأستاذ احمد حمروش فى كتابه «خريف عبد الناصر» يقول فى الفصل الأول من الكتاب فى الفقرة الثانية مباشرة (ص ١٢) ان هناك تغييراً مفاجئاً حدث فى موقف رئيس الوزراء محمود فهمى النقراشى .

ثم يورد فى الفقرة الثالثة مباشرة (ص ١٢ ايضا) أن فؤاد سراج الدين باشا ذكر للمؤلف احمد حمروش فى مقابلة شخصية ان فؤاد سراج الدين سكرتير الوفد وعضو مجلس الشيوخ قدم سؤالا الى النقراشى باشا فى المجلس نصه : هل قدرت موقف الانجليز ووعد بلفور ؟ ثم يذكر فؤاد سراج الدين باشا أن النقراشى كان غريباً ومعبراً فى نفس الوقت إذ قال حرفياً : انا احب ان اطمئنك على ان الانجليز ايضا ... هم الذين يشجعوننى على ذلك .

وها هى إذن شهادة من سياسى معاصر ورئيس حزب الوفد المعاصر فى هذه القضية التاريخية الهامة . إذا كان مصطفى امين قد سكت فان غيره قد تكلم . فليعلم الجميع الحقيقة وليعيشوها .

ثم يورد المؤلف احمد حمروش فى نفس الكتاب ص ١٣ أن فؤاد سراج الدين اضطر الى ان يقدم استجواباً للحكومة فى مجلس الشيوخ (حيث كان للوفد ٢٠ عضواً فقط وللحكومة ١٣٨ عضواً) وان الاستجواب نظر فى جلسة سرية اثناء الهدنة وان سراج الدين اتهم الحكومة بانها ساقت الجيش دون حتى ان توفر له مجرد وسائل النقل لدرجة ان اضطرت للاستيلاء على وسائل النقل المدنية .

وتبين اثناء نظر الاستجواب ان النقراشى رفض اقتراحاً لنورى السعيد بتشكيل قيادة مشتركة بين مصر والعراق على ان تتولى مصر هذه القيادة . وقال النقراشى انه لا يتحمل متاعب العراقيين ولا يضع رقبته فى ايديهم . هل كان الانجليز هم الذين اوحوا الى النقراشى برفض هذه القيادة المشتركة .

ثم حدث بعد ذلك ان صارح النقراشى الملك عبد الله فى اجتماع لزعماء العرب فى شتورا بلبنان بان الجيش العربى الأردنى قد تخلى عن واجبه ! هل يفهم من ذلك أن انجلترا هى التى اوحت الى رجلها جلوب باشا بالتخلى عن نصرة الجيش المصرى .

اعتقد ان جلوب باشا لازال حياً وانه رجل صادق وعنده من الشجاعة ما نطالبه باسمها بادائها بعد ان ادلى فؤاد سراج الدين باشا بشهادته امام التاريخ فى كتاب خريف عبد الناصر .

د. السيد فهمى الشناوى



نداء إلى الصحافة العربية

الأخ رئيس تحرير مجلة الدوحة المحترم ،

تحية طيبة وبعد

يصادف يوم ١٩٨٣/٩/١٧ ذكرى مرور عام على المذبحة الوحشية التى نفذتها العصابات الصهيونية والزمر الكتائبية ضد ابناء شعبنا الفلسطينى واللبنانى فى مخيمي صبرا وشاتيلا .

وقد قررت جامعة الدول العربية اعتبار يوم ١٩٨٣/٩/١٧ يوم حداد قومى تكريماً للشهداء الذين سقطوا فى صبرا وشاتيلا حيث ستقام مهرجانات ومحاضرات وندوات لاحياء هذه الذكرى .

ومن أجل أن تستمر هذه الذكرى راسخة فى اذهان امتنا كواحدة من ابشع مذابح العصر التى ارتكبتها العصابات الصهيونية فاننا نامل منكم اعطاء هذه الذكرى اهميتها فى مجال الصحافة والاعلام من اجل فضح حقيقة العدو وتعرية ممارساته الاجرامية امام امتنا والراى العام العالمى .

وان لنا بكم كبير الثقة لما عهدناه فيكم من مواقف وطنية وقومية لخدمة اهداف امتنا ونصرة القضية الفلسطينية .

ننتهز هذه المناسبة لنعبر لكم عن تقديرنا وشكرنا لكل مواقفكم .

وتفضلوا بقبول فائق التحية والتقدير

زعل أبو رقطي
مسئول الاعلام
منظمة التحرير الفلسطينية
مكتب قطر

ردود خـــاصـــة

● السيد محمد الطاهر قعفور ـ تونس :

نامل ان تبعث بهذا الموضوع الى احدى المجلات التى تهتم بمثل هذا النوع من المساهمات . ولك تحياتنا .

● السيد نورى صادقى ص.ب ٩٧٢ ـ اصفهان ـ ايران :

يمكنك الكتابة مباشرة الى إدارة المطبوعات والنشر بوزارة الاعلام القطرية لموافاتك بما طلبته .

● السيد عبد الآله محمد الدليمى ـ ذمار ـ اليمن :

المادة الجيدة هى المقياس الحقيقى للنشر ، وليس هناك اى اعتبار آخر . ننصحك بالاطلاع المستمر على كتب التراث العربى ، ونشكرك على ثقتك « بالدوحة » .

ونأسف لعدم توفر الاعداد التى طلبتها .

● السيد المهندس محمد شريف مراد ـ أسيوط ـ مصر :

نحيي غيرتـــك على القضـــية الفلسطينية العادلة ، ونحن معك فيما ذهبت اليه ، ونرجو الله ان يلطف بنا .

● السيد عمارى سعيد ـ الرباط ـ المغرب

نحن نعمل بالراى الذى طرحته منذ فترة بعيدة .. ولا ندخر جهداً فى «بلورة الوعى المناهض للاستغلال والاستسلام»



دوحة القراء

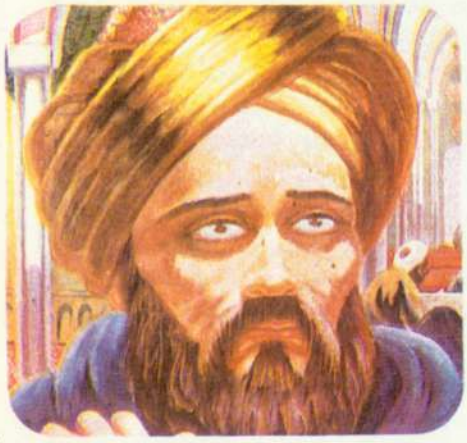
مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حاول أن تعرف



صورة (١) مدينة عربية ساحلية ، تم تأسيسها عام ٣٣٢ ق.م حيث أطلق عليها اسم مؤسسها وقد كانت تضم إحدى عجائب الدنيا السبع ، وقد احتلها الرومان سنة ٣٠ ق.م ، وفتحها عمرو بن العاص فى ٦٤١ م .. ما اسم هذه المدينة العربية العريقة ؟



صورة (٢) فقيه وفيلسوف ومصلح ديني واجتماعي وصاحب رسالة كان لها أثرها في الحياة الاسلامية ولد «بطوس» من أعمال خرسان عام ١٠٥٩ م . من أعماله العديدة : كتب رسالة صغيرة عنوانها (أيها الولد) ترجمتها منظمة اليونسكو الى اللغة الفرنسية والانجليزية . وهي تتعلق باصول تعليم الناشئين جاء فيها (ان العلم بلا عمل جنون والعمل بلا علم لا يكون) من هو هذا الفقيه ومتى توفي ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٩٢



الصورة الأولى : مضيق باب المندب

- الفائز : يحيى محمد القبارى – مصر
- الفائز : مبارك عبد الله سلطنة عمان



- الصورة الثانية : السلطان الفاتح
- الفائز : أحدوت مصطفى – المغرب
- الفائز : علي الخولانى – اليمن

أقدم وثيقة طلاق



أقدم وثيقة طلاق تم العثور عليها حتى الآن ترجع الى الأسرة الرابعة فى مصر أيام الفراعنة كتبها (أمون حوتبا) وعثر عليها بين الأوراق والبرقيات بطيبة وكان نصها كالآتى :

(لقد هجرتك ولم تعد لي حقوق عليك كزوج . ابحثى عن زوج غيرى لأننى لا أستطيع الوقوف الى جانبك فى أى منزل تذهبين اليه ولا حق لي عليك منذ اليوم فصاعداً باعتبارك زوجة تنتسب لي وشريكة لحياتى اذهبى فى الحال وبلا ابطاء) .

محمد عثمان حسين ـ السودان

أقصر قصة عرفها العالم!

يمكننا أن نقول جازمين ان أقصر قصة معبرة عرفها العالم حتى الآن هى تلك القصة القصيرة جداً التى كتبها الكاتب الكبير تشيكوف فى خمسين كلمة بسيطة ومعبرة يقول :

كنت فى الخامسة عشرة من عمرى .. عثرت فى الطريق على ورقة منذ أربعين سنة من فئة الجنيه ، ومنذ ذلك اليوم لم أرفع وجهى عن الأرض ، وأستطيع الآن وأنا على حافة القبر أن أحصى محصول حياتى وأن اسرده كما يفعل أصحاب الثروات هكذا :

ـ ٢٩١٧ زرارا . ـ ١ منديل .
ـ ٤٤١٧٢ دبوساً . ـ ظهر **محني** .
ـ ١٢ سن ريشه . ـ وحياة بائسة !
ـ ٣ أقلام .

أحمد محمد كركوكلى ـ العراق

لقطة الشهر



منتهى الصداقة

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريـــال قطـرى
القارىء محمد أحمد حجاج ـ مصر

كلمات لها معنى



ـ « ليست عظمة الانسان فى أن ينتفخ كالفقاعة الفارغة ثم ينفجر جداره الهش كأن لم يكن منذ لحظة بل ان عظمة الانسان الحقيقة فى أن ينتج ما يبقى ويمكث فى الأرض تراثا للانسانية خالدا » .

زكى نجيب محمود

ـ « ليس انعدام الثروة هو الفقر بل ان شر صنوف الفقر هو فقر الأصدقاء »

خالد محمد خالد

ـ « حين تدخل العواطف من الباب يفر العقل من النافذة » .

ونستون تشرشل

ـ إن نفسا لم يشرق الحب فيهـــا . هى نفس لم تـــدر ما معناهـــا
أنا بالحب قد وصـــلت الى نفسى وبالحب قـــد عـــرفت الله

ايليا ابو ماضى

ـ قد يهون العمر الا ساعـــــة وتهون الأرض الا موضـــعا

أحمد شوقى

مسعد حسنين حبيب ـ ج.م.ع



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

مَن ؟

يعتبر واحداً من اضخم المشروعات فى العالم ويكفى انه يضم اكبر بحيرة فى العالم مساحتها ٤٠٠٠ كيلو متر مربع وطولها ٥٠٠ كيلو متر .

اسمه مكون من كلمتين تشتمل على عشرة احرف :

١ ، ٣ ، ٤ حيوان مفترس .

٧ ، ٤ ، ٣ طعام مشهور .

أين ؟

المدينة القائم بها هذا المشروع تضم بين معالمها رفاة اديب عربى عملاق اسمها من خمسة احرف :

١ ، ٢ ، ٣ : اسم شركة بترول عالمية

٢ ، ٣ ، ٤ بمعنى معاً .

ما ؟

من اشهر الخامات التى تضمه تربة تلك المنطقة مادة مكونة من ستة احرف :

٢ ـ ٣ ـ ٤ مكان لدفن الموتى .

١ ـ ٣ ـ ٦ جبل له مكانته الدينية .

الإجابة الصحيحة

١ ـ قصر الشوق اين يقع :
فى القاهرة ـ تونس ـ دمشق .

٢ ـ ما هى الحرب الخامسة التى خاضتها الأمة العربية .

٣ ـ الحريات الاربع التى اعلن الرئيس الأمريكى روزفلت فى يناير ١٩٤١ انها يجب أن تسود العالم .. ما هى ؟

٤ ـ الاهرام اقدم صحيفة عربية مازالت تصدر حتى الآن :
صدرت سنة ١٩٠٠ ـ ١٨٧٦ ـ ١٨٩٠ .

٥ ـ اول من استخدم التليفزيون الملون :
اليابان ـ الولايات المتحدة ـ فرنسا .

٦ ـ ليس هناك اعداء طول الوقت ولا اصدقاء طول الوقت ولكن هناك مصالح دائمة .
قائل هذه العبارة : دلاس ـ كيسنجر تشرشل .

٧ ـ هل هذه العبارة صحيحة علمياً :
يستغرق وصول ضوء الشمس الى الأرض ثمانى دقائق وثمانى عشرة ثانية .

٨ ـ القرن الأفريقى تعبير يطلق على المنطقة التى تضم :
... ...

٩ ـ اللغات الرسمية للامم المتحدة هى اللغات الست الآتية :
الانجليزية ـ الفرنسية ـ الروسية ـ الصينية ... ...

١٠ ـ للزيت فائدة كبرى فى محرك السيارة :
تقليل الاحتكاك ـ ام تخفيض درجة الحرارة ؟

حل مسابقة العدد ٩٢

من : عنترة بن شداد
أين : اليمن
ما : العقيق

ـ الاجوبة الصحيحة ـ

١ ـ الزباء .
٢ ـ السنة الثانية .
٣ ـ المحيط الهادى .
٤ ـ غير صحيح .
٥ ـ نبي الله عيسى بن مريم
٦ ـ ٥٨٣
٧ ـ اللافقارية .
٨ ـ عام ١٩١٦ .
٩ ـ يوهان شتراوس
١٠ ـ حقل نوروز .

أسماء الفائزين في مسابقـ

● لوحة لم تتم : الفنان سيد درويش .
ـ الفائز : محمد سعيد المسلمانى .
الامارات العربية المتحدة .
هاشم النور مصطفى ـ السودان .

● لأقوياء الملاحظة : مطرة ـ محبرة .
برجل ـ ريشة للكتابة ـ منقلة ـ لوحة رس
ـ الفائز : عبد المنعم متولى محمد ـ مص
: سعيد يوسف حماد ـ السعودي

● دورى الكاريكاتير : رقم (٩)
ـ الفائز : خلود عبد الرحمن مفتاح ـ قط
: احمد السيد مجيد ـ البحرين

● يخلق من الشبه اربعين : رقم ١
ـ الفائز : رافع حقي ـ سوريا .

أسماء الفائزين للعدد ٩٢

● فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : حاتم امين احمد الجمل ـ مصر .

● فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء : عبد المنعم الطيب عمارة ـ السودان .

● فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى واشتراك نصف سنة القارئة علياء محمد المدلج ـ السعودية .

الفائزون باشتراك لمدة سنة

١ ـ معروف صادق عبد اللطيف ـ الكويت
٢ ـ حسن عباس المهدى ـ الامارات
٣ ـ ناول عبد الهادى ـ المغرب
٤ ـ عاطف سلامة ـ سلطنة عمان
٥ ـ احمد شوقى رشدى ـ مصر
٦ ـ طلال علي عبد الله ـ قطر
٧ ـ مزون علي الانصارى ـ قطر
٨ ـ سعيد عمر قابل ـ ليبيا
٩ ـ مازن غانم بن محمود ـ سوريا
١٠ ـ حامد ادم حامد ـ السودان

تراحة الدوحة العدد ٩٢

: نعيمة ناصر ابراهيم ـ قطر
لعبة الظلال : رقم ٣
الفائز : جناح جميلة ـ المغرب
: عطية نور مسعود ـ مصر
هات اجمل تعليق :
يا مخرج اخرج لنا الذباب اولا !
ائز : جمال ابو حمد ـ سوريا
: وائل جمال حورى ـ الأردن
المثل بيقول : داوها بالتى كانت هى
اء !
ائز : عبد الله سعيد سالم ـ السعودية
لا يفل الحديد إلا الحديد !
ائزة : دلال سيد محمد ـ مصر

طراز رفيع من الشجاعة

ما أروع ما قاله هذا الفارس العربى فى الفخر بالشجاعة :

والخيل تعلم والفوارس أننى
فرقت جمعهم بضربة فيصل

إنه عنترة بن شداد العبسى مضرب المثل عند العرب فى الشجاعة والاقدام .. ذلك البطل الذى لا نمل من التغنى بعطر سيرته ولا تكل الأقلام .

سئل هذا الأسطورة عن شجاعته فقال : كنت أقدم إذا رأيت الاقدام عزماً ، وأحجم إذا رأيت الاحجام حزماً ، ولا أدخل موضعاً لا أرى لي مخرجاً منه ، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثنى عليه فأقتله .



طراز رفيع من الشجاعة سعد به صاحبه وخلد .. شجاعة لا يعيبها أن تتحسس موضع أقدامها قبل أن تخطو .. لكيلا تسقط فى هوة الحماقة وما أظلمها وأرذلها !! فالشجاعة عند فارسنا دون ضرب أخماس فى أسداس .. دون تعقل وتريث وروية .. هى الحماقة بعينها .. فما بالنا ـ بنو يعرب ـ نستحمق فى كل شئون حياتنا ظانين بأنفسنا العنترية .. والعنترية منا براء !! .

وفى النهاية يا رفاق .. أترككم مع الفارس حيث يقول :

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى
أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل
فأجبتها أن المنية منهل
لابد أن أسقى بكأس المنهل
فأقض حياءك لا أبالك واعلمى
أنى أمرؤ سأموت إن لم أقتل

عادل السمادونى مصر ـ العياط

الخروج من المأزق

أراد الرشيد أن يفاجىء أبا نواس بزيارة فى داره ، ولكن قبل وصول موكبه لمحه أبو نواس ، فوقف خلف الباب حتى دنا الجواد الذى يمتطيه الرشيد من الباب ، ففتح أبو نواس الباب بسرعة ليفسد على الزائر العظيم مفاجأته له ، فأجفل الجواد وسقطت عمامة الرشيد فتطير من هذا الحادث طيراناً شديداً فأمر بالنطع والسيف ، فضحك أبو نواس ، فاستغرب الرشيد وصاح به : ويحك ! أتضحك وأنت على أبواب الآخرة ؟ قال أبو نواس : أضحك يا مولاى لانك تقتلنى بغير سبب !

فقال الرشيد : إنما أقتلك لأنك شؤم الطالع . فقد (اصطبحت) بوجهك فسقطت عمامتى ! فقال أبو نواس : وأنا التقيت بك ففقدت حياتى ! فضحك الرشيد وقال : أحسنت !

احمد قيراطة ـ سوريا

استراحة الدوحة



مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

د ووو

الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطرياً

أصل وصورة



كان شارل ديجول اول رئيس للجمهورية الخامسة فى فرنسا (١٩٥٩) .. وبين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى هناك سبع اختلافات طفيفة .. هل يمكنك التعرف عليها ؟

لوحة لم تتم



هذه اللوحة لاديبة عالمية فرنسية اشتهرت فى بداية حياتها بروايتها الشهيرة « مرحباً أيها الحزن » .. مشكلة اللوحة أنها لم تتم .. هل يمكنك اكمالها والتعرف على شخصية صاحبتها ؟

المثل يقول



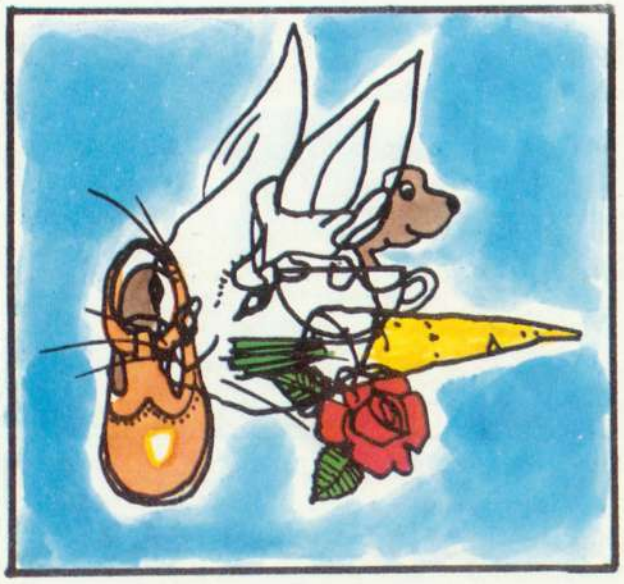
هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى معروف .. إذا عرفت المثل أرسله لتحصل على جائزة !

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بالدكتورة سهير القلماوى التى كانت من اوائل خريجات الجامعة المصرية وحصلت على الدكتوراه فى الأدب العربى .. ومن بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهها تماماً .. هل يمكنك التعرف على اللوحة ؟

لأقوياء الملاحظة فقط !



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل أرسله إلينا وفى انتظارك جائزة .

هات أجمل تعليق :



هل تستطيع أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى ؟ .. حاول وارسله إلينا لتفوز بجائزة .

دورى الكاريكاتير



اقتحم احد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. هل يمكنك تحديد صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟

الورقة الأخيرة

عزف أول .. إلى قطر!



بقلم: عبـــدالله الجفـــري

● ها قد جعلت دخولى الى «دوحتكم» معبراً من القلب ، بأزهى خفقات الأرومة ، وباعمق وشائج المصير المتجذر دماً ووحدة عنصر وعشق ارض ، وانشاد لغة شاعرة .. بقيت صابرة وعظيمة ومناضلة فى أعتى هجمات التمزيق للأرض ، والتغريب للانسان !

أتيت اليكم موعداً حميماً .. يزرعنى فى بهاء الخليج .. حيث يتحول البحر فى عيونى الى ذلك الغيث الذى أوله «قطر» ويتلالأ موجه تحت صهد الصيف كسيف متلع يضع امجاد التاريخ على هامته ويمنح الشمس العربية انعكاسها فوق صفحته !

هاأنذا فى المرة الأولى .. لا أتى اليكم مسافراً كطائر نورس ، ولكنى امتزج بكم «عودة» محملة بالبخور والطيب .. اصهل فوق صارية ، واتامل سفينة «فتح الخير» التى رست عند شواطئكم مستقرة منذ أكثر من نصف قرن !

ولابد أن هذا التلفت يشكل فى لقائنا : اليد الممدودة بمطلع الحب ، والبوح المشاع فى سحر البيان العربى الذى بدأت تطغى عليه عُجمى المصالح ، و «دبلجة» المشاعر ، فتصبح الكلمة العربية فى ضمير الكاتب والمنتمى هى واحدة من قضايا الفروسية العربية المبددة فى زمن الانقسامات والطوائف والمسرح العائم !

أتيت اليكم مشوقاً .. يعرفنى موج الخليج ، وأسر له بهمسى فلا يخون !

تعرفنى «الجذور» فى هذا الوطن الكبير الممتد من أول نخلة أم .. والمعتز بعلم يرفرف بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» والمعتزى بسيف يدافع عن الحق ويصرع الظلم والبغى .. فكانت تجربة الوحدة نموذجاً اضاء هذا التاريخ الحديث ، وشرع فى ضوئه بعض الطامحين عربياً ليكملوا مشوار الوحدة ، وينشروا عقيدة انطلقت قوية ، ويغرسوا معنى ان تكون الأرض واحدة والانسان متاخياً وشقيقاً وبعضاً من بعضه !

هكذا تطلعت بالنظرة الأولى التى احتضنت بها «قطر» ..

ثم سعيت لا أملك إلا ختم التاريخ ، واصداء حوافر الخيل ، وبهجة «العزوة» فى كل ما خصنى به اهل «قطر» ومن احبوها من تلك المعرفة التى تتجاوز الأسم وتمتزج بالدم وبالحس وبالقربى .

هنا .. أعطانى ولي العهد ـ الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ـ تلك الابتسامة الصافية الغامرة بالحب .. سعيت الى لقائه لأساله فى البدء : كيف تنظرون الى الغد من خلال تكريس حرصكم على احتضان الشباب ، والانطلاق به الى فعل ايجابى يحقق لـ «قطر» شهود بناء الرجال ؟

وكانت إجابته باتساع الخليج ، وبصفاء سمائه وبطموحات أبناء هذه المنطقة التى تحفر الصخر ، وتدخل الى الخليج وتقيم فوقه ناطحة سحاب ، وتجول فى صحراء لتغرس فيها الزرع والنماء والتنمية .

وبعد السؤال .. لعلنى استغرقت فى لحظات مودة ترش « قطراتها » من القلب بلا تكلف ، أو صناعة ري لارض معطاء وخصبة النماء !

تحدثت الى ولي العهد ، وهو رائد الشباب القطرى ، ولم يكن الحديث إلا صحبة فى ذلك الفيض من المحبة، وذلك الادراك للمعرفة وللغد الذى يطمح اليه جيل يتوق الى الوعد ، ويعانق الأمل ، ويرتقى ذرى الطموح .. وكانت حصيلة هذه «الصحبة» التى ابتدأت بزمان لم يزد عن ربع الساعة : اننى وقفت عند المواعيد القديمة التى حلمنا فيها دائماً بالتاخى والعمل والخطوة الواحدة .. فكان «حمد بن خليفة» يحاور تلك الرؤية التى يحقق من خلالها مفهوم التطور بعقل الانسان بادىء ذى بدء .

ثم سعيت .. أناوش شجونى العربية ، وأحس بها تضرب وجعاً فى خاصرة الزمن الواقف ، وبلغت من السعى حدود انسان يحمل فوق كاهله أمانة كتابة التاريخ المعاصر لمنطقته ، أو انه أحد هؤلاء الذين ينظفون الكلمة ويجلونها ويحمونها من اعتداء التتار والصليبيين والمرتزقة من عهد «هنا لندن» وحتى عهد دلالى الكلمة الذين يبيعونها كجارية تارة ، وكمحظية مؤقتة تارة أخرى !

هاأنذا أدخل على الرجل الاعلامى فى قطر «عيسى غانم الكوارى» وهو لا يملك إلا ابتسامة واحدة لا تخضع للطبعات العديدة ، بل هى «أصل» على وجه صريح يؤدى الى الانسان !

حدثته ـ إذن ـ عن نور الفكر ، ومساندته لكل مطبوعة تخصصت فى نشر وانتشار الكلمة المصباح ، والفكرة الشموس .. فلابد أن هذه المؤازرة من وزارة اعلام قطر لمعنى ولفعل الكلمة فى زمن غيوم الأفكار .. تعتبر تكاثراً حضارياً له عطاء الوعي ذات يوم قريب !

لقد سمحت لنفسى كصاحب «شرفة» حالمة الاضاءة على صفحات «الدوحة» أن أخاطب معالى وزير الاعلام بصوت العاشق الذى يزهو دائماً باثبات حرية الكلمة ، وترسيخ مفهوم «الحوار» فى كل نقاش فكرى .. هو بلاشك يحمى الحوار من الاعتداء الانفعالى !

قلت له : لقد وجدنا صفحات «الدوحة» بيتاً وسكناً وشرفات تلتقى بالمناخ المتجدد الصحى .. فطفقت أصواتنا تعرف انطلاقتها ، وطفقت انطلاقة أفكارنا تتبلور حيناً فى شكل طلقة رصاص ضد أعداء الدين ، وأعداء الوطن ، وأعداء الانسان ، وتتبلور حيناً آخر فى شكل زهرة قادرة على ان تكبر فى كل الحقول وتسرى عبقاً !

وفى كل كلمة أتطلع الى وجه الرجل الاعلامى .. فالاحظ أن ابتسامته لا تحتد وإنما هى تحنو وتتحول الى حداء ووعد .

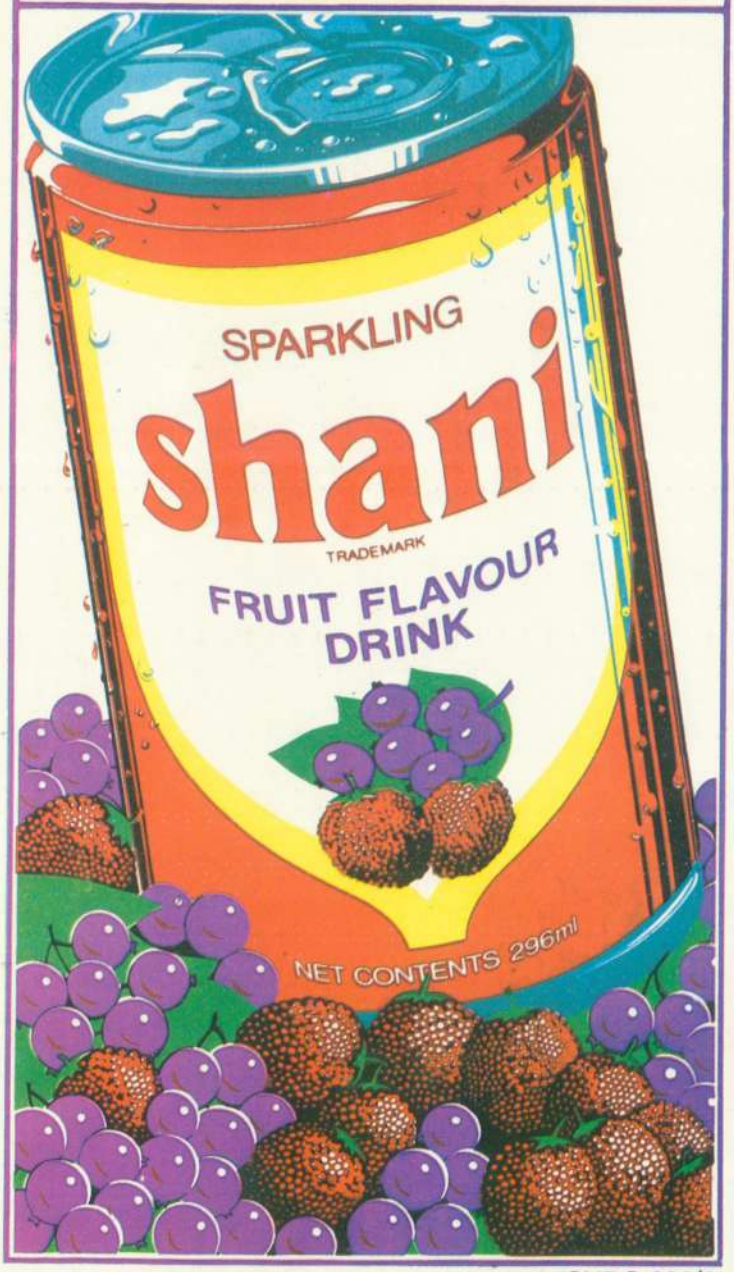
● ● ●

فهل أتى بعد هذا الى حصيلة من رحلة قصيرة بداتها عند شاطىء «قطر» ولم أطق أن انهيها أبداً رغم عودتى ؟!

ان الحصيلة هى هذا العزف الأول .. نشيداً ، وخفقاً ، وصدقاً وكلمة لا تخون !!

شاني

ماركة مجلة



XSHDC-296/81

ميرندا

ماركة مسجلة



XMDC-296/8



من وحي الدوحة : للفنان البحريني عبد الكريم العريض